







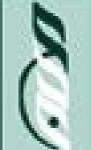



ISSN 2710 - 2998

8 العدد الثامن يونيو 2022


في هذا العدد:













ISSN 2710 - 2998

مجلَّة دوريَّة علميَّة محكّمة يصدرها مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر
بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

العدد الثامن يونيو 2022م

توجه المراسلات والبحوث المقترحة للنشر، باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة: hsj@aden. center

أو على عنوان مركز عدن للدراسات التاريخية والنشر، عدن، الشيخ عثمان، شمسان مول، مكتب: 6 إيميل: info@aden. center

**المواد المنشورة في المجلة لا تعبِّر إلَّا عن آراء أصحابها**
**ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلة أو رأي القائمين عليها**

المجلة صادرة بقرار ترخيص رقم (1) من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
لعام 2019م وبرقم إيداع وطني: 1109 لعام 2019م

## قواعد النشر في المجلة

1 – أن يكون البحث في مجال التاريخ وعلومه، وأن يتسق عنوانه مع محتواه.

2 – أن يكون متسمًا بالأصالة والابتكار، والمنهجية العلمية، وأن يمثِّل إضافة نوعية في مجال المعرفة.

3 – أن يكتب بلغة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية.

4 – أن يكون ملتزمًا بدقة التوثيق، وأن توثق قائمة المصادر والمراجع وترتب ترتيبًا هجائيًا في آخر البحث بطريقة التوثيق المتعارف عليها: اسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الجزء، اسم المحقق أو المترجم، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر.

5 – أن تذكر الهوامش في أسفل الصفحات، وأن ترقم في كل صفحة ترقيمًا تسلسليًّا.

6 – ألَّا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدِّم للنشر في أي جهة أخرى.

7 – ألَّا تقل صفحات البحث الواحد عن 15 صفحة، وألَّا تزيد عن 30 صفحة، بما فيها الجداول والرسوم الخرائط والصور، إن وجدت.

8 – أن يستخدم الباحث الخط الأسود Simplified Arabic بحجم 14 Normal، وبحجم 16 Bold في العناوين الداخلية.

9 – أن يقوم الباحث بإجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين والأخذ بها، مع تعليل ما لم يتم الأخذ به.

10 – قرار هيئة التحرير بشأن البحوث المقدمة للنشر نهائي، وتحتفظ الهيئة بحقها في عدم إبداء مبررات قراراتها بعدم النشر.

11 – لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

## مرفقات النشر

**عند تقديم البحث للنشر يشترط الآتي:**

1 – أن يقدِّم الباحث طلبًا كتابيًا بنشر بحثه إلى رئيس تحرير المجلة. وأن يتعهد فيه بأن بحثه لم يسبق نشره، ولم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلًا أو جزءًا من كتاب أو رسالة علمية.

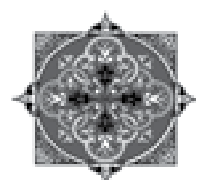
2 – أن يقدِّم الباحث ملخصًا لسيرته العلمية، وأهم إنتاجه العلمي.

3 – أن يقدِّم الباحث نسختين ورقيتين من بحثه، ونسخة إلكترونية.

4 – أن يرفق مع البحث ملخصًا باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، بحيث لا تزيد كلمات الملخصين عن 300 كلمة.

5 – أن يقدم الباحث نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، في حال استخدامها في البحث، إلا إذا وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

## محتويات العدد



# ميناء قنا: نشأته ومراحل انتعاشه وركوده رؤية مستقبلية في استعادة دوره الملاحي والتجاري في جنوب الجزيرة العربية

أ. م. د. محمد أحمد السدلة الخليفي[(1)]

## ملخص البحث:

نتناول في هذا البحث موقع ميناء قنا وأهميته ونشأته ومراحل تطوره عبر التاريخ، ثم نتناول مرحلة إنشاء الميناء الحديث مع تقديم رؤية مستقبلية لاستعادة دوره الملاحي في تاريخنا الحديث والمعاصر، واحتمال استعادته لمكانته التجارية القديمة، وهذا الميناء يقام على أحد المرافئ القديمة لميناء قنا **(مرفأ المجدحة)** التاريخي العريق، فهل سيستعيد ميناء قنا مكانته التجارية العالمية القديمة من خلال استغلال الموقع الوسطي الاستراتيجي المهم لهذا الميناء الذي يتوسط المحافظات الجنوبية: شرقا المهرة وحضرموت وغربا أبين وعدن وجنوبا سقطرى؟ وهل سيعاد التاريخ ويستعيد ميناء قنا نشاطه بعد أكثر من ألفي عام؟ ويستند هذا البحث على نتائج الدراسات السابقة التي تناولت ميناء قنا، سواء البعثات الأثرية أو الرسائل والأبحاث العلمية أو التقارير الحكومية، كما سنقوم باستعراض دور السلطة المحلية في محافظة

(1) أستاذ التاريخ القديم المساعد، كلية التربية/ قسم التاريخ – جامعة شبوة.

شبوة في إعادة تشغيل هذا الميناء التاريخي العالمي، والعمل على إقامة مدينة سياحية على ساحل البحر العربي بالقرب منه، ويتألف البحث من مقدمة والموقع والأهمية والنشأة ومراحل تطور الميناء من القرن الأول الميلادي حتى القرن السادس الميلادي مع تقديم رؤية مستقبلية للدور الذي سيلعبه هذا الميناء داخليا وخارجيا، ثم خاتمة البحث وقائمة المصادر والمراجع والملاحق.

**Abstract**

In this research, we will address the stages of the development of the old port throughout history, the construction stage of the new port and what role it is likely to play in our contemporary history, and the possibility of restoring its commercial position, which is built on one of the old harbors of the ancient historical port (Harbor of Al - Majdaha), and will Qena port restore its old global commercial position by exploiting the strategic central location of this port, which mediates the southern governorates: to the east of Mahra and Hadramout, to the west of Abyan and Aden, and to the south of Socotra. Will we be facing a re - history and will we witness the port of Qena reactivating after more than two thousand years, based on the results of previous studies that dealt with the port of Qena, whether archaeological missions, letters, scientific research, or government reports, and we will review the role of the local authority in Shabwa governorate in re - operating This world - historic port and work to establish a tourist city on the coast of the Arabian Sea near it. The research consists of a historical preface, then a review of the development stages of the port from the first century AD until today, then the conclusion of the research and a summary in English and a list of sources, references and appendices.

## أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث (ميناء قنا: نشأته ومراحل انتعاشه وركوده)، رؤية مستقبلية في استعادة دورة الملاحي والتجاري في جنوب الجزيرة العربية) في كونه سيناقش الدور الكبير الذي لعبه هذا الميناء في ازدهار حركة التجارة الداخلية والخارجية وتنشيطها لمملكة حضرموت قديما، والعالم القديم شرقا وغربا، إذ شكّل عصب الحياة للممالك العربية الجنوبية، وسنستعرض الموقع والأهمية لميناء قنا ونشأته ومراحل تطوره ودوره المستقبلي في تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية بين المحافظات الشرقية والمحافظات الغربية والمحافظات الشمالية والشمالية الغربية القريبة من محافظة شبوة مثل البيضاء ومأرب والجوف، ومع الموانئ الخارجية في الخليج العربي وشرق أسيا وموانئ سواحل البحر الأحمر وإفريقيا، في ضوء ما يمتلكه هذا الميناء من موقعا استراتيجي مهم، فضلًا عما تمتاز به محافظة شبوة من موقع وسطي؛ حيث تتوسط المحافظات الغربية مثل عدن وأبين والمحافظات الشرقية مثل حضرموت والمهرة وكذلك الشمالية الغربية مثل الجوف ومأرب والبيضاء.

## المقدمة:

حظي ميناء قنا بموقع استراتيجي مهم، وبمواصفات طبيعية فريدة؛ لوقوعه بالقرب من جبل حصن الغراب، ذلك الجبل الذي بنيت على قمته قلعة عرماوية، وأسهم في تأمين الميناء وحمايته من قراصنة البحر والطامعين فيه، وهو الأمر الذي جعل الملاحة فيه آمنة ومستقرة، كما أسهم وجود خليج المجدحة الذي يقع إلى الشرق منه في جعل الملاحة فيه مستمرة طوال العام، وهو ما جعل الميناء من أشهر الموانئ في اليمن القديم، وقد كان ميناء قناأحد أهم الموانئ في الجزيرة العربية والعالم القديم، وكان يعد ميناء اللبان الأول في الجزيرة العربية، في تجارة الترانزيت لفترة طويلة من الزمن، وكان له دور كبير في التجارة المحلية

والعالمية، ويعد ميناء قنا الميناء الرئيس لمملكة حضرموت قديما حتى نهاية هذه الدولة في بداية القرن الثالث الميلادي على أيدي الحميريين.

إن تاريخ ميناء قنا الطويل وشهرته العالمية الواسعة التي حظي بها قد ارتبط ارتباطا وثيقا بما كان يصدِّره من سلع ومنتجات يمنية كانت مطلوبة للخارج، لعل أبرزها اللبان والمر، فضلا عن كونه أحد المحطات الرئيسة في طرق التجارة بين موانئ البحر الأحمر وشرق إفريقيا والهند؛ مما زاد نشاطه في الاستيراد والتصدير للبضائع التي تأتي من مناطق مختلفة من العالم القديم.

## ميناء قنا الموقع والأهمية:

يقع ميناء قنا على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، على ساحل البحر العربي (المحيط الهندي) بمحافظة شَبْوة - الجمهورية اليمنية، وعلى بعد 400 كم إلى الشرق من عدن و106 كم إلى الغرب من المُكَلّا[1]، وهو ميناء مملكة حضرموت الرئيس، ومنفذها الأول على البحر العربي، وتقع خرائب الميناء في أسفل جبل حصن الغُراب على مسافة ثلاثة كيلو متر جنوب غرب قرية بئر علي الحالية والى الشرق من بالحاف[2]. ويمتد ميناء قنا على خط طول 48,20 شرقا، وعلى خط عرض 14,1 شمالا[3]، ويقوم الموقع الذي عثر فيه على أطلال ميناء قنا على لسان ممتدة من الساحل إلى البحر في اتجاه غربي شرقي، ويحتضن خليجين صغيرين، وينتهي برأس جبلي مستدير الشكل، شديد الانحدار يسمى حصن

(1) ريكمانز، جاك، حضارة اليمن قبل الإسلام، ترجمة د. علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، العدد 28، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1987م، ص 111.

(2) الشعيبي، خالد صالح، ميناء قنا من القرن الثاني ق. م إلى القرن السادس الميلادي، دراسة تاريخية أثرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عدن، كلية الآداب، 2007م، ص 193، 194.

(3) الشعيبي، خالد صالح، ميناء قنا، مرجع سابق، ص18 - 24.

الغُراب[1]، وعلى قمة حصن الغراب شيدت قلعة عرماوية التي مازالت آثارها وبقاياها تنتشر في قمة الجبل حتى اليوم[2]، وهي بقايا أبراج البوابة وجدران القلعة وسورها والمنار البحري لهدي السفن والمعبد وأربعة خزانات مآجل لتجميع مياه الإمطار على قمة الجبل، والى الشمال من جبل حصن الغراب تربض بقايا مدينة قنا التجارية على مساحة كبيرة من شاطئ البحر[3].

وتكمن أهمية ميناء قنا في أنه قد أسهم في الحياة الاقتصادية لسكان العربية الجنوبية، وتعاظم دوره كميناء التجاري بين شعوب العالم القديم، وتأتي أهميته أيضًا في أنه كان يشكِّل همزة وصل في حركة التجارة العالمية بين الهند وشرق آسيا وشرق إفريقيا من جهة، ودول حوض البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى[4]، فضلا عن كون اليمن في الوقت ذاته بفضل خصوصياتها التضاريسية كانت مصدرا لأنواع من السلع التجارية في مقدمتها اللُّبان والمُر والصَّبِر التي كان الإقبال والطلب عليها كبيرا وضروريا في أسواق العالم القديم، وقد تميز الميناء بموقع استراتيجي مهم، تميز بوجود تحصينات طبيعية تحيط به من جميع الجهات، تحمي السفن الراسية من الرياح والعواصف، وكذلك وجود جبل حصن الغراب على المدخل الجنوبي الغربي للخليج الذي يقع فيه الميناء، والذي تعلوه قلعة تقف حارسة للميناء من قراصنة البحر.

(1) Harding, G, L: Archaeology in the Aden Protectorates, London, 1964. p. 46.

(2) الشعيبي، ميناء قنا، مرجع سابق، ص 12.

(3) شير نسكي، أضواء على الآثار اليمنية (تقرير عن الآثار في اليمن الديمقراطي)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية، وزارة الثقافة والسياحة، عدن، طباعة مؤسسة 14 أكتوبر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1975م، ص 55 – 70.

(4) الجرو، أسمهان سعيد، نشأة الملاحة في ميناء عدن القديم، الندوة العلمية الأولى حول عدن ثغر اليمن، الماضي، الحاضر، المستقبل، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 1999، ص 335.

## قَنَا في المصادر القديمة:

ورد ذكر ميناء قنا في عدد من المصادر التاريخية، منها المصادر الدينية والنقشية، والمصادر الكلاسيكية، وسنتناول ما ذكرته تلك المصادر بالتفصيل:

### أولا – المصادر الدينية:

ورد أقدم ذكر لميناء (قنا) في التوراة سفر حزقيال (27) باسم (كنه حران كنه وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجارك)[1]... ويعود ذلك السفر إلى القرن السادس قبل الميلاد، وجاء ذكره كسوق اقترن اسمه بتجارة الطيب والحجر الكريم حيث جاء في سفر حزقيال (تجارة شبا ورعمة هم تجارك، بأفخر كل أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك، حران وكنة وعدن تجار شبا وأشور وكلمند تجارك[2].

كما ورد ذكر الميناء في عدد من نقوش العربية الجنوبية القديمة، السبئية واليزنية التي تضمنت معلومات عن قنا إما موجزة أو مفصلة[3].

### ثانيا – المصادر النقشية:

ورد ذكر ميناء قنا ومدينته في عدد من نقوش العربية الجنوبية القديمة السبئية واليزنية، وعددها ثمانية نقوش هي (– IR 13, RY 533, JA 632, Sh 17, BR

(1) الكتاب المقدس، سفر حزقيال، الإصحاح السابع والعشرون، فقرات 22، 23.

(2) 27. 28. 29. THE Periplus of the Erythrean sea. p؛ الكتاب المقدس، سفر حزقيال، الإصحاح السابع والعشرون، فقرات 22، 23؛ الشيبة؛ عبدالله حسن، ترجمات يمانية، العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية، منشورات دار الكتاب الجامعي، ط1، 2008، ص79، 80.

(3) Doe , B , Southem , Arabia , P. 182؛ قرياز، دراسة ميناء قنا القديم، مرجع سابق، ص22؛ الشعيبي، خالد صالح، ميناء قنا، مرجع سابق، ص 20.

Yanbuq 47, CIH 728, CIH 621، فضلًا عن نقش عبدان الكبير)، وتضمنت معلومات عن ميناء قنا، وكلها يرجع تاريخها إلى القرن الثالث وما بعده، وسنذكر منها نقشين، وهي التي عُثر عليها في جبل حصن الغراب المطل على ميناء قنا منطقة دراسة البحث.

**1 - نقش CIH 728:**

دوِّن هذا النقش في قمة جبل حصن الغراب (عرماوية) المطل على ميناء قنا ومدينته، وذلك على مسافة 15 كيلو متر من المدخل إلى القلعة عند النهاية العلوية للطريق الصاعدة إلى قمة حصن الغراب، وهو نقش بحروف غائرة على صخرة كبيرة، هي قسم ناتئ من الجبل ذاته[1]، ويتكون من سطرين:

1 - ص ي د م / أ ب ر د / ب ن / م ل ش ن / م ص د أ / ذ ب د ش / ع

2 - ق ب / ق ن أ / س ت ط ر / ب ع ر ن / م و ي ت /[2].

ويعود تاريخ النقش إلى القرن الخامس الميلادي - بداية القرن السادس الميلادي، وجاء فيه لأول مرة ذكر لقلعة (قنا) على مرتفع (عرماوية) المشرف على ميناء ومدينة قنا، ودوّنه صيد مأبرد بن ملشان، وأشار إلى أنه كان يشغل منصب مصدأ أي خازن مال لميناء قنا، كما أنه في الوقت نفسه يشغل منصب عاقب أي قائد والٍ لميناء قنا[3].

(1) شير نسكي، اليمن مركز هام، من مراكز الحضارة الإنسانية، الثقافة الجديدة، العدد 10، السنة 3، ص 77.

(2) Wellsted , Travels , In Arabai , P. 421

(3) بيستون، وآخرون، المعجم السبئي، مكتبة لبنان، بيروت، دار نشر ببيترز، لوفان الجديدة، 1982، ص141.

**2 - نقش CIH 621:**

دوّن هذا النقش على قمة جبل حصن الغراب (عرماوية)، ولا يبعد عن النقش السابق أكثر من ثلاثة أمتار، ويتكون من عشرة أسطر، ويتحدث و يتحدث في الستة الأسطر الأولى عن أسماء أصحاب النقش وهم: (سميفع أشوع وبنوه شرحبئل يكمل ومعد كرب يعفر بنو لحيعة يرخم) ثم تأتي أسماء قائمة طويلة بالمناطق والقبائل الموالية له، ثم اسم الموقع الذي دوّن فيه وسماه (عرن/ م و ي ت) أي جبل مويت، وهو المعروف حاليا بجبل حصن الغراب، وقد جاء في هذا النقش للمرة الثانية ذكر لقلعة قنا على مرتفع عرماوية، وفي السطر السادس يتحدث عن أصحابه الذين قاموا بترميم السور وخزانات مياه قلعة عرماوية وأبوابها، وكذلك الطريق الصاعدة إلى قمة الجبل، ويعود تاريخ النقش إلى سنة 525 م[1]، وسنشير إلى السطرين 6 / 7 الذي وردت الإشارة فيهما إلى ذكر القلعة عرماوية ونصه:

6 -... س ط ر و / ذ ن / م س ن د ن / ب ع

7 - ر ن / م و ي ت / ك ث و ب ه و / ج ن أ ت ه و / و خ ل ف ه و / و م أ ج ل ت ه و / و م ن ق ل ت ه و[2].

**ثالثًا - المصادر الكلاسيكية:**

المصادر الكلاسيكية من أفضل المصادر المدونة عن اليمن القديم، وهي المؤلفات التي ألفها الكتّاب اليونان والرومان، سواء المؤرخون أم الجغرافيون

(1) CIH 621 1 10

(2) CIH 621 6,7؛ بأفقيه، وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، مرجع سابق، ص 157.

أم الرحالة أم غيرهم، إذ اعتنوا بأوصاف الجزيرة العربية وأخبارها في العصرين اليوناني والروماني[1].

وتعد المصادر الكلاسيكية من أقدم المصادر التي ذكرت ميناء قنا في فترة ازدهارهاالأولى في القرنين الأول والثاني الميلاديين؛ إذ يعد **(بليني الأكبر)** أول من ذكر ميناء قنا من الكتّاب الكلاسيكيين اليونان والرومان؛ بوصفه ميناءً وسوقًا على الطريق التجارية البحرية بين مصر والهند[2]، كما يعد كتاب «الطواف حول البحر الإريتري» المجهول مؤلفه الذي عاش في النصف الثاني من القرن الأول الميلاديتقريبا من أفضل المصادر اليونانية والرومانية التي ذكرت ميناء قنا، حيث يقدم عنه معلومات مفصله تفصيلًا أوسع، كوصف موقعه وتجارته وارتباطاته التجارية مع الموانئ الأخرى، وما كان له من أهمية اقتصادية عظيمة في القرن الأول الميلادي[3]، ويعد أهم مصدر كلاسيكي يقدم معلومات مفصّلة عن الموانئ والمراكز التجارية الحضرمية كميناء قنا وميناء سمهرم وجزيرة سقطرى وشبوة عن السلع التي كانت تمر عبر هذه الموانئ والمراكز وعلاقاتها التجارية الواسعة مع الموانئ الأجنبية[4].

(1) عبد الله، يوسف محمد، تقديم: في بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية (دراسة ومختارات)، جمع وترجمة، حميد مطيع العواضي، عبد اللطيف الأدهم، كتاب الثقافة، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2001م، ص5.

(2) Pliny ,Natural History, translated by, H, Rackham, M. A. William Heinemann Ltd, Vol. , II, B, VI, Vol. IV, B, XII, London, 1969. P. 104.

(3) الشعيبي، ميناء قنا، مرجع سابق، ص72.

(4) الشيبة، عبد الله حسن، ترجمات يمانية، مرجع سابق، ص79، 80؛ الشعيبي،، خالد صالح، التجارة الخارجية لحضرموت قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، العدد 5، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، يوليو، 2008م، ص349.

وأشار كتاب الطواف حول البحر الاريتري (The periplas of erythreansea)[1]، المجهول المؤلف الذي عاش في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي تقريبا، إلى مملكة حضرموت وموانئها وعلاقاتها التجارية مع مناطق مختلفة من العالم القديم، حيث يذكرعند حديثه عن ميناء قنا قائلا: «والى الداخل من (Cana) (قنا) تقع على بعد مئة وعشرين ستاديا العاصمة ساباتا (Sabbatha) [شبوة] التي يسكنها الملك، وكل ماينتج من البخور من البلاد يُحمَل إلى ذلك المكان على الجمال حيث يخزن[2]».

كما أن الجغرافي اليوناني كلوديوس بطليموس (Claudius Ptolemaius)[3] الذي عاش خلال النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، والذي يعرف عند العرب بـ (بطليموس القلوذي أو الجغرافي)[4]، واشتهر بمؤلفه الجغرافي (جغرافية بطليموس) أو (الدليل الجغرافي) أشار في خريطته التي وضعها في مؤلفه للعالم المعمور آنذاك، إلى أسماء بعض مدن حضرموت وموانئها، ومنها ميناء (قنا) (Kane) وميفعة (Maiph)، كما أشار إلى مرسى المجدحة الذي سيقام عليه الميناء الجديد باسم ترولا، وهو المرسى الذي يقع إلى الشرق من قنا[5].

(1) The periplas of erythrean sea, Translated From the Greek and Annoted by wilf. H. Schoff, New York, London, Bombay, and Calcutta, 1912. p. 27. 28. 29.

(2) The periplas of erythreansea,ch. 27.

(3) اختلف المؤرخون في الفترة التي عاش فيها بطليموس، فبعضهم يرى انه توفى عام (140م)، وبعضهم لا يشير إلى السنة وإنما يذكر أنه عاش في منتصف القرن الثاني الميلادي؛ Rouaud,A,La Route, des Aromates, in, SABA, (parfums D, Arabia) , No, I, France, 1994, P. 43.

(4) الشعيبي، صلات اليونان والرومان باليمن، ص 25 – 26.

(5) الشيبة، عبد الله حسن، يمنت في النقوش اليمنية القديمة المعنى والدلالة، في: دراسات سبئية، دراسات في الآثار والنقوش والتاريخ مهداة إلى يوسف محمد عبد الله، الساندرودي ميجرية، كريستيان روبان بمناسبة بلوغهم الستين عاما، صنعاء، نابولي، 2005م، ص 102.

وقد عاشت مملكة حضرموت حالة من الانتعاش الاقتصادي بفضل موانئها التجارية سمهرم (خوروري حاليًا في سلطنة عمان)، وقنا على ساحل البحر العربي الذي لا يبعد عن العاصمة الحضرمية شبوة إلا مسافة 200 كم، لاسيما مع ازدهار التجارة البحرية المنتظمة بين مصر وشبه القارة الهندية منذ مطلع الميلاد، وازدياد الطلب على اللبان والمر الذي تنتجه حضرموت.

وتشير نتائج التنقيبات الأثرية في ميناء قنا سواء التي تمت في سطح المدينة أم تحت الماء قبالة الميناء، وما عثر عليه من لقىً أثرية مستوردة، أن ميناء قنا منذ القرنين الأول والثاني الميلاديين كان في قمة ازدهاره، وكانت له علاقات تجارية واسعة مع بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، وبلاد الرافدين، وشرق إفريقيا، والهند، ومعظم هذه اللقى الأثرية هي عبارة عن بقايا امفورات فخارية كانت تستعمل لنقل السلع التجارية بين مناطق البحر الأبيض المتوسط إلى ميناء قنا، كما عثر على بقايا أو كسرات من الفخار (الأواني الفخارية ذات الأذنين) المنتجة في ورش إيلة- العقبة، وكانت تستخدم في نقل الحبوب والزيوت الآتية من بلاد الشام والبحر المتوسط، وكل ذلك من تأثيرات حوض البحر الأبيض المتوسط على قنا والعاصمة الحضرمية شبوة عموما[1]. وقد مر هذا الميناء منذ بدء تأسيسه وحتى اليوم بعدة مراحل من التطور نستعرضها على النحو الآتي:

## نشأة الميناء ومراحل تطوره من القرن الأول الميلادي - القرن السادس الميلادي ودوره المستقبلي في تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية:

### نشأة الميناء:

يكتنف الحديث عن نشأة الميناء كثير من الغموض، حيث لا تتوفر الأدلة المادية التي يمكن أن تحدِّد بدقة تاريخ نشأة الميناء والبدايات الأولى لتاريخه

(1) سيدوف، لاسكندر، قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط، 1999م، ص195.

ودوره التجاري، كميناء رئيس لمملكة حضرموت على المحيط الهندي، وربما يرجع ذلك إلى عدم استمرار الحفريات الأثرية في الميناء، ومهما يكن من أمر، فإنه يمكننا أن نقدِّم تصورًا عامًّا عن المراحل التاريخية لنشأة الميناء، بناء على نتائج الحفريات الأثرية التي تمت في الميناء، وعلى ما جاء في المصادر الدينية والكلاسيكية آنفه الذكر، **وقد مر ميناء قنا في تطوره بثلاث مراحل تاريخية وهي:**

1. **المرحلة المبكرة** – وتبدأ من القرن الأولحتى القرن الثاني الميلادي.
2. **المرحلة الوسطى** – وتمتد من القرن الثالث حتى القرن الرابع الميلادي.
3. **المرحلة المتأخرة** – وتمتد من القرن الخامس حتى نهاية القرن السادس الميلادي.

**1 – المرحلة المبكرة – (من القرن الأول حتى القرن الثاني الميلادي):**

تشير التنقيبات الأثريةالتي تمت في الموقع سواء في سطح المدينة أمتلك التي تمت تحت الماء للبحث عن أرصفة الميناء القديم **(القرن الأول – الثاني الميلادي)** إلى أن ميناء قنا كان في قمة ازدهاره، وكانت له علاقات واسعة مع دول حوض البحر الأبيض المتوسط وبلاد ما بين النهرين وشرق إفريقيا والهند، وكانأشهر مركز تجاري على شاطئ البحر العربي، ويظهر ذلك من خلال الملتقطات الأثرية التي عُثِر عليها في الحفريات الأثرية في أماكن مختلفة من المدينة والميناء وتحت الماء، ومعظم هذه المواد واللقى تعود إلى الفترة الدنيا، وهي قطع فخارية مستوردة، وقد شكلت بقايا لامفورات ما نسبته أكثر من 65 ٪ منها(1). وبيّن تحليل هذه المواد أن المرحلة الأولى **(الدنيا)** لتاريخ ميناء قنا **(القرن الأول – الثاني الميلادي)** كانت مرتبطة بتطور التجارة البحرية المصرية (اليونانية – الرومانية) والهندية، وكذلك بتجارة القوافل الرئيسة بالبخور.

(1) Sedove A , V , New , Archaeological and epigrahical , p. 112. 119؛ الشعيبي، ميناء قنا، مرجع سابق، ص 67.

ومنذ القرن الأول الميلادي ظهرت على مسرح الأحداث تلك القوة الناشئة في الهضبة (حِمير) وكانت تسيطر على المناطق الجنوبية الغربية من اليمن بما فيها ميناء مَوْزَع على البحر الأحمر(1)، فازدهر نشاطها التجاري، ولم ينافسها في التجارة البحرية سوى مملكة حضرموت وموانئها **(قنا وسمهرم)**؛ لهذا أخذت تتطلع للسيطرة على حضرموت للهيمنة على تجارتها من خلال تهديد ميناء قنا، وإضعاف نشاطه التجاري، وتحويل التجارة إلى موانئها غربا.

وقد تلقّت مملكة حضرموت أخبارا بأطماع حمير التوسعية، فلجأت لعمل استحكامات وتحصينات عسكرية حول ميناء قنا، كما يشير إلى ذلك نقش (قلت) الذي وُجد على بوابة جدار البناء، وقد كشفت التنقيبات الأثرية تلك عن مبنىً مقسَّم إلى خمس غرف صغيرة مستطيلة الشكل، يعود تاريخه للمرحلة الوسطى من تاريخ ميناء قنا، والجدران المحصنة عن بقايا عدة غرف كبيرة (مخازن) مساحة كل واحدة منها (90) متراً مربعًا، ولها أعمدة تدعم السقف، ويعود تاريخ المباني السفلى إلى المرحلة الدنيا من تاريخ ميناء قنا القرن الأول والثاني الميلاديين(2)، كما أن وجود القلعة والمنارة في أعلى جبل حصن الغراب يعد من إنجازات الملوك الحضارمة، حيث إن هذه القلعة والمنارة تقوم بعددمن الوظائف والمهام لصالح الميناء، ولا نعلم متى بنيت تلك القلعة والمنارة، إذ لم تشر النقوش إلى تاريخ تأسيسها إلا أننا نظن أنها تأسست في المراحل الأولى من تأسيس هذا الميناء، وقد أشارت لها النقوش اليزنية في القرن السادس الميلادي ومنها النقش (CIH 621) ونصه:(3)

---

(1) عبد الله، يوسف محمد، حمير بين الخبر والأثر، مجلة دراسات يمنية، العدد 42، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990م، ص39، 40.
(2) أكوبيان، وآخرون، الأبحاث في أطلال مدينة قنا،، ص75، 76.
(3) CIH I 6 ,7.

6 -... س ط ر و / ذ ن / م س ن د ن / ب ع

7 - ر ن / م و ي ت / ك ث و ب ه و / ج ن أ ت ه و / و خ ل ف ه و / و م أ ج ل ت ه و / و م ن ق ل ت ه و.

**أبرز سمات هذه المرحلة:**

أوضحت التنقيبات الأثرية التي تمت في الميناء والمنطقة المحيطة به أن سلطات مملكة حضرموت قديما قد عملت على بناءالمنارة في أعلى جبل حصن الغراب لإرشاد البواخر[1]، وعملت كذلك على بناء عدد من المخازن التي تبلغ مساحة المخزن الواحد (90) مترا مربعا لتخزين البضائع فيها، والعمل على جمركتها قبل تصديرها للعاصمة شبوة، ثم إلى شمال الجزيرة العربية وإلى غزة في فلسطين، ومنها إلى دول البحر الأبيض المتوسط، وهذايدل على اهتمام الملوك الحضارمة بميناء قنا، علاوة على حجم التبادل التجاري الكبير الذي شهده الميناء في هذه المرحلة، كما أننا لابد أن نشير إلى أن التنقيبات الأثرية لم تستكمل بعد في هذا الميناء، وما زالت بعض المعلومات عن سعة الميناء وحجم المساحة التي كان يشغلها في هذه المرحلة غير معروفة، بعكس المرحلة الوسطى من تاريخ هذا الميناء، الذي قُدرت مساحة الميناء فيها بخمسة هكتارات، كما إنه لا يوجد تاريخ معيَّن لبناء قلعة عرماوية التي بُنيت على قمة جبل حصن الغراب، ولكنني أظن أنها بنيت في مرحلة ازدهار ميناء قنا وتوسع نشاطه في القرن الثاني قبل الميلاد، لحماية الميناء من أي غزو، وربما استعملت مسكنًا ومقرًّا للأمراء والملوك الحضارمة وكبار المسئولين عن هذا الميناء، خصوصا وأن هناك سورا ومعبدا يوجدان بجوار القلعة وطريقا مرصوفة تصعد من الأسفل إلى قمة الجبل.

(1) سيدوف، قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط، مرجع سابق، ص 194.

## 2 -المرحلة الوسطى: (من القرن الثالث حتى القرن الرابع الميلادي):

إن الحدود بين نهاية المرحلة الدنيا المبكرة وبداية المرحلة الوسطى من تاريخ قنا تحددها طبقة توجد بها آثار الخراب والحريق الكبير الذي تعرض له الميناء، إثر الحرب التي شنها الملك السبئي شعر أوتر على مملكة حضرموت عامة وميناء قناعلى وجه الخصوص، في عهد الملك الحضرمي (العزيلط) في بداية الثلاثينيات من القرن الثالث الميلادي(1)، وربما كان سبب هذه الحرب تعارض السياسات والمصالح بين مملكتي سبأ وحضرموت. ومن المعروف أن القرن الثاني الميلادي شهد نزاعا بين ممالك العربية الجنوبية، اشتركت فيه سبأ وحمير وحضرموت وقتبان، ففي بداية هذا القرن انفصلت حمير عن سبأ، ودخلت الحبشة في النزاعات اعتبارا من النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي(2). كما إن مملكة حضرموت كانت تعيش ازدهارًا بفضل الطلب المتزايد على منتجاتها من اللبان والمر، وبفضل موانئها، وأهمية ميناء قنا الذي كان نقطة مهمة في التجارة الدولية البحرية المنتظمة بين مصر والهند وكان الميناء الرئيس في تجارة الترانزيت(3).

وتعد هذه الحرب من أهم الأحداث التي شهدها الميناء في نهاية القرن الثالث الميلادي، وذلك الهجوم الذي شنه القيل السبئي فارع الأقياني بأمر ملك سبأ وذي ريدان (**شعر أوتر**) على العاصمة الحضرمية شبوة وموانئها (قنا)؛ إذ هاجم ودمر الميناء والسفن الراسية فيه(4). وقد ظل الميناء مستعملا حتى القرن الرابع

(1) قرياز، دراسة ميناء قنا القديم، مرجع سابق، ص28 - 29.
(2) عربش، معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي) حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003م، ص12.
(3) بأفقيه، في العربية السعيدة، ج1، ص72.
(4) Doe, husnaL,Ghurab,and,the, Site , of ,Qana , Antiquities , p. 14,

الميلادي بعد تدهور تجارة المواد العطرية، ويعود اكتشاف هذا الموقع إلى الرحالة الأوربي و يلستد[1].

كما أشار نقش عبدان سطر 37 إلى قيام اليزنيين بشراء **خمس سفن في** ميناء قنا **ونصه:** د ن / و م ش ر ق ن / و ض ي ف ت ن / أح د ي / و أ ر ب ع ي / م ض ل ع م / و أ ش ص ن م / و ش أ م و / ب ن / .... / ح و / ب حي ق ن / ق ن أ / خ م س / أ س د ق م / ب ر ج ن ت / و ص د[2]. وهذه الإشارة الموجزة وان لم تُجب على ما نود معرفته عن نشاط الميناء إلا أنها تؤكد أن ميناء قنا عاد إلى نشاطه التجاري بعد تلك الضربات التي وجهها له الملك **السبئي شعر أوتر في حوالي** 230م، وأنه كان في عهد هؤلاء الأقيال يشكل منفذًا مهمًا من منافذ الدولة الحميرية[3].

ونتيجة لعدم العثور على نقوش كافية لإعطاء صورة واضحة عن التجارة في القرون المتأخرة، فإنه يمكن اللجوء إلى المؤشرات غير المباشرة لتكوين تصور أولي عن وضع التجارة في عهد اليزنيين، ولعل أهم تلك المؤشرات تأكيد الباحثين الآثاريين على أن ميناء قنا بعد تدمير **(شعر أوتر)** له في حوالي 230م قد عاد للازدهار واستمر 300 سنة أخرى، وذلك إلى حدود القرن السابع الميلادي[4]، إذ استعيض عن البنايات المهدمة بإقامة مبانٍ جديدة مازالت بقاياها قائمة إلى اليوم، مما يؤكد ازدهار التجارة في اليمن في العهد اليزني[5].

(1) النعيم، نورة عبد الله، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للتوزيع والنشر، الرياض، 1992م، ص 256.

(2) نقش عبدان الكبير، سطر 37.

(3) حبتور، اليزنيون، مرجع سابق، 208.

(4) قرياز نفتش، دراسة ميناء قنا القديم مرجع سابق، ص 55 – 56.

(5) حبتور، اليزنيون، المرجع السابق، ص 206.

ومما لا شك فيه أن استمرار ازدهار ميناء (**قنا**) يعني بالتأكيد ازدهار الطرق التجارية التي تمر عبر الأودية اليزنية، وكذلك ازدهار المدن الداخلية بما فيها مدن الأودية اليزنية، إذ تشير الملتقطات الأثرية إلى وجود بقايا لمواد ذات منشأ خارجي وجدت في المدن الداخلية، ومنها نقب الهجر، ومن هذه المواد ما يعود للفترة الواقعة بين القرنين **الرابع والسادس** من التاريخ الميلادي[1].

ويمكننا القول إن هجوم شعر أوتر على ميناء قنا وتدميره، وتدمير البنايات المحيطة به، يعد عملًا إجراميًّا همجيًّا قام به هذا الملك السبئي تجاه الميناء، ويعكس هذا العمل مدى الحقد الذي وصل إليه الملوك السبئيون على مملكة حضرموت وميناءها الرئيس، إلا أن ذلك العمل لم يوقف نشاط الميناء التجاري طويلًا، ولم يؤثر على مكانته التجارية العالمية، فالتنقيبات التي تمت في الميناء والمواد الأثرية التي عُثِر عليها تؤكد عودة الميناء بعد تدميره إلى نشاطه وازدهاره مجددا، واستمراره إلى حدود القرن السابع الميلادي.

## الإصلاحات التي تمت في هذه المرحلة بعد التدمير:

أن مملكة حضرموت في عهد ملكها **العز يلط** قد قامت بإصلاحات في ميناء قنا والمدينة المجاورة له (**هَجَر قنا**)، ففي مكان البنايات المحطمة والمحروقة أقيمت مبانٍ جديدة ما زالت آثارها وبقاياها موجودة حتى اليوم، مكونة الطبقة العليا من المستوطنة، ومن خلال التنقيبات الأثرية في هذه البنايات وجد أنهم استخدموا في تشييدها حجارة بركانية منحوتة، وبلاطات من البازلت منحوتة نحتًا جيدًا، وبلاطات كلسية أُخذت من البنايات القديمة لقنا في عهد ازدهارها[2].

كما كشفت التنقيبات الأثرية أن سطح ميناء قنا في الفترة الوسطى من تاريخه

(1) قرياز نفتش، دراسة ميناء قنا القديم، المرجع السابق، ص 35.

(2) قرياز، دراسة ميناء قنا القديم، 29مرجع سابق، ص30

قد اتسع اتساعًا كبيرًا ليصل إلى (5 **هكتارات**) أي ما يساوي (50000) متر مربع، كما ظلت التحصينات التي فوق جبل حصن الغراب، مثل القلعة (**عرماوية**)، والمنارة، وكذلك المعبد الذي يوجد في الجهة الجنوبية الغربية لقناشامخة باقية مآثرها حتى اليوم، وكذلك المبنى الديني الذي يوجد في الجهة الشمالية الغربية للمدينة[1]، كما كشفت التنقيبات الأثرية التي نفذتها البعثات الأثرية للتنقيبالتي على سطح الميناء وتحت الماء عن عدد كبير من اللقى الأثرية التي تعود إلى هذه المرحلة كالأمفورات والأواني والصحون والمسارج والمصابيح المستوردة من دول البحر الأبيض المتوسط وبلاد ما بين النهرين وإيران وشرق أفريقيا والهند[2]. ومن المؤكد أن ميناء قنا قد عاد إلى نشاطه التجاري بعد تدميره وإحراقه من قبل الجيش السبئي في عهد الملك شعر أوتر، كما إنه احتفظ بشهرته كميناء تجاري مهم على صعيد التجارة العالمية.

**أبرز سمات هذه المرحلة:**

كشفت التنقيبات الأثرية في المنطقة (6) من مستوطنة قنا التي تقع في الطرف الجنوبي الشرقي للمستوطنة أو المدينة، عند السفح الشمالي لجبل حصن الغراب، في بداية الطريق التي تؤدي للقلعة في قمة الجبل، حيث تم التنقيب في المنطقة خلال موسمين 1988 - 1989م وذلك بالقرب من جدار كبير محصن ذي خمسة أضلاع، مبنية من الكتل الحجرية الضخمة، يمتد على طول سفح حصن الغراب، كشفت تلك التنقيبات عن مبنىً مقسم إلى خمس غرف صغيرة

(1) سيدوف، قنا ميناء كبير بين الهند والبحر الأبيض، ص 195

(2) اكويبان وآخرون، أبحاث في أطلال مدينة قنا، لعام 1988م، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، ج 1، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1988م، ص72.

مستطيلة الشكل، يعود تاريخها للمرحلة الوسطى من تاريخ ميناء قنا، **(القرن الثالث - الرابع الميلادي)** كما كشفت أيضا (تحت هذا المبنى والجدران المحصنة) عن بقايا عدة غرف مخازن كبيرة، مساحة كل واحدة منها (90) مترا مربعا، ولها أعمدة تدعم السقف، ويعود تاريخ المباني السفلى إلى المرحلة الدنيا من تاريخ ميناء قنا القرن الأول والثاني الميلاديين[1]، وعُثِر في هذا الموقع على عدد من اللقى الأثرية كالقطع الفخارية المختلفة المحلية والمستوردة والبخور المحروق وبخور في سلال أو زنابيل مصنوعة من سعف النخيل، كما عثر على عدة مئات من العملات الحضرمية البرونزية والنحاسية[2]، ومن خلال الحفريات التي تمت في المنطقة (6) وما أفرزته من مكتشفات، اتضح أن هذه المنطقة كانت تتضمن المرافق المهمة للميناء والمدينة، كالمخازن والمستودعات والجمارك والمباني الإدارية ومباني الحراسة[3]، مما يوحي لنا أن الميناء شهد إصلاحات وتوسعات كبيرة في الجوانب الإدارية له.

ومما سبق يتضح أن الميناء شهد بعض الأعمال الإنشائية التوسعية، سواء في مجال بناء المخازن أم المباني الإدارية والسكنية أم في التوسع المعماري في مدينة قنا القديمة المجاورة له، حيث أدى ازدياد النشاط التجاري والاستيراد والتصدير إلى زيادة الاستيطان البشري في مدينة قنا، وخصوصا من قبل التجار ومن يعملون فيها.

### 3 - المرحلة العليا المتأخرة (من القرن الخامس إلى القرن السادس الميلادي):

أشارت نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت في الميناء إلى أن ميناء قنا في الفترة العليا المتأخرة **(القرن الخامس والسادس الميلاديين)** قد ضعفت أهميته كميناء

(1) أكويان، وآخرون، الأبحاث في أطلال مدينة قنا، ص 75، 76.

(2) الشعيبي، ميناء قنا، مرجع سابق، ص58.

(3) قرياز، الأبحاث الميدانية، مرجع سابق، 27، 28

رئيس ومركز للتجارة البحرية الدولية لحضرموت وبلاد اليمن بصورة عامة[1]؛ إذ لم يعد الميناء بتلك الأهمية والشهرة الدولية التي كان عليها في المرحلتين الأولى والوسطى من تاريخه، ويرجع ذلك إلى الاضطرابالذي أصاب طرق التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند، وانخفاض الطلب العالمي على سلعة اللبان؛ نظرا لظهور المسيحية واعتناق الدولة الرومانية لها في القرن الرابع الميلادي، وعدم اعتمادها في طقوسها الدينية على اللبان؛ مما أدى إلى تناقص تجارته تدريجيا ثم انعدام أهميته في نهاية الأمر[2]، إلا أن ذلك لا يعني أن ميناء قنا قد فقد علاقته بالموانئ الخارجية الأخرى كليا، إذ تشير التنقيبات إلى احتفاظه بعلاقات تجارية مع موانئ شمال إفريقيا أكسوم، ومناطق جنوب البحر الأبيض المتوسط كمصر وسوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين؛ بدليل العثور فيأثناء الحفريات في الميناء على العديد من القطع الأثرية المستوردة كبقايا الأمفورات المستوردة، وخاصة الأنواع المشهورة والمعروفة التي تشتهر صناعتها في فلسطين ومصر وشواطئ البحر الأسود وشرق إفريقيا، ويعود تاريخها للفترة الواقعة بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين[3]، ويتضح من كثرة هذه القطع الفخارية المستوردةأن الميناء كان على علاقة قوية وواسعة مع موانئ شرق إفريقيا، ويستدل من ذلك أنه قد عاش في المدينة أناس من أصول شرق إفريقيا (إثيوبية)، لاسيما في الجانب الغربي منها[4]. ويبدو أن الجزء الشرقي من قنا كان

(1) قرياز، الأبحاث الميدانية، مرجع سابق، ص 20، 21

(2) عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، (بحوث ومقالات)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا، ط2، 1990م، ص223.

(3) الشعيبي، ميناء قنا، مرجع سابق، ص85.

(4) أكوبيان، الأبحاث في أطلال مدينة قنا، مرجع سابق، ص 74، قرياز، الأبحاث الميدانية الكاملة، مرجع سابق، ص25.

في المرحلة المتأخرة عبارة عن خرائب ثم شيد وعمِّر بمساكن صغيرة بنيت من الحجارة بناءً رديئًا[1].

ويمكن القول إن الأسباب الأنف ذكرها التي تسببت في إضعاف نشاط الميناء، فضلًا عن عوامل أخرى، منها ما شهدته اليمن من أحداث متتالية زعزعت الاستقرار السياسي، قد أدت إلى زوال مملكة حضرموت التي كان قنا ميناءها الرئيس؛ فصارت قنا بعد سقوطها ميناء حميريا تحت سلطة الأقيال اليزنيين، كما تشير إلى ذلك النقوش في هذه الفترة، حتى جاء الأحباش سنة 525م، فقضوا على دولة حمير، ثم تلاهم الفرس الذين سيطروا على اليمن حتى مجيء الإسلام.

ومنذ أن قضى الأحباش على الدولة الحميرية لم نجد في النقوش أي ذكر لميناء قنا، وقد أكدت المكتشفات الأثرية التي حصلت عليها بعثات التنقيب أن ميناء قنا ظل يمارس نشاطه ودوره التجاري خلال هذه الفترة، حتى انتهاء نشاطه تماما في نهاية القرن السادس أوبداية السابع الميلادي، وورثت مكانه موانئ الشحر شرقا وعدن غربا، وغيرهما من الموانئ على الساحل العربي[2]، فبعد ظهور الإسلام ازداد نشاط ميناء عدن التجاري، فكانت السفن تنقل منه السلع إلى موانئ الحجاز والسودان ومصر، وازداد دخل عدن من العوائد الجمركية، حتى غدت الأموال التي كانت ترفع من عدن كل عام تملأ حيِّزا كبيرًا في خزينة الدولة المسيطرة عليها[3]، وشهدت الشحر نشاطا تجاريا كبيرا، لكنها

(1) قرياز، الأبحاث الميدانية، مرجع سابق، ص 25.

(2) أكوبيان، وآخرون، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، ج1، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1988، ص46 51-.

(3) شهاب، حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، 1977م، ص242.

تعرضت لهجمات متكررة من قِبل البرتغاليين وتعرضت المراكب الراسية في مينائها للنهب والقرصنة في بداية العصر الحديث، وقد كانت مدينة كبيرة وسوقًا للخيل واللبان الذكر الذي كان العرب المقيمون في مَلِّيْبار وكمباي يستوردونه ليبيعوه هناك، وكانت ترسو في مينائها المراكب الذاهبة إلى البحر الأحمر؛ لأنها لا تستطيع اجتياز باب المندب عندما كانت الرياح الغربية تهب عكس اتجاهها والوقت متأخر[1].

## الرؤية المستقبلية لميناء قنا الحديث:

منذ بداية القرن السابع الميلادي لم يعد ميناء قنا إلا مرفئًا عاديًّا، واستخدم كمراسي للاصطياد السمكي اليومي لساكني المنطقة (بئر علي وما جاورها)، ومنذ مطلع العام 2015م بدأت فكرة إنشاء ميناء مجاور لميناء قنا القديم ليكون ميناء رسميًّا لمحافظة شبوة، وهو ميناء قنا الحديث.

وتعد المنطقة المحيطة بميناء قنا القديم سواء من جهة الغرب أو من جهة الشرق مناطق ذات الأهمية الإستراتيجية الكبيرة، حيث تحاول الدولة اليوم استغلالها لتصبح موانئ للتصدير، لما تمتلكه من مقومات طبيعية ساعدت على إنشاء الموانئ، حيث توجدبهذه المنطقة حاليا العديد من موانئ التصدير منها (النشيمة لتصدير النفط وميناء بالحاف لتصدير الغاز المسال)، فضلًا عن الميناء الحديث الذي وضعت له حجر الأساس لإنشائه في العام 2018م، فهي منطقة مؤهلة لقيام الموانئ على سواحلها، ومن هنا فإننا سنقوم بإعطاء صورة موجزة عن الخطوات التي أقدمت عليها الدولة والسلطة المحلية بمحافظة شبوة لاستغلال سواحل منطقة بئر علي، على ساحل البحر العربي بمحافظة شبوة، ومن المعلوم أن ميناء قنا القديم والشهير كان يتميز بوجود مرفأين بحريين

(1) نفسه، ص 253.

يتسنى للسفن التجارية الرسو فيهما في كلٍّ من موسمي الرياح، وهما مرفأ (**خليج قنا**) الذي يعرف اليوم برأس بالحاف ومرفأ (**المجدحة**) الذي يقع على بعد 12كم إلى جهة الشرق من ميناء قنا القديم، وهو المرفأ الذي سيقام عليه ميناء **قنا الحديث** التابع لمحافظة شبوة، ويعدهذا المرفأ جزءًا لا يتجزأ من مينا قنا القديم، وبطبيعة الحال سيقام الميناء الحديث (**ميناء قنا**) في مرفأ المجدحة على مساحة تقدر بـ 13كم$^2$ تقريبا[1]، والمجدحة هي خليج يقع إلى الشرق من ميناء قنا ب 12 كم، وهو خليج صالح لرسو السفن فيه طوال العام؛ نظرا لقلة الرياح فيه، وهذا ما جعله مهيَّئا لإنشاء ميناء قنا الحديث عليه.

ومن هنا سارعت السلطة المحلية بمحافظة شبوة لإنشاء هذا الميناء، وشرعت في عملية البناء والتأسيس، حيث أجريت بعض الأعمال الإنشائية في الميناء مكنته من استقبال سفن المشتقات النفطية كمرحلة أولى فقط.

وعلى الصعيد المستقبلي وقَّعت السلطة المحلية بمحافظة شبوة اتفاقًا مع شركة إتش إس الأردنية المصرية للاستشارات الهندسية في الأردن بمكتبها الإقليمي، في أبريل من العام 2021م وتم الاتفاق على عمل الدراسات والتصاميم الهندسية لميناء قنا بمديرية رضوم محافظة شبوة، وقد قامت الشركة بزيارة الموقع وقامت بعمل العديد من المخططات الهندسية، وهي مخططات ذات مواصفات، واحتوت هذه المخططات على الرسومات للمنشآت البحرية التي تتكون من كاسر أمواج رئيس، ورصيف حاويات، وحوض دوران، ورصيف نفطي، وقناة ملاحية، وأرصفة متعددة الأغراض، ورصيف دحرجة، وكاسر أمواج ثانوي، والفنار، ومنزلقات صيانة، كما اشتملت المنشآت البرية عليمبنى الإدارة العامة، ومبنى شركة النفط، وخزانات النفط، وصوامع الغلال، وصوامع

(1) الكديم، صالح مبارك، مدير شركة النفط بشبوة، مقابلة بتاريخ، 12 يوليو 2021م.

الأسمنت، ومبنى أمن الميناء، ومبنى إدارة الجمارك، ومبنى إدارةالأرصفة، ومحطة تزويد بالوقود ومحطة الإطفاء، ومختبرات جودة، ووحدة صحية، ومحجر، وجامع، ومساكن للعاملين، وورش صيانة وترميم، وشبكة طرقات، وسوبر ماركت، ومعهد تدريب بحري، وساحات توسع مستقبلي، ومساحات تخزينية، وسقائف ترانزيت معدنية كبيرة، وورش لصيانة المعدات والشاحنات الكبيرة، ومواقف سيارات، وبوابات رئيسة، وميزان إلكتروني، وساحة تفتيش، وخزانات لتموين البواخر، ومحطة كهرباء، ومنطقة بنوك، ومنطقة خدماتية، ومحطة صرف صحي، ومحطة مياه، ومبنى شرطة، وهناجر تخزين، فضلًا عنصوامع الغلال، وصوامع الأسمنت، وذلك حسب تصميم وتخطيط الموانئ العالمية، على مساحة جغرافية تقدر بـ 13.5 كم$^2$، المرحلة الأولى، فضلًا عن استكمال عمل الماستربلان المخطط الهيكلي للمدينة الصناعية المجاورة للميناء، ومن أجل تنشيط الجوانب الاستثمارية والسياحية في هذه المنطقة المهمة اتفقت السلطة المحلية بمحافظة شبوة مع شركة شبوةبرايد للمقاولات والخدمات السياحية لإقامة مشروع المنتجع السياحيالذي هو عبارة عن مدينة سياحية متكاملة، ويعد هذا المشروع أهم وأكبر المشاريع بمحافظة شبوة الذي يحوي مرافق سياحية متعددة، تشمل شاليهات سياحية ومطاعم ومرافق ترفيهية متكاملة تقام على واحد من أجمل الشواطئ المتميزة في المحافظة، ويتوقع أن يسهم المشروع في الجذب السياحي.

وتأتي هذه الإعمال بعد أن بدأت الحكومة اليمنية إجراءات تشغيل ميناء قنا الجديد عملا بقرار رئيس الجمهورية بهذا الشأن، وجاء ذلك في لقاء نائب رئيس الوزراء في حكومة تصريف الأعمال الدكتور سالم أحمد الخنبشي بمحافظ شبوة[1].

(1) تقرير عن مكتب الإعلام م شبوة، 6 سبتمبر، 2020م.

وبالعودة إلى أهمية ميناء قنا الحديث ودورة المستقبلي وهو الذي سيشكل رافدا جديدا للموانئ اليمنية، ومنفذا بحريا يربط المحافظة بالموانئ الأخرى وموانئ العالم، كما سيشكل موردا ماليا واقتصاديا لخزينة الدولة العامة؛ لما سيتم تحصيله من ضرائب وجمارك وغيرها من الإيرادات والعائدات الأخرى، كما إنه سيسهل للتجار من المحافظة والمحافظات الأخرى المجاورة عملية الاستيراد لبضائعهم التجارية، وكذلك استيراد المشتقات النفطية، كما إن الميناء سيعمل على تصدير منتجات المحافظة من النفط وغيرها، وسيسهم في تشغيل أعداد كبيرة من الأيدي العاملة الماهرة وغير الماهرة، كما سيساعد في تحسين الوضع المعيشي لآلاف العمال من أبناء المحافظة، وإذا ما أحسنت السلطة المحلية بمحافظة شبوة استغلال هذه الفرصة والدعم الرئاسي والحكومي الذي حازت عليه، واجتهدت في العمل على إنشاء ميناء قنا بالطرق العلمية الصحيحة، وبالتعاون والتنسيق مع جهات الاختصاص بالدولة ممثلة بوزارة النقل والمؤسسة العامة لموانئ البحر العربي، وسيصبح هذا الميناء في مصافِّ الموانئ الدولية والعالمية، وسيعيد أمجاد ذلك الميناء العالمي الذي كان يصدَّر منه البخور (المر واللبان) إلى شتى أنحاءالعالم القديم في أوروبا وإفريقيا وآسيا، حيث كان ميناء قنا قديما من أهم موانئ الجزيرة العربية.

إننا على ثقة تامة من أن هذا الميناء سيلعب دورا كبيرا ومحوريا في حركة التجارة الداخلية بين المحافظات، سواء المحافظات الشرقية أم الغربية على حد سواء، وكذلك المحافظات الأخرى المجاورة لمحافظة شبوة من جهة الغرب والجنوبي الغربي، مثل محافظة مأرب ومحافظة البيضاء، خصوصا أن هناك شبكة طرق ممتازة وسالكة تربط ما بين هذه المحافظات ومحافظة شبوة، حيث سيصبح ميناؤها (**قنا**) هو الأقرب لهذه المحافظات من أي ميناء آخر،

كما سيلعب دورا كبيرا في النشاط التجاري والملاحي الخارجي على مستوى الجزيرة العربية.

**الخاتمة:**

يمتلك ميناء قنا الحديث الذي يتم العمل فيه حاليا مقومات طبيعية تجعله في مصاف الموانئ اليمنية وموانئ الجزيرة العربية في المستقبل القريب، حيث يقع هذا الميناء الاستراتيجي في خليج المجدحة، ذلك الخليج الذي يقع إلى الشرق من ميناء قنا القديم، حيث أسهم هذا الخليج في جعل الملاحة مستمرة طوال العام في الميناء القديم، إلى جوانب العوامل الأخرى المتمثلة في حاجة المحافظة للمشتقات النفطية والبضائع، مع ظهور إشكالية صعوبة وصولها للمحافظة في ظل ظروف الحرب، فضلًا عن حاجة المحافظة للإيرادات المالية لتنفيذ المشاريع الخدمية والتنموية في المحافظة، وكل هذه العوامل مجتمعة وغيرها من العوامل الأخرى التي تضمنها البحث جعلت السلطة المحلية في شبوة تفكر في إنشاء الميناء، وتعمل على تشكيل عدد من اللجان المختصة لدراسة هذا الموقع ومدى ملاءمته لإنشاء الميناء فيه، وقد أقرت هذه اللجان في محاضرها النهائية اختيار هذا الموقع لإنشاء الميناء عليه في موقع مرفأ المجدحة أو خليج المجدحة.

وإن تاريخ ميناء قنا الطويل وشهرته العالمية التي حظي بها قديما أعطت دافعًا كبيرًا للسلطة المحلية بمحافظة شبوة لإعادة ذلك الميناء إلى الواجهة، كما أن حاجة المحافظة لهذا الميناء في ظل الظروف الحالية والحرب المستمرة، وبعد مسافة الموانئ الأخرى التي تتلقى محافظة شبوة منها البضائع، سواء كان عدن أم المكلا أم نشطون وما يحصل في الطرقات من تقطعات للبضائع، قد مثلت دافعا آخر لدى السلطة لإنشاء هذا الميناء، خصوصا أن المحافظة تمتلك ثروات

واعدة في مجال النفط والغاز، وهي أرض خصبة للاستثمار في كل القطاعات؛ وهو الأمر الذي يوجب أن يكون فيها ميناء تجاري للاستيراد والتصدير، ومن خلال مراحل تطور الميناء التي تضمنها هذا البحث ابتداء من المرحلة المبكرة والوسطى من تأسيس ميناء قنا القديم اتضح أن الميناء شهد حركة تجارية نشطة مع موانئ العالم القديم منذ البدايات الأولى لتأسيسه، (إلا أن نشاطه التجاري قد توقف تماما في المرحلة الإسلامية وما بعدها) في الوقت الذي برزت فيه موانئ أخرى منافسة له، وسحبت هذه الموانئ البساط من تحته، مثل ميناء الشحر وميناء عدن، فإنشاء هذا الميناء في مرفأ المجدحة الذي يعد أحد مرافئ ميناء قنا القديم يعد بداية المرحلة الحديثة لاستمرار العمل في ميناء قنا الحديث، بغض النظر عن تغيير موقع الميناء القديم إلى موقع خليج المجدحة، فالمجدحة تعد جزءا لا يتجزأ من مكونات ميناء قنا القديم، حيث يعد موقع ميناء قنا القديم اليوم أحد أهم المواقع الأثرية التي خلفتها لنا مملكة حضرموت قديما، أن هذا الميناء سيكون له شأن كبير في المستقبل على مستوى اليمن والجزيرة العربية بل والعالم، وسيكون له مردود اقتصادي كبير على محافظة شبوة خاصة واليمن بشكل عام، فلا غرابة في امتلاك شبوة اليوم ميناء تجاريا استراتيجيا، فقد كانت تمتلكه في التاريخ القديم، وكان هذا الميناء من أهم الموانئ العالمية، وقد وإن ميناء قنا الحديث سيخدم أكثر من محافظة مجاورة لمحافظة شبوة، وسيمد تلك المحافظات بالبضائع التجارية، بتكاليف مالية أقل، خصوصا أنه يعد أقرب الموانئ لتلك المحافظات: مأرب والجوف والبيضاء وأبين، وسيخدم هذا الميناء كل محافظات البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، كما سيكون لهذا الميناء دور مستقبلي في تنشيط حركة التجارة الخارجية مع الموانئ الأخرى العربية والعالمية.

## الاختصارات:

| | |
|---|---|
| مجموعة نقوش جوانزاك ريكمانز | Ry |
| مجموعة نقوش ألبرت جام | Ja |
| Corpus Inscriptionum Semitic arum | CIH |
| مجموعة نقوش احمد حسين شرف الدين | Sh |
| مجموعة نقوش مطهر بن علي الأرياني | IR |

- **نقش عبدان الكبير**.
- **الكتاب المقدس**، كتب العهد القديم والجديد، إصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي، 1983.

## المصادر والمراجع باللغة العربية:

**الجرو، أسمهان سعيد:**

- الطرق البرية والبحرية، مجلة العلوم الاجتماعية الإنسانية، المجلد الثاني، العدد 3، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 1999.
- نشأة الملاحة في ميناء عدن القديم، الندوة العلمية الأولى حول عدن ثغر اليمن، الماضي، الحاضر، المستقبل، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 1999.

**الشعيبي، خالد صالح:**

- التجارة الخارجية لحضرموت قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، العدد 5، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، يوليو، 2008.
- ميناء قنا من القرن الثاني ق. م إلى القرن السادس الميلادي، دراسة تاريخية أثرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عدن، كلية الآداب، 2007.

**الشيبة، عبدالله حسن:**

- ترجمات يمانية (العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية، الديانة في اليمن القديم، منشورات دار الكتاب الجامعي، صنعاء 2008.
- ترجمات يمانية، العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية - الديانة في اليمن القديم، منشورات دار الكتاب الجامعي، ط1، 2008.
- يمنت في النقوش اليمنية القديمة المعنى والدلالة، في: دراسات سبئية، دراسات في الآثار والنقوش والتاريخ مهداة إلى يوسف محمد عبد الله، الساندر ودي ميجرية، كريستيان روبان بمناسبة بلوغهم الستين عاما، صنعاء، نابولي، 2005.

**النعيم، نورة عبدالله:**

- الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد - حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للتوزيع والنشر، الرياض، 1992.

**بافقيه، محمد عبدالقادر:**

- في العربية السعيدة، دارسات تاريخية قصيرة، ج1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1988م.

- مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985.

**بامطرف، محمد عبدالقادر:**

- الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع، مطبعة السلام، عدن، 197.

**بيستون، الفريد، وريكمانز، جاك، والغول، محمود، ومووللر، والتر:**

- المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء، دار نشر بيترز، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م.

**حبتور، ناصر صالح:**

- اليزنيون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، دار الثقافة العربية، الشارقة، جامعة عدن، 2002.

**ريكمانز، جاك:**

- حضارة اليمن قبل الإسلام، ترجمة د. علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، العدد 28، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1987.

**سيدوف، إلكسندر:**

- قنا ميناء كبير بين الهند والبحر الأبيض، في اليمن في بلاد مملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عروكي، مراجعة، د. يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، 1999.

**شير نسكي:**

- أضواء على الآثار اليمنية (تقرير عن الآثار في اليمن الديمقراطي، المركز اليمني للأبحاث الثقافية، وزارة الثقافة والسياحة، عدن، طباعة مؤسسة 14 أكتوبر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1975.

- اليمن مركز هام من مراكز الحضارة الإنسانية، الثقافة الجديدة، العدد 10، السنة 3، 1974.

**شهاب، حسن صالح:**

- أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، 1977.

**عبدالله، يوسف محمد:**

- حمير بين الخبر والأثر، مجلة دراسات يمنية، العدد 42، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990.
- أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، (بحوث ومقالات)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا، ط2، 1990.
- في بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية (دراسة ومختارات)، جمع وترجمة، حميد مطيع العواضي، عبد اللطيف الأدهم، كتاب الثقافة، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2001م.

**عربش، منير:**

- معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي) حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003.

**قرياز، نفتش بطرس:**

- دراسة ميناء قنا القديم، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، ج1، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1987.

**اكويبان، أرم، وباطايع، احمد، وفينوقرادوف، يوري، وسيدوف، الكسندر:**

- الأبحاث في إطلال مدينة قنا، لعام 1988م، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، ج1، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1988م.

**ابن ماجد:**

- حاوية الاختصار في أصول علم البحار، تحقيق وتحليل وترجمة، إبراهيم خورورى، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2001، ص61.
- كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2001.

- الجمهورية اليمنية، 15 عاما من مسيرة البناء والتنمية، كتاب خاص بمناسبة العيد الوطني الخامس عشرللجمهورية اليمنية، مطابع دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، 2005.
- تقارير مكتب الإعلام م / شبوة.
- مذكرات ومقابلات شخصية مع بعض مدراء العموم وبعض الجهات المختصة في محافظة شبوة.

## المصادر والمراجع الأجنبية:

**Do, B,**

- Monuments of South Arabia Falcon Oleander, Italy, England 1983,
- THE Periplus, of the Erythreanseatranslated from the Greek and annoyed by wilfschoffnew York London Bombay and Calcutta, 1912,

**Pliny:**

- Natural History, translated by, H, Rackham, M. A. William Heinemann Ltd, Vol., II, B, VI, Vol. IV, B, XII, London, 1968.
- SedoveA, V, New, Archaeological and epigrahical.
- Doe, husnaL, Ghurab, and, the, Site, of, Qana, Antiquities, No,

**Harding, G, L:**

- Archaeology in the Aden Protectorates, London, 1964.

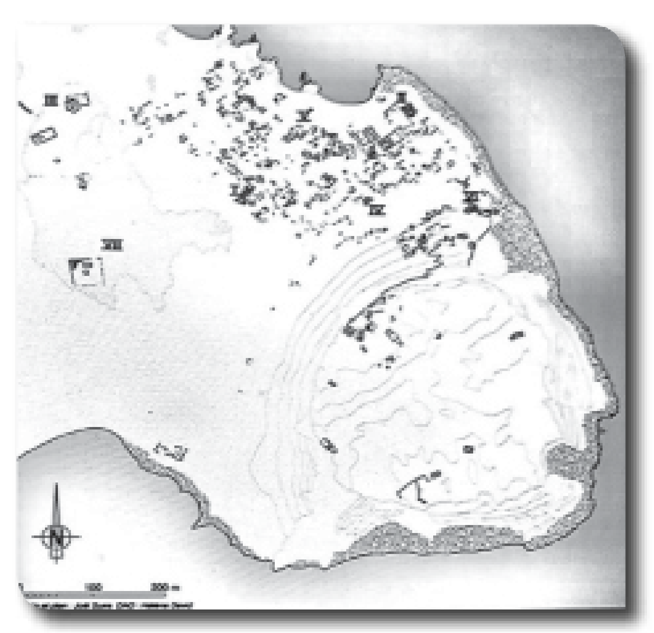
**Rouaud, A, La:**

- Route, des Aromates, in, SABA, (parfums D, Arabia), No, I, France, 1994,

## الملاحق



لوحة (1) توضح ميناء قنا والرصيف ومخازن اللبان والمعبد وطريق حصن الغراب



لوحة (2): خريطة توضح الميناء والمدينة القديمة

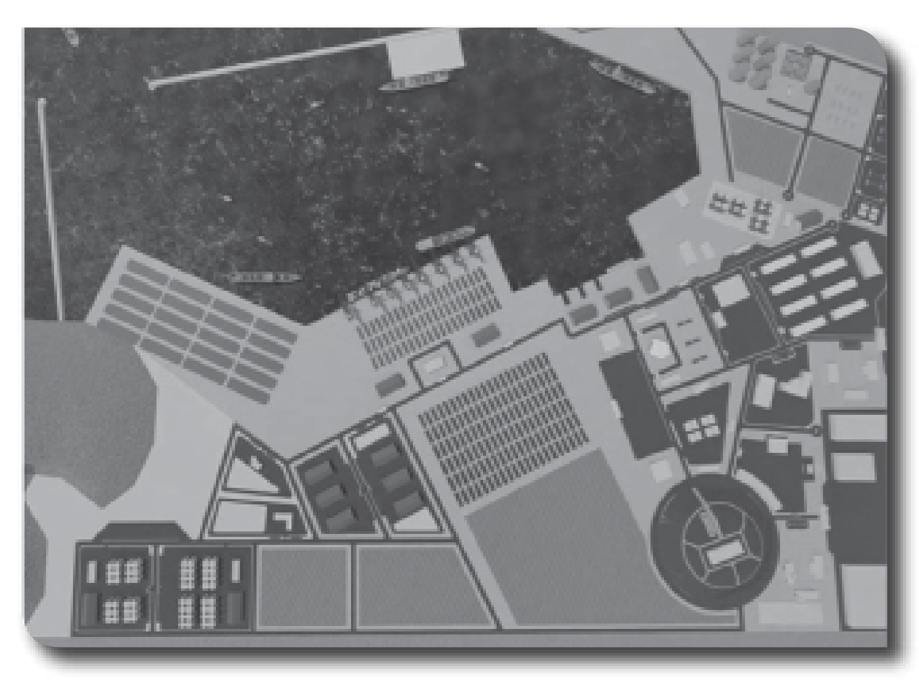
لوحة رقم (3) توضح جبل حصل الغراب



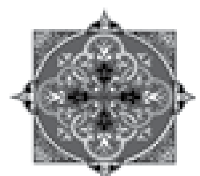
لوحة رقم (4) توضح نقش حصن الغراب CIH 621



لوحة رقم (5) توضح نقش CIH 728تم العثور عليه في جبل حصن الغراب



لوحة (6) مخطط هندسي لجزء من مباني ميناء قنا الحديث



# جوانب من التجاوزات على التراث العمراني لشواخص العراق الأثرية
# دراسة ميدانية

أ. د. قصي منصور التُركي[1]
أ. م د. عبد الله خورشيد عبدالقادر[2]

**الملخص:**

إن الإهمال والتجاوزات على الأبنية التراثية العمرانية العراقية دفعت مجلس الآثار العالمي إلى إدراج المواقع الأثرية في العراق ضمن البلدان المعرضة لخطر الإزالة، لذا فقد توجب على المختصين بالآثار والتراث التنبيه إلى مثل هذه التجاوزات، فكان هذا البحث مدعاة لذلك.

ويهدف البحث على الصعيد المحلي إلى حثّ المخططين العمرانيين والحضريين والباحثين على بلورة خطط الحفاظ المبنية على مبادئ استدامة العمران وعدم السماح للزحف العمراني الحديث للمساس بالشواخص التاريخية من مواقع أثرية وأبنية أثرية وتراثية، بما يضمن التواصل الحضاري لشعب ضربت جذوره أعماق التاريخ.

---

(1) باحث في آثار وحضارة بلاد الرافدين والخليج العربي/ أستراليا.
(2) جامعة صلاح الدين - أربيل / العراق.

وسوف يركزّ بحثنا على أبرز التجاوزات وتحدّيات الحفاظ العمراني لشواخص العراق التاريخية، المتمثلة بسيناريو استهداف الذاكرة الحضارية العراقية، والخطوات الترقيعيّة في التعامل مع هذا الملف الخطير من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة، وضعف الوعي الشعبي بأهمية الشواخص التاريخية.

## Aspects of transgressions on the urban heritage of the Iraq's archaeological features - a field study

**Abstract:**

The neglect and abuse of the Iraqi heritage urban buildings prompted the World Antiquities Council to list the archaeological sites in Iraq among the countries at risk of removal. Therefore, the specialists in archaeology and heritage had to warn about such abuses, and this research was a cause for that.

The research aims at the local level to urge urban planners, urbanists and researchers to crystallize conservation plans based on the principles of sustainable urbanization and not allow modern urban sprawl to prejudice historical features from archaeological sites and archaeological and heritage buildings, in a manner that guarantees civilized communication for a people whose roots are deep in history.

Our research will focus on the most prominent violations and challenges of urban preservation of the historical features of Iraq, represented by the scenario of targeting the Iraqi civilized memory, the patchwork steps in dealing with this dangerous file by successive Iraqi governments, and the weak popular awareness of the importance of historical markers.

**المقدمة:**

لقد جاء في تقرير المجلس منذ سنة 2006م أن «هناك عمليات نهب واسعة واحتلال عسكري ونيران مدفعية وتخريب متعمّد وأعمال عنف وتدمير فيما يبدو أنها عملية تدمير للحضارة الإنسانية»، وهي المرة الأولى في التاريخ التي يتجاوز فيها تعريف «خطورة الإزالة» ليشمل بلدًا كاملًا كالعراق، وفي ظل استمرار تلك المظاهر حتى اللحظة بأجندات وتخطيط ومشاركة من بعض الجهات الخارجية والداخلية، مع الفشل والتواطؤ للحكومة العراقية ذات المصالح الشخصية والحزبية الضيقة التي تقود دفة الأمور نحو مزيد من التراجع في أداء العراق لدوره في البناء الحضاري والإنساني.

ويركزّ بحثنا على أبرز تحدّيات الحفاظ العمراني لشواخص العراق التاريخية، المتمثلة بسيناريو استهداف الذاكرة الحضارية العراقية، والخطوات الترقيعيّة في التعامل مع هذا الملف الخطير من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة، وضعف الوعي الشعبي بأهمية الشواخص التاريخية، ويهدف البحث على الصعيد المحلي إلى حثّ المخططين العمرانيين والحضريين والباحثين على بلورة خطط الحفاظ المبنية على مبادئ استدامة العمران وعدم السماح للزحف العمراني الحديث للمساس بالشواخص التاريخية من مواقع أثرية وأبنية أثرية وتراثية، بما يضمن التواصل الحضاري لشعب ضربت جذوره أعماق التاريخ، وقدّمت أرضه أوضح الصور عن ولادة الحضارات الإنسانية وتعاقبها.

إن الغاية من البحث هي الدعوة إلى ضرورة التحرك الدولي الفاعل بتأمين الموارد المالية والبشرية اللازمة، وتشكيل مجلس وطني عراقي وعربي أعلى للحفاظ على التراث العمراني، وتفعيل القوانين والتشريعات، ونشر الوعي الجماهيري لوقف عمليات التخريب والتهديم والزحف العمراني الحديث، فيما يتطلب الأمر استثمار الخبرات العالمية لإحياء المواقع الأثرية العراقية وتأهيلها ثقافيًا.

## أولًا - الضرورة الحضارية للحفاظ العمراني المستدام:

شهدت أرض الرافدين (العراق) في القرن الماضي وبداية القرن الحالي العديد من الحروب المدمرة التي أسهمت في إهمال التراث العمراني والإنساني وتدميره، فضلًا عن تأثير الزمن والتآكل الطبيعي والكوارث الطبيعية وأثر التكنولوجيا في تسهيل التطور العمراني السريع واختفاء العديد من المباني والمناطق الأثرية لإفساح المجال للطرق والمشروعات العامة والصناعية الكبيرة.

وباختفاء العديد من المباني الأثرية في أثناء الحروب والنزاعات الطائفية والمظاهر المسلحة، بات من الضروري أن يدرك الإنسان العراقي أهمية العمل للحفاظ على ما بقي من تراث عمراني لأن الحفاظ على التراث العمراني مسؤولية تاريخية إنسانية تسهم في الإبقاء على معالم الماضي كي يراها أبناء المستقبل، لاسيما أن التراث العمراني يعكس الهوية الحضارية للإنسان، لذا فإن ضرورة الاهتمام بالتراث العمراني والحفاظ عليه لم تعد تقتصر على الاهتمام المحلى أو القومي، بل غدت رسالة إنسانية تتعاون الشعوب في أدائها، وتتبادل الخبرات بشأنها تحت أشراف منظمات دولية متخصصة أو هيئات إقليمية أو علمية.

إن الاهتمام بالتراث يتجاوز المعنى الخاص إلى ما هو عام، أي ما هو مشترك بين المجتمعات البشرية كلها، ولعله يدل على ما تركه الأسلاف من أفكار وعادات وتقاليد ومعارف وحرف ومبانٍ لأحفادهم، فكانت هذه العناصر المعنوية والمادية تمثل قاسما مشتركا بينهم[1].

(1) العربي، البشير، «دور التراث في التنمية البشرية المستديمة»، كتاب أعمال الندوة الدولية: دور التراث في استدامة التنمية، تونس - صفاقس في 23 - 24 نوفمبر 2007، ص11.

## 1 – أهمية الحفاظ على التراث العمراني والقيمة الحضارة للأبنية الآثارية والتراثية:

على الرغم من تعدد المصطلحات المتعلقة في معنى كلمة (التراث) إلا أن كلمة تراث في اللغات الأوربية عموما (الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية) تتحدر من اللفظة اللاتينية «Patrimonium» وتعني فيما تعني «مُلك العائلة وإرثها» سواء كان ذلك في المعنى المباشر أم المعنى المجازي (Dictionnaire de Sociologie Patrimoine)، ويقينًا فإن العالم اليوم أصبح في ظل العولمة عائلة واحدة؛ لذا فعلى العائلة أن تهتم بإرثها وتراثها، كما أن التراث العمراني يمثل أهم المصادر المادية للأنشطة الإنسانية الاجتماعية والثقافية، فهو يعطينا القدرة على استرجاع المفقود من المعلومات عن أناس عاشوا في عهود سابقة من خلال تتبع الحياة الإنسانية والاجتماعية وتطوراتها، بيد أن قدرة الاسترجاع هذه تجابهها تغيرات سلبية حدثت وتحدث في المجتمع، من أهمها، الانطلاق السريع غير المتقن نحو تحقيق متطلبات الحداثة والرغبة في سرعة التغيير على حساب المباني التراثية مما أفقدها كثيرًا من ارتباطاتها وشخصياتها الحضارية، مما يستوجب ذلك الحفاظ على البيئة بكل مشتملاتها الطبيعية التراثية والمشيدة حديثا[1].

لقد حددت منظمة (ICOMOS) في الميثاق الذي عرف بميثاق «بورّا» (Burra Charter 1981) الخاص بالحفاظ على الأماكن والمباني ذات القيمة الحضارية، عدة معايير تجعل من الأماكن والمباني ذات قيمة حضارية، من بينها[2]:

(1) Boyong C، A study of Conservation of Historic Building and Old Areas، M. of Urban Design, University of Manchester, 1993. p. 13.

(2) مهدي، محمد، التكامل الحضري في المراكز التاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم الهندسة المعمارية – الجامعة التكنلوجية ببغداد، 2008، ص7.

1. معايير تاريخية (Criterions Historical) وهي تلك الجوانب التي تربط الحاضر بالماضي، ذلك الماضي الذي يوصف بكونه قيمًا تاريخية لا يجوز التدخل في تغيير معالمه، بل من الضروري الحفاظ عليه قدر الإمكان.

2. معايير رمزية (Criterions Symbolic) وتشمل تلك المباني والمواقع الأثرية التي يفوح منها عبق التاريخ المخزون الذي ينقل المعنى.

3. معايير الأصالة (Criterions Authenticity) وتعني أن ينفرد المبنى والأثر بالتفرد والخصوصية من خلال الإبقاء على الموجودات الأساسية نفسها المكونة للبناء بقيمه الأصيلة.

4. معايير جمالية (Criterions Aesthetic) وتشمل تناسق المبنى أو المباني وجمالياتها.

5. معايير روحية (Criterions Spiritual) وتعني كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الفهم والتنوير والبصيرة.

إن ادراك المعايير أعلاه وفهمها يتطلب وعيًا ومعرفة بأهمية التراث العمراني، وأي خلل في هذين العاملين يؤدي إلى فقدان معظم الخبرات المتراكمة في مجال العمارة والعمران، ويُعد النمو السكاني وما يواكبه من تطور وتنمية من أهم العوامل الضاغطة على النسيج العمراني (بنوعيه التاريخي والحديث) لمشاركته في التغيير السريع لشخصية النسيج العمراني بما لا يتيح المجال أمام المجتمع للتفكير بما يحدث، وتقييم وضع المدينة القديمة من منظور تاريخي وثقافي وفق العوامل البيئية والزمنية المترابطة والمتداخلة[1]، ولدينا في التداخل العمراني بين

(1) عمارين، إيهاب هاني، « المحافظة على النسيج العمراني التاريخي في الحي المسيحي – مدينة الكرك القديمة»، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1993.

النسيج العمراني التراثي والبناء الحديث ما يوضح هذه الصورة من التجاوز على البناء العمراني التراثي بشكل واضح، ففي إحدى أهم العواصم الآشورية التي تسمى بمدينة «دور - شروكين» (خُرسباد حديثًا) والتي يعود تاريخها إلى القرن الثامن قبل الميلاد[1]، حيث نجد أن بقايا أحد أهم أبنية المدينة وهو معبدها المعروف بمعبد الآلهة السبعة «سيبتي» قد اقتطع من مبناه جزء مهم، وأقيمت عليه طريق معبدة داخل سور المدينة، وبمحاذاة المعبد، فضلًا عن مبانٍ كونكريتية حديثة على سور المدينة الأثرية (ينظر صورة رقم - 1 -).



**(صورة رقم - 1 -) السور الخارجي لمدينة خُرسباد والطريق المعبّدة الرئيسة داخل المدينة والأبنية العمرانية الحديثة بنيت في المدينة الأثرية، بعدسة الباحث.**

(1) Hayim Tadmor, The Campaigns of Sargon II of Assyria: A chronological Historical Study, Journal Cuneiform studies, 12, 1958, p. 94.

### ثانيا - المشاكل الرئيسة التي تواجه عملية الحفاظ العمراني في العراق:

يواجه الحفاظ العمراني في العراق مجموعة من المشاكل يمكن إيعاز أسبابها إلى جوانب اجتماعية واقتصادية، فضلًا عن غياب الوعي بأهمية التراث العمراني، وعدم وجود التمويل اللازم، وضعف الحماية القانونية، وانعدام الآليات الملائمة لمشاركة المجتمع في عملية الحفاظ، فضلًا عن هدم العديد من الأبنية التراثية لأغراض التوسع العمراني، مما يؤدي إلى تفكك النسيج الحضري الممثل الأبرز لثقافة العراق وحضارتها، كما نشير بهذا الصدد إلى انعدام المسوحات والإحصائيات عن المباني التراثية أو ربما قِلّتها في العديد من المحافظات، لاسيما الوسطى والجنوبية، وترميمها غير المستند إلى القواعد الأساسية العلمية، وكل ذلك جاء نتيجة لتراكم عدة مشاكل من أهمها الحروب والصراعات حول السلطة وتغييب الوعي الثقافي على حساب تعضيد السلطة وهيمنتها عسكريا وأمنيا على المنطقة، مع تغليب الدور التنموي في مجالات الطاقة والتصنيع العسكري على حساب الثقافة والتنمية المحلية والاهتمام بالسياحة والتراث العمراني، مع توفر الإمكانيات والثروات الطبيعية وعوائدها، لاسيما النفط والغاز في العراق، بيد أن هذا الأمر لا ينطبق على السياسة الثقافية السياحية في عدد من البلدان العربية التي تتمتع بامتيازات الموارد نفسها، ومنها على سبيل المثال المملكة العربية السعودية وبقية دول الخليج التي وازنت باهتمام بين التنمية البشرية وحفظ الأمن وتقوية السلطة مع الاهتمام بالتراث العمراني والثقافي باعتباره من بين الركائز المهمة لبلدانها[1].

(1) الزهراني، عبد الناصر بن عبد الرحمن «إدارة موارد التراث العمراني»، مركز البحوث في كلية السياحة والآثار جامعة الملك سعود، الرياض 2009م، ص 12 – 14.

ورغم وفرة الموارد ومقومات النهوض في العراق، إلا أن المتتبع لموضوع الاهتمام بالتراث والأبنية العمرانية خصوصا يجد أن الأبنية ومواقعها الأثرية قد تعرضت إلى نوعين من الأخطار هما:

**1. الأخطار الطبيعية:**

وهي الأخطار التي لحقت بالمواقع الأثرية نتيجة العوامل الطبيعية من مناخ وتضاريس وعوامل جيولوجية، تخص أرض العراق على اختلاف أقسامها لاسيما الجنوبية منها، حيث تتواجد أقدم مدن العالم المدنية في منطقة السهل الرسوبي التي تعرضت منذ أزمنة قديمة إلى الدمار الطبيعي.

يسرد لنا أستاذ الآشوريات والمنقب الامريكي المعروف «إدوارد كييرا» (Edward Chiera) (ت 1933م) وصفا للدمار الطبيعي الذي يعصف بمدن العراق الأثرية ومبانيها، في رسالة أرسلها إلى زوجته عند شروعه في التنقيب بمدينة «كيش» الأثرية في أوائل القرن الماضي، وهي تعد أقدم مدن بلاد الرافدين، إذ يقول: «ليس في هذه المدينة عمود قائم أو قوس واقف ليثبت استدامة عمل الإنسان، فكل شيء استحال إلى تراب. برج المعبد نفسه الذي كان أروع تلك الأبنية القديمة كلها، قد فقد شكله الأصلي كليا. أين إذن طبقاته السبع؟ وأين طريق السلم المؤدية إلى القمة؟ وأين المعبد الذي يتوجه؟ ولكننا نشاهد فقط تلًا من التراب، وهو كل ما بقي من آجره الذي كان يعد بالملايين. وعلى قمة هذا التل بعض آثار الجدران ولكن لا شكل لها، وقد أكمل الزمان والإهمال عملهما في أفنائه»[1].

---

(1) كييرا، إدوارد، كتبوا على الطين، ترجمة وتعليق محمود حسين الأمين، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، 1962، ص 9 – 10.

لقد لعب عامل الزمن والإهمال وطبيعة المواد الأولية للبناء مع طبيعة أرض العراق، الأثر البالغ في فناء أغلب أبنية مدن بلاد الرافدين المبنية أساسا من الطين، خاصة في القسم الجنوبي من العراق.

إن أغلب المواقع الأثرية الطينية لا تحتوي على بقايا الأبنية السكنية خاصة في وسط وجنوب العراق، وإن وجدت فحالتها الإنشائية سيئة مقارنة مع بقايا الأبنية الآجرية في شمال العراق، فحالتها أفضل، لكنها عند غياب وسائل الحماية والوقاية من العوامل الطبيعية (الأملاح، والمياه، والفيضانات، والسيول، والأمطار) ستتهرأ بمرور الزمن وتفقد قوة الربط بين القطع الآجرية، وقد تجرفها سيول الأمطار والفيضانات، كما هو الحال في موقع عقرقوف (30 كم غرب بغداد)، وبالذات في المنطقة المحيطة بالزقورة، إذ أزالت الفيضانات من الوجود المباني الدينية المشيدة بالآجر، وإن سلمت المباني من الكوارث الطبيعية، فإن مجرد وجودها مدفونة داخل تربة العراق الرطبة كفيل بهلاكها، وينطبق ذلك على أغلب مدن بلاد الرافدين، ناهيك عن الإهمال والتقصير من قبل إدارة الدولة والمؤسسات المتخصصة في الحفاظ العمراني والتراثي، على العكس من مدن بلاد النيل، حيث إن الأحوال المناخية في مصر تختلف تماما عنها في العراق، فالمناخ الجاف وشحة المطر وكون الرمال عديمة الامتصاص والاحتفاظ بالرطوبة، كفيلة بأن تحفظ الآثار المصرية من أبنية وما بداخلها، فقد وجدت بعض قطع البردي مطمورة في الرمال وهي بحالة جيدة على الرغم من مرور آلاف السنين على كتابتها[1]، كما أن الحكومة المصرية الحديثة تدرك جيدا كما يدرك الشعب المصري أن المواقع الأثرية والتراثية تعتبر وسيلة جذب

(1) كييرا إدوارد، مصدر سابق، ص 23.

للسياح، فالحفاظ عليها يعد رافدًا لدخول الأموال من قطاع السياحة على المستوى الوطني والشعبي.

## 2. الأخطار حديثة المنشأ:

تتلخص الأخطار حديثة المنشأ بجملة من الاحداث والشواهد التي يمكن ملاحظتها على أرض الواقع، إذ هي أخطار آنية حديثة معاصرة تلحق الضرر بالتراث الثقافي، حيث تعرضت المدن والمواقع الأثرية والمباني التراثية العراقية وما تحويه من عناصر التراث العمراني التي لا تقدر بثمن إلى درجة من الدمار لم يتعرض لها أي تراث ثقافي لبلد آخر، والتساؤل الذي يجب طرحه عن الأخطار الحديثة التي تعرضت لها معالم التراث العمراني، لا بد أن يتركز على مسألة مركزية ذات طبيعة تاريخية لهذه الأخطار.

يمكن القول إن الخطر الحقيقي الحديث على التراث الثقافي للعراق قد بدأ مع مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في ظل غياب دولة وطنية قوية، هرِّبت خلال حكمها آلاف من القطع الأثرية بصورة غير شرعية، باتجاه أوروبا وأميركا وآسيا، ثم تباطأ مستوى الضياع الثقافي هذا مع نشأة الدولة العراقية وتأسيسها بعد الحرب العالمية الأولى، ثم إصدار القوانين والتشريعات التي بموجبها يُحفَظ التراث الثقافي للبلاد، والتي حرَّمت التجاوز والتنقيبات غير الأصولية للمواقع الأثرية، كما عملت على منع الاتجار بالآثار مع بقاع العالم المختلفة، ومنها صدور قانون رقم 975 لسنة 1974 المعدل على أول قانون للآثار العراقية والمرقم 59 لسنة 1936[1].

(1) نصوص القوانين والتشريعات العراقية منذ سنة 1960 إلى 2011، الوقائع العراقية الرسمية، بغداد، 2011.

أما في فترة الحرب العراقية الإيرانية، فقد تعرض التراث الثقافي للعراق مرة أخرى للتجاوز والنهب والخراب - خصوصا تلك المواقع الواقعة قرب الحدود مع إيران - لأعمال تدمير بفعل الحرب، علاوة على استخدام عدد من المواقع داخل العراق مقرات قيادة عسكرية، وهو الأمر الذي أدى إلى إلحاق مزيد من الأذى والدمار، مثل موقع «الدير» في بدرة، بينما استُخدمت مواقع أخرى نقاط مراقبة بسبب ارتفاعها مثل موقع «دريهم» في الديوانية ومواقع غيرها تنتشر في المنطقة بين «الشوملي والنعمانية»، كما تعرضت مواقع أثرية أخرى للتدمير بسبب إنشاء قواعد جوية عليها مثل موقع «التليل» الذي استخدمته القوات الجوية البريطانية سابقا قاعدة جوية خلال حقبة الانتداب، واستخدم الموقع نفسه قاعدة جوية في حرب الخليج الثانية عام 1991؛ ونتيجة لضعف الحكومة المركزية بتأثير الحصار الاقتصادي على العراق، بدأت أعمال حفر غير قانونية أدت إلى إلحاق أضرار بليغة بمواقع أثرية في الجنوب العراقي، من بينها مواقع في مدن الديوانية والسماوة وواسط والناصرية، نُهبت على إثرها مئات الآلاف من القطع الأثرية من مواقع متفرقة. وببساطة فمن المعروف أن الجهات القائمة على الاتجار بالآثار المسروقة في أوروبا والولايات المتحدة هي من تدعم أعمال النهب هذه في العصر الحديث[1].

ومع جملة الأخطار هذه المتعلقة بالوضع السياسي للعراق في أواخر القرن الماضي، تبرز أخطار أخرى من نوع آخر إلا أنها أسهمت إسهامًا فاعلًا في تدمير

(1) Raymond W Baker and Others, Cultural Cleansing in Iraq «the Current Status of the Archaeological Heritage of Iraq», Abbas Al – Hussainy, Pluto press, N. Y, 2010, pp. 82 – 83.

التراث العراقي لاسيما العمراني الديني، حيث تعرض للتدمير جرّاء الأعمال الإرهابية والإجرامية، كرد فعل لأعمال القمع والفوضى الذي أحدثه الاحتلال وشيوع ظواهر التطرف الديني الذي بثه المحتل في صفوف المجتمع العراقي، والذي سمح لعناصر مسلحة بالهجوم على بعض الصروح الأثرية لقبور ومزارات دينية مثل «الخلاني والكيلاني» في بغداد و«القبة العسكرية الذهبية» في سامراء «والخضر» في كبيسة و«يحيى بن القاسم» و«عون الدين» في الموصل والعديد من الأضرحة الموجودة في العراق، ويكفي دلالة أن نشير إلى الأذى والدمار الذي تعرضت له مئذنة عانة من قبل متطرفين (ينظر صورة رقم – 2 –)، إذ تعد هذه المئذنة من أغرب المآذن في العراق، مثمّنة الشكل، مبنية من كسر الجص والحجر، يرجح متخصصو الآثار أن بناءها كان في أواخر العصر العباسي الأول والذي انتهى بمقتل الخليفة المتوكل العباسي سنة 247هـ؛ وذلك بالعودة إلى طراز البناء والنقوش والهيكلة والآجر المستخدم في البناء[1]، بيد أنها اليوم مجرد كومة من الأحجار المتناثرة.

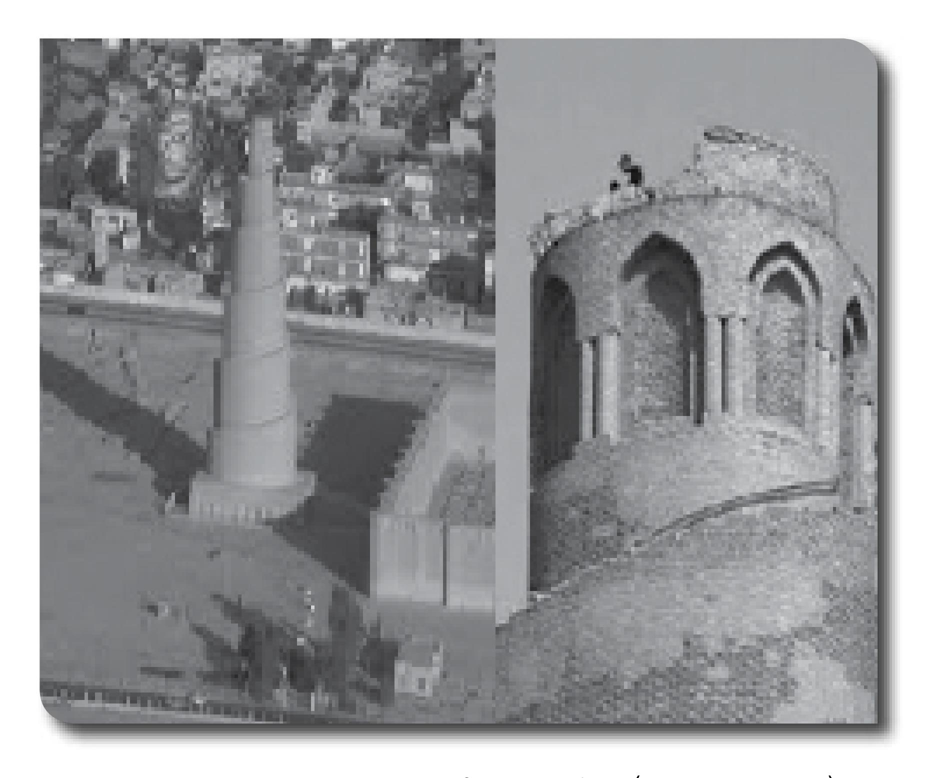
(1) العزاوي، عبدالستار، مئذنة عنة الأثرية تركيبتها وصيانتها، بغداد، 1992م.



**(صورة رقم - 2 -) «مئذنة عنة» أواخر العصر العباسي الأول بحدود سنة 247هـ، حيث تعرضت للتدمير.**

ونتيجة لهذه المخاطر والإهمال المستمر وما تركه الاحتلال من دمار في المواقع الأثرية العراقية، يتعرض التراث الآثاري العراقي لمخاطر جمة، حيث نرى أخطارًا كبيرة محدقة بمواقع عراقية رئيسة مثل أور والوركاء ونفر وبابل والعديد من الخانات (الربع والنص والعطيشي والمصلى والحمد) والكفل وطيسفون وعقرقوف وآشور ونمرود ونينوى والحضر وقلعة كركوك ومدينة البصرة القديمة وواسط العاصمة الإسلامية وباقي العواصم الإسلامية في الكوفة وسامراء، وتعد المدينة الإسلامية الأخيرة التي تحوي جامع الملوية والذي يعد بين أكبر المساجد في العالم الاسلامي والذي بناه هو الخليفة جعفر المتوكل ابن

محمد المعتصم بين سنتي 234 - 237هـ، قبل ألف ومئتي عام تقريبا[1]، حيث تعرضت المئذنة إلى تفجير إجرامي في قمتها بعد أن كانت قوات أمريكية قد اتخذتها مكانا للقنص، حيث فُجِّر جزء كبير من قمة البناء الأثري الشهير الذي يبلغ ارتفاعه الكلي 52م وعدد درجاته 399 درجة (ينظر صورة رقم - 3 -).



**(صورة رقم - 3 -) منظر عام لمئذنة سامراء المعروفة بالملوية مع صورة للجزء المهدم بسبب التفجير الذي طال قمة المئذنة.**

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (ت 310هـ)، طبعة دار سويدان بيروت، وطبعة دار المعارف الطبعة الرابعة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ب. ت)، ص271. كذلك: الحسني، عبد الرزاق، العراق قديمًا وحديثا، ط3، صيدا، مطبعة العرفان، 1985م، ص7.

## ثالثا - إهمال المباني العمرانية التراثية والتوسع على حساب الأبنية الأثرية:

لقد شهد العراق حركة سريعة في التوسع العمراني في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي وفي السنوات الأخيرة من العقد الحالي؛ ونتيجة لعدم وجود خطة للحفاظ على المناطق التراثية وحمايتها من التدهور والزحف العمراني الحديث، فقد تعرضت هذه المناطق إلى أضرار بالغة من تدهور في مبانيها التراثية المهمة، فضلًا عن تجاوز الأفراد على المواقع الأثرية والتراثية وإنشاء أبنية حديثة، يمكن تناولها على النحو الآتي:

### 1. المباني التراثية والبناء العمراني:

يحتوي العراق على آلاف المباني التراثية بل هناك شوارع تراثية بكاملها، ففي بغداد على سبيل المثال أصبحت الشوارع والأحياء والبيوت التراثية متناثرة البقايا (ينظر صورة رقم – 4 –)، وغير مرتبطة ببعضها بعضًا، وبالنسيج العمراني القديم الذي كان يمثل قلب المدينة العتيقة ومركزها التجاري والسكني، وبالتالي دُمِّرت أهم معالم المدينة القديمة، وأصابها الخراب بعد إهمال لعقود من الزمن، ففقدت أبنيتها بعضا من قيمتها الحضارية والتراثية العمرانية، كما أدت عناصر حداثوية في البنية الاجتماعية للعادات والتقاليد إلى غياب عادات مرتبطة بالتراث العمراني ومن بينها الحمامات، فعلى سبيل المثال كانت في بغداد لوحدها خلال عصر الخليفة المأمون حسب ما نقله ابن خلدون (65000) حمام، بينما تعد اليوم على الأصابع، ونص «ابن خلدون» في مقدمته على الآتي: «ذكر الخطيب في تاريخه أن الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المأمون خمسة وستين ألف حمام»[1]. وبالرجوع الى ما قاله الخطيب

(1) ابن خلدون، المقدمة، دار صادر، بيروت، ط2، 2006، ص 256.

البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» أن عدد الحمامات كانت في ذلك الوقت ببغداد ستين ألف حمام».[1] كما نقل أقوالاً أخرى في عدد حمامات بغداد، ونصُّ كلامه «قال جدي: فأما المساجد، فلا أذكر ما قيل فيها كثرة، وأما الحمامات فكانت بضعة عشر ألف حمام».[2]



**(صورة رقم - 4 -) زقاق في أحد أحياء مدينة بغداد العتيقة وشرفة بناء آيلة للسقوط تطل على شارع الرشيد ببغداد القديمة ناحية الرصافة (عدسة**

(1) ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت 463هـ): تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ- 2002م، ج1، ص439.

(2) المصدر نفسه، ص440

**الباحث)**

### 2. التوسع العمراني على حساب الأبنية والمواقع الأثرية:

لقد ظهرت تجاوزات على المباني والمواقع الأثرية، مما شوّه صورة المدينة الأثرية، ومنع فرصة العمل على استظهار المباني العمرانية لمدن كانت عواصم للإمبراطوريات التي حكمت بلاد الرافدين والشرق الأدنى القديم برمته، ففي بعض المدن الأثرية المهمة في التاريخ الآشوري الحديث، ومن بينها آخر العواصم الآشورية «دور – شروكين» حدث التجاوز على موقعها الأثري بحيث يشاهد تشييد بيت من الكونكريت على أرضية قصر الملك الآشوري سرجون نفسه، وربما يكون البيت قد اكتمل بناؤه حين ينشر البحث. (انظر صورة البناء رقم – 5 –).



**(صورة رقم - 5 -) صورة تجاوز لبناء حجري وكونكريتي حديث قيد الإنشاء**

**على قمة تل قصر الملك شروكين، بعدسة الباحث.**

وتجدر الإشارة إلى أن الذي يقرأ ويشاهد مخططات قصر الملك العظيم «شروكين» (سرجون الآشوري) في أثناء نشر نتائج التنقيبات الخاصة عن القصر وبعدها[1]، سيجد نفسه غير مصدق لتلك المعلومات إذا ما وقف على أطلال القصر المذكور اليوم ومكانه؛ إذ يجد تلًّا متواضعًا من التراب، على سفحه وبالقرب من بقايا أحجار سوره أقام السكان المحليون ملعبًا لكرة القدم فضلًا عن البناء السكني السالف الذكر، (انظر الصورة المرفقة رقم – 6 –).

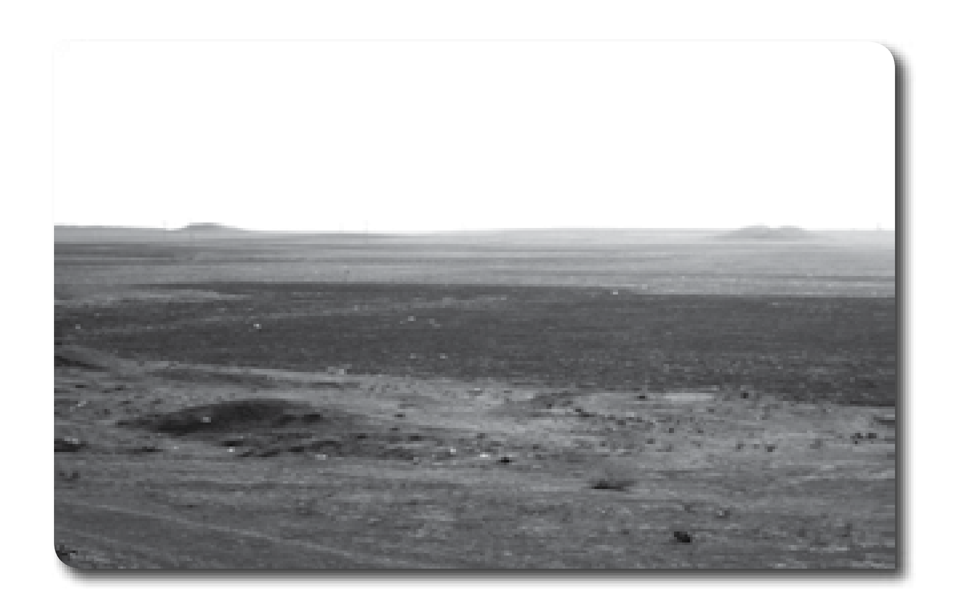


**(صورة رقم - 6 -) التل الذي من المفترض أن يقع**

(1) قصي منصور عبدالكريم، نص مسماري على طابوقة بناء من مدينة خُرسباد الأثرية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد18 كانون أول 2014، ص 205 – 212.

**تحت أكوام اتربته قصر الملك شروكين، بعدسة الباحث**

واستكمالا للتجاوز على الشواخص والأبنية الأثرية للمدينة نفسها التي اتخذناها نموذجًا للدراسة، نجد أن أرض المدينة قد حرثت وهي مهيأة للزراعة التي تعتمد على الأمطار الديمية، والكارثة أن هذا الحرث قد تم داخل مدينة «شروكين» أو «خرسباد» كما هو شائع (انظر الصورة المرفقة رقم - 7 -).



**(صورة رقم - 7 -) منظر عام للأرض المحروثة والمهيأة للزراعة داخل مدينة خورسباد الأثرية، بعدسة الباحث**

وعلى الرغم من المظاهر السلبية التي ذكرناها آنفا إلا أنها لا تزال الفرصة مواتية من أجل إنقاذ ما تبقى من معالم التراث العمراني في المدن الأثرية القديمة والاسلامية، وذلك من خلال:

1. منع قيام مبانٍ حديثة خرسانية على أراضي المواقع والمدن الأثرية،

وعدم السماح بإنشاء أبنية تحمل طابع التناقض مع الأبنية التراثية القريبة منها كبناء الأبراج الكونكريتية أو الهياكل الحديدية التي لا تتناسب مع النسيج التراثي للأبنية العمرانية القديمة.

2. إعادة ترميم الأحياء والشوارع التراثية وبنائها في حالات تأثر أبنية عمرانية بما أصابها من تدمير بسبب الإهمال والحروب، كما حدث في مدن أوربية دُمِّرت مبانيها التراثية في الحرب العالمية الثانية، حيث أعيد بناء شوارعها ومبانيها مما كان له بالغ الأثر في ازدهار السياحة الثقافية لتلك البلدان ومن بينها ألمانيا وبولندا على سبيل المثال.

3. إعداد خطط للتطوير والصيانة والترميم العلمي المتقن للمباني التراثية القديمة بما ينسجم مع المواد المستخدمة في البناء الأصلي، والحرص على عدم إدخال مواد جديدة تضر بالمبنى وتشوه صورته وشكله الأصلي من حيث استخدام مواد الترميم والصيانة، ولدينا في ذلك مثال حي حول صيانة مدن أثرية مهمة كمدينة نمرود (كالخ) من العصر الآشوري الوسيط[1] حيث استخدمت مواد لترميم الجدران والأرضيات والبوابات بما فيها من أقواس، اكسبتها الصفة الأثرية والصبغة التاريخية. (انظر الصور المرفقة رقم – 8 – و – 9 –).

(1) Mark Altaweel and Muzahim Mahmoud Hussein, Nimrud: The Queens' Tombs by Oriental Institute of the University of Chicago, Hardback, 2016,p. 3.



(صورة رقم - 8 -) أعمال صيانة احد جدران الأبنية العمرانية في مدينة نمرود، عدسة الباحث



(صورة رقم - 9 -) مدخل مدينة آشور ويظهر فيه إعادة بناء قوس مدخل المدينة بما ينسجم مع الطابع الأثري، بعدسة الباحث

إن التراث العمراني للمدن والأقضية بدأ يتلاشى بسبب السياسة العشوائية في البناء؛ لذا فإن الدعوة ملحة إلى كافة المؤسسات الرسمية والأهلية المهتمة بالحفاظ على التراث الثقافي وصناع القرار لتبادل الأفكار والاقتراحات، وذلك سعيًا للحفاظ على التراث العمراني.

### 3. تنفيذ المشاريع الإروائية على أراضي الأبنية التراثية:

تتطلب الحاجة الزراعية في العراق إلى القيام بمشاريع إروائية مختلفة من ضمنها تشييد السدود لرفع منسوب النهر وتوزيعه على مساحات أكبر من الأراضي الزراعية عبر قنوات إروائية، ومن سوء حظ المواقع الأثرية في أغلب مدن العراق ونواحيه وقصباته الزراعية أنها تقع ضمن الأراضي الزراعية المشمولة بالمشروع الإروائي، وقد أقامت الحكومة في العراق الحديث على مدى القرن الماضي أكثر من مشروع لبناء سدود في مناطق الوسط والجنوب وأعالي الفرات، من أهمها في الربع الأخير من القرن الماضي، سدّي «حمرين» في ديالى بوسط العراق و«حديثة» في الأنبار بأعالي الفرات، وقد أدت إلى غمر كافة المواقع الأثرية المشمولة ضمن منطقة الإرواء في منطقة حوض سد حمرين، التي بلغت حوالي (70) موقعًا»[1] وفي «حديثة» (85) موقعًا أثريًا وعشرات القرى. وقد عمدت الحكومة العراقية في العقود الأخيرة من القرن المنصرم إلى إنشاء مشاريع زراعية كتلك التي قامت بها شركة «سابانيوس» اليونانية مما أضر بالتراث الآثاري، وعرف هذا المشروع « بمشروع النهر الثالث» الذي أنشيء في الأساس لزيادة الإنتاج الزراعي، وهو المشروع الذي ألحق أضرارًا ببعض المواقع السومرية لإنشائه في سهل نهر دجلة الجاف العتيق[2].

(1) أبو الصوف، بهنام، الجغرافية التاريخية لحوض سد حمرين، مجلة سومر، مجلد 35، لسنة 1979، ص 416.

(2) Raymond W Baker and Others, op. cit, pp. 85 – 86.

أما في هذا العام وفي أحدث أعمال المشاريع الإروائية الحكومية تقوم شركة حكومية بتنفيذ مشروع إروائي على موقع أثري يدعى «تل الصخيري»، الواقع في ناحية الكرمة التابعة لقضاء الفلوجة بمحافظة الأنبار، يعود تاريخه كما هو متوقع إلى العصر الآشوري الحديث والفرثي وربما الإسلامي، ويمكن مشاهدة نسبة الدمار الحاصل جراء رفع التراب رفعًا عشوائيًّا بمساحة تقدر بحوالي 200 متر مربع من سطح الموقع الأثري دون إجراء مسوحات أو كشوف أثرية، كما أفاد بذلك مدير مفتشية آثار الأنبار الذي زودنا بهذه الصورة الحديثة لعمليات رفع الاتربة (ينظر صورة رقم - 10 -).



**(صورة رقم - 10 -) تل الصخيري الأثري قبل عمليات التجريف وحمل الأتربة دون أعمال المسح والتنقيب وبعدها، عدسة مفتشية آثار الأنبار**

## الخاتمة والاستنتاجات:

تستند الاستراتيجية التي يقدمها البحث للحفاظ على المباني الأثرية والعمرانية من الزحف العمراني الحديث والأخطار الأخرى، إلى المقومات والعناصر الطبيعية والبشرية التي يتمتع بها العراق كالإرث الحضاري وامتداده في عمق التاريخ البشري ممثلا بالموروث المعرفي والمعماري والتخطيطي وقيام أقدم الحضارات في العالم، تلك التي تحكي قصة الإنجاز الحضاري العراقي في مختلف بيئات البلاد في الصحراء كما في الجبال والسهول والأهوار فضلا عن السياحة الدينية، خاصة أن العراق تشرفت بدعوات الرسل والأنبياء ومرور الصحابة الأوفياء والأئمة الأطهار والخلفاء الأخيار، وقلّما يمتلك بلد آخر نظيرا له، ولتنفيذ هذه الاستراتيجية، نقترح تبني الخطوات الآتية ضمن خطة على المدى القصير والمتوسط قد تمتد إلى 15 سنة قادمة لتتضمن ما يأتي:

1. تفعيل قانون الآثار العراقية والجرم المنصوص على كل من الحيازة والمتاجرة بهذه الآثار لعدها تراثًا إنسانيًا.
2. إصدار القوانين التي تعاقب كل من يتجاوز على المواقع الأثرية والأبنية التراثية، ويشمل ذلك معاقبة عمليات التهدين للأبنية أو تشييد الأبنية الحديثة على الأراضي الأثرية والتراثية.
3. دعم سكان المناطق التي تحوي المواقع الأثرية ووجهائها وشيوخها وتقديم كافة الإمكانيات اللازمة لحماية هذه المواقع، وإن تطلب الأمر تأسيس قوات عسكرية على غرار حماية المنشآت تسمى قوات حماية الآثار.
4. تقديم مبالغ نقدية مشجعة للمواطنين لكل من يحمي المواقع الأثرية والأبنية التراثية ويرعاها أو من يسلم لقيًا أثرية للمتاحف العراقية أو دوائر الآثار في المحافظات.

5. تتولى الهيئة العامة للآثار والتراث توعية المواطنين بأهمية الآثار العراقية وضرورة المحافظة عليها.

6. قيام علماء الدين بإصدار الفتاوى بتحريم المتاجرة بالآثار العراقية أو مساعدة كل من يقوم بذلك تحريمًا واضحًا.

7. إشراك البعثات الأجنبية في التنقيب أو الصيانة والترميم، وإيجاد السبل المشجعة لمجيئها كما هو الحال في التنقيبات الحاصلة في إقليم كوردستان – العراق من قِبل بعثات أجنبية (بريطانية، ألمانية، فرنسية، هولندية).

# ثبت المصادر والمراجع

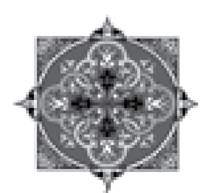
## أولا – المصادر والمراجع العربية:

1. ابن خلدون، المقدمة، دار صادر، بيروت، ط2، 2006.
2. أبو الصوف، بهنام، الجغرافية التاريخية لحوض سد حمرين، مجلة سومر، مجلد 35، لسنة 1979.
3. الحسني، عبد الرزاق، العراق قديمًا وحديثا، ط3، صيدا، مطبعة العرفان، 1985م.
4. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت 463هـ): تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ - 2002م، ج1.
5. الزهراني، عبد الناصر بن عبد الرحمن «إدارة موارد التراث العمراني»، مركز البحوث في كلية السياحة والآثار جامعة الملك سعود، الرياض 2009م.
6. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (ت 310هـ)، طبعة دار سويدان - بيروت، وطبعة دار المعارف - الطبعة الرابعة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ب. ت).
7. العربي، البشير، «دور التراث في التنمية البشرية المستديمة»، أعمال الندوة الدولية: دور التراث في استدامة التنمية، تونس - صفاقس في 23 - 24 نوفمبر2007.
8. العزاوي، عبدالستار، مئذنة عنة الأثرية تركيبتها وصيانتها، بغداد، 1992م.
9. عمارين، إيهاب هاني، « المحافظة على النسيج العمراني التاريخي في الحي المسيحي - مدينة الكرك القديمة »، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1993.
10. قصي منصور عبدالكريم، نص مسماري على طابوقة بناء من مدينة خُرسباد الأثرية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد18 كانون الاول 2014.
11. كييرا، إدوارد، كتبوا على الطين، ترجمة وتعليق محمود حسين الأمين، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، 1962.
12. مهدي، محمد، التكامل الحضري في المراكز التاريخية، رسالة ماجستير غير

منشـورة، مقدمـة إلـى قسـم الهندسـة المعماريـة – الجامعـة التكنلوجيـة ببغـداد، 2008.
13. نصـوص القوانيـن والتشـريعات العراقية منذ سـنة 1960 إلـى 2011، الوقائع العراقية الرسـمية، بغداد، 2011.

## ثانيا – المصادر والمراجع الإنجليزية:

1. Boyong C، A study of Conservation of Historic Building and Old Areas، M. of Urban Design, University of Manchester, 1993.
2. Dictionnaire de Sociologie, Le Robert ET Seuil, Paris, 1999. Entrée: Patrimoine
3. Hayim Tadmor, The Campaigns of Sargon II of Assyria: A chronological Historical Study, Journal Cuneiform studies, 12, 1958.
4. Mark Altaweel and Muzahim Mahmoud Hussein, Nimrud: The Queens' Tombs by Oriental Institute of the University of Chicago, Hardback, 2016.
5. Raymond W Baker and Others, Cultural Cleansing in Iraq "the Current Status of the Archaeological Heritage of Iraq", Abbas Al – Hussainy,Pluto press, N. Y, 2010.



# العلاقات اليمنية المغربية منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب

د. سعيد ناجي غالب قائد إسكندر[1]

## ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على العلاقات اليمنية المغربية منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، وتتبع البواكير الأولى لنشأة تلك العلاقات، وتحديد أبرز السمات المشتركة والمحطات المتشابهة بين اليمن وبلاد المغرب عشية ظهور الإسلام، وكيف أسهم الفتح الإسلامي في إعادة جسور التواصل بين اليمن وبلاد المغرب، والذي ظهر جليا في التناغم والانسجام بين العنصر اليمني الفاتح وبين السكان البربر المغاربة في أثناء محطات الفتح الإسلامي المتعددة.

اعتمد البحث المنهج التاريخي والمنهج المقارن في استنباط وتحليل نصوص المصادر العربية التي مثلت الأساس الذي استندنا عليه في بناء هذا البحث، فضلا عن بعض الدراسات الحديثة التي قاربت الموضوع.

---

(1) أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك بقسم التاريخ والعلوم السياسية - كلية الآداب/ جامعة تعز (اليمن).

# Yemeni - Maghreb relations since the rise of Islam until the end of the Islamic conquests of Maghreb


## Abstract:

This research aims to shed light on the Yemeni - Maghreb relations since the emergence of Islam until the end of the Islamic conquests of Maghreb. It traces the early starts of these relations and identifies the most common features and similar stages between Yemen and Maghreb on the eve of the rise of Islam. It also explores how the Islamic conquests contributed to re - establishing bridges of communication between Yemen and Maghreb which was evident in the harmony between the Yemeni conquerors and the Maghreb Berber population during the various stages of the Islamic conquest.

The research has adopted the historical and the comparative method in deriving and analyzing the texts of Arabic sources that represented the basis on which the researcher relied on to structure this research in addition to some recent studies that approached the topic.


## مقدمة:

يعد التاريخ العلائقي بوابة العبور الرئيسة لردم الفجوات وهدم الجدران وبناء الجسور بين الأمم والشعوب عبر تاريخها الطويل، فضلا عن أنه يطلع الباحث والقارئ على خصوصيات كل أمة وما تمتاز به من ثقافة وفكر يميزها عن غيرها، كما أنه – التاريخ العلائقي – يؤدي في محصلته النهائية إلى الإسهام الفاعل تأثيرًا وتأثرًا في بناء الحضارة الإنسانية عموما، واليمن وبلاد المغرب بوصفها جزءًا من عالمنا الإسلامي اليوم أو جزءًا من دار الإسلام في الأمس؛

انفردا منذ عصور مبكرة عن كثير من البلاد الإسلامية بروابط وصلات وثيقة، أعطتهما خصوصيات ميزتهما عن غيرهما.

وقد كان لموقع اليمن(1) وبلاد المغرب(2)؛ وطرف داريتهما، ووعورة طبيعتهما، وتنوع تضاريسهما، وطباع ساكنيهما، وتركيبتهما الاجتماعية، فضلا عن التقارب والتشابه الكبير في كثير من المحطات التاريخية التي مرا بها؛ دورٌ في قيام علاقات وروابط متينة بين البلدين، تبلورت ملامحها بجلاء مع ظهور الإسلام وانضواء بلاد المغرب تحت رايته في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي.

(1) كانت حدود اليمن في المدة المدروسة أوسع من حدوده اليوم، فقد ترامت أطرافه من البحر الأحمر « القلزم» غربا، إلى حدود العراق شرقا، شاملا أجزاء واسعة من عمان والخليج العربي، ومن بحر العرب وخليج عدن جنوبا حتى حدود مكة ونجد والحجاز شمالا، فضلا عن مئات الجزر المتناثرة على امتداد سواحله البحرية الطويلة. انظر: الهمداني (أبا الحسن محمد بن أحمد تـ360هـ): صفة جزيرة العرب، ص86 93، والأصطخري (أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي تـ 346هـ): مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/ 1961م، ص21، 26، وابن حوقل (أبا القاسم محمد النصيبي تـ367هـ): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص29، والحموي (ياقوت بن عبدالله تـ 626هـ) « معجم البلدان»، مج4، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 2008، ص509 510، والحجري (محمد بن أحمد): مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج2، تحقيق ومراجعة إسماعيل بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، اليمن، ط1، 1984، ص786 790.

(2) المقصود ببلاد المغرب الأراضي الممتدة من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي، ويحدها شمالًا بحر الروم (المتوسط)؛ وجنوبًا الصحراء التي تفصلها عن بلاد السودان، وتشمل حاليا (ليبيا، تونس، الجزائر، المملكة المغربية، موريتانيا). انظر: البكري (أبا عبيد عبدالله بن عبد العزيز تـ487هـ): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس، طبعة 1965، ص21، وعزاوي (أحمد): مختصر في تاريخ الغرب الاسلامي، ج1، مطبعة ربا نت، الرباط، ط2، 1430/ 2009، ص9.

من هـذه المعطيـات ينطلـق بحثنـا ليعالـج إشـكالية محوريـة مفادهـا: البحث عن تاريـخ نشـأة العلاقـات الأولـى بين اليمـن وبلاد المغـرب، والظروف التي سـاعدت على نشـأة تلك العلاقـات، ومـا أبـرز السـمات المشـتركة والمتشـابهة التـي ميزت المنطقتيـن عشـية ظهـور الإسـلام، وكيـف أسـهم الفتـح الإسـلامي في القـرن الأول الهجـري في اسـتمرارية وتطويـر تلـك العلاقـات بيـن البلدين؟

ولمقاربـة الموضـوع قمنـا بتقسـيم هـذا البحـث إلـى تمهيـد ومحوريـن رئيسـين علـى النحـو الآتي: التمهيـد تحدثنـا فيـه عـن البواكيـر الأولـى للعلاقـات اليمنيـة المغربيـة، وتنـاول المحـور الأول أبـرز السـمات المشـتركة بيـن المنطقتيـن عشـية ظهـور الإسـلام، وتنـاول المحـور الثـاني الفتـح الإسـلامي وإعـادة جسـور التواصل بيـن اليمـن وبـلاد المغـرب.

## تمهيد - البواكير الأولى للعلاقات اليمنية المغربية

رغـم الصعوبـات التي يجدها الباحـث المتتبع للبدايات الأولى لنشـأة العلاقات بيـن اليمـن وبـلاد المغـرب، بسـبب شـحة المعلومـات، والبعـد المكـاني بيـن المنطقتيـن؛ إلا أننـا لا نعـدم بعـض الإشـارات المصدريـة التـي تدلـل علـى وجـود تلـك العلاقـات منـذ القـدم، يذكـر البكـري في هذا الصدد مثلا؛ أن هناك آثـارًا قديمة وقبـورًا في قرطاجنـة مكتـوب عليهـا بعـض العبـارات بالكتابـة الحميريـة اليمنيـة القديمـة[1]؛ وهـو مـا يعنـي أن هنـاك عناصـر يمنية قد اسـتقرت في إفريقيـة منذ فترات مبكـرة في التاريـخ، وسـاهمت في البنـاء الحضـاري لتلـك المنطقـة، والظاهـر أن تلك الآثـار ترجـع إلـى أيـام ازدهـار الحضـارة اليمنيـة القديمـة، إذ تشـير بعـض النقـوش

(1) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص45.

إلى قيام علاقات تجارية بين اليمنيين القدامى وبلدان العالم الخارجي[1]؛ نتج عنها استقرار لمجاميع يمنية في تلك البلدان، وما يؤيد قيام رحلات يمنية في ذلك التاريخ المبكر هو العثور على نقش يحمل اسم آلهة دولة معين في جزيرة ديلوس في اليونان[2]؛ ويُخيلُ إلينا أن تلك الوفود التجارية قد مرت عبر إفريقية ذهابا وإيابا، وخصوصا مدنه التجارية الساحلية، ومنها قرطاجنة التي عثر فيها على شواهد مدونة بالكتابة الحميرية حسب ما ذكر البكري كما أسلفنا.

ومن الإشارات المصدرية التي تؤكد وجود صلات قديمة بين البلدين، ما أورده المؤرخ ابن خلدون عن جولات لملوك من اليمن إلى بلاد المغرب، ففي هذا الصدد يذكر أن ملكًا من التبابعة اسمه « إفريقش بن قيس بن صيفي» قد جال بجيوشه في ربوع بلاد البربر[3]؛ وبه سميت إفريقية، كما يُنسب إليه - التبع الحميري - تعجبه من اختلاف لهجات البربر وتنوعها، وقوله عنهم ما أكثر بربرتكم؛ فشاع هذا النعت على ساكنة تلك البلاد[4]؛ وإن كان نسابة البربر لا يقبلون تلك التفسيرات حسب ابن خلدون نفسه.

(1) بافقيه (محمد عبدالقادر): تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، لبنان، 1985، ص28.

(2) نفسه، الصفحة نفسها.

(3) على الرغم مِمَّا قد يخالط هذه الإشارات من المبالغات الأسطورية، فإنه لا يُستبعد منها وجود خيط لعلاقات ربطت المنطقتين في تلك العصور الباكرة.

(4) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد تـ808هـ): مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ص18، وقارنه بابن منبه (وهب الأبناوي الصنعاني تـ114هـ): كتاب التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والبحوث + الجيل الجديد، صنعاء، ط3، 2008، ص371 - 372، وانظر: إسماعيل مولاي عبد الحميد: سيماء الحضارة اليمنية في المغرب الأقصى، بحث مقدم في ندوة بعنوان» اليمن عبر التاريخ» خلال الفترة من 23 - 25 سبتمبر 1989م، نشر جامعة عدن، ص30.

وفي الشأن ذاته تذهب عدة مصادر جُلها مغربية إلى أنَّ قبائل صنهاجة وكتامة البربريتين تعود أصولهما إلى قبيلة حمير اليمنية[1]؛ ويرجح أحد الباحثين[2]؛ أن هاتين القبيلتين كانتا قد هاجرتا من اليمن عقب انهيار سدِّ مأرب إثر سيل العرم الذي ذكره القرآن الكريم في سورة سبأ[3]؛ وقد ظلت قبيلة صنهاجة وبطونها تفتخر بأصلها الحميري إلى مراحل متأخرة من ظهور الإسلام ببلاد المغرب؛ إذ يذكر ابن عذاري المراكشي أن الدولة الزيرية[4]؛ التي قامت في إفريقية، طالما اعتز حكامها بانتسابهم إلى حمير من اليمن[5]؛ وتزعم قبيلة هوارة أنهم «قوم

---

(1) مؤلف مجهول (من أهل القرن 8هـ): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: تحقيق الدكتور: سهيل زكار+ الأستاذ عبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1399هـ - 1979م، ص18 - 19، ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله تـ741هـ): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص119، وابن خلدون، المقدمة، م. س، ص18، وانظر: الإدريسي (أبا عبد الله محمد بن عبدالله السبتي تـ 560هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1994، ج ا، ص223.

(2) إسماعيل مولاي عبد الحميد، سيماء الحضارة اليمنية في المغرب الأقصى، م. س، ص30.

(3) قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾. انظر: سورة سبأ، آية رقم 15، 16.

(4) نسبة إلى مؤسسها أبي الفتوح يوسف بُلُكّين بن زيري بن مناد الصنهاجي (362 - 373هـ/ 972 - 983م)؛ وقد استمر أولاده وأحفاده في حكم إفريقية حتى النصف الأول من القرن السادس الهجري. للمزيد حول هذه الدولة انظر: الصلابي (علي محمد): الدولة العبيدية الفاطمية، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2007، ص85 - 109.

(5) ابن عذاري (أبو العباس أحمد المراكشي تـ بعد 712هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة، أ. س كولان، أليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، بيروت ط3، 1983، ص240.

من اليمن جهلوا أنسابهم»[1]؛ وفي السياق ذاته يذكر الإدريسي أن قبائل لمتونة الصحراء فرع من صنهاجة، وصنهاجة ولمطة ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة، وأبوهم لمط بن زعزاع من أولاد حمير، وأما أمهم فهي تازكاى العرجاء وأبوها زناتي اسمه هوار، وهوار أخ لصنهاج ولمط من أم، وأبوه المسور بن المثنى بن كلاع بن أيمن بن سعيد بن حمير[2]؛ ومن أحفادهم قامت دولة المرابطين الصنهاجيين الذين أعادوا نسبهم إلى قبيلة حمير في اليمن[3].

وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ ابن الديبع أن قبائل كتامة وصنهاجة وزناتة ولواتة التي تمتد مساكنهم من غربي مصر إلى طنجة ونواحيها بالمغرب الأقصى تنتمي إلى بني مرة بن عبد شمس الذين يصل نسبهم إلى حمير[4]، وفي الشأن ذاته يذكر الفَرِحُ نقلا عن نشوان بن سعيد الحميري أن «**كتامة وعهامة وزناتة ولواتة وصنهاجة قبائل ضخمة في المغرب من حمير**»[5].

(1) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب تـ 284هـ): البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف، ط3، 1957، ص99.

(2) انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م. س، ج ا، ص223..

(3) مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، م. س، ص 18، 24؛ ابن الأثير (عز الدين علي محمد بن عبدالكريم تـ630هـ): الكامل في التاريخ، ج8، دار الكتاب العربي، لبنان، (د. ت. ط)؛ ص74، 76 - ضمن أحداث سنة488ه، الصلابي (علي محمد): دولة المرابطين، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2006، ص15؛ عزاوي (أحمد): مختصر في تاريخ الغرب الاسلامي، ج2، مطبعة ربا نت، الرباط، ط2، 2009، ص25.

(4) ابن الديبع (وجيه الدين عبدالرحمن بن علي ت: 944هـ): نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، صنعة أحمد راتب حموش، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1413هـ/ 1992م، ص146، 155.

(5) انظر: الفَرِحُ (محمد حسين): عروبة البربر» تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر»، وزارة الثقافة، الجمهورية اليمنية، 2010م، ضمن إصدارات تريم عاصمة الثقافة الاسلامية، ص9.

وكان النسابة اليمني المشهور الحسن الهمداني كان قد سبق نشوان الحميري وابن الديبع في التأكيد على الأصل اليمني للقبائل البربرية - السالفة الذكر - ففي كتابه الإكليل يؤكد الهمداني أن «**كتامة وعُهامة وصنهاجة ولواتة وزُناتة**» ترجع في أصلها إلى مرة بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ[1]؛ وهناك روايات أخرى تذهب إلى القول إن أصل البربر جميعا من اليمن وأنهم أبناء النعمان بن حمير بن سبأ[2].

وعلى كلٍّ، فإن الإشارات الواردة هنا وهناك - رغم قلتها - تدلُّ على قدم العلاقات اليمنية ببلاد المغرب وسكانها البربر[3]؛ التي لا شك أنها تعززت بظهور الإسلام، الذي أسهم اليمنيون بدور فعال في إيصاله إلى ساكنة بلاد المغرب، وهو الأمر الذي ساعد على التحام اليمنيين مع المغاربة في بوتقة واحدة تحت مظلة الدين الجديد.

(1) الهمداني (أبي محمد الحسن بن أحمد تـ بعد 334هـ): كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج2، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004، ص21، 22، 93.

(2) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد تـ 804هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1979، ص93. وانظر: سعد زغلول نقلًا عن المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص144. الذي يشير إلى تنازع الناس حول نسب البربر فمنهم من يقول إنهم من غسان وغيرهم من اليمن الذين تفرقوا بعد سيل العرم، ومنهم من يرى أنهم من قيس بن عيلان وغير ذلك. انظر: سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربي، ج1، دار المعارف، الاسكندرية، طبعة 2000، ص89.

(3) للمزيد حول موضوع العلاقات اليمنية المغربية قبل الاسلام. انظر: الفرح، عروبة البربر» تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر»، حيث سعى المؤلف إلى رصد النصوص التي تثبت الأصل العربي واليمني منه تحديدا للعنصر البربري.

وأسهمت السمات المشتركة والمتشابهة التي ميزت اليمن وبلاد المغرب عشية ظهور الإسلام بشكل أو بآخر في الاندماج والتقارب بين اليمنيين والمغاربة بعد ظهور الإسلام وتدشين مرحلة الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، وهو ما سنتحدث عنه في هذا المحور.

## المحور الأول: السمات المتشابهة والمشتركة بين اليمن وبلاد المغرب عشية ظهور الإسلام

سنقف في هذا المحور على بعض السمات المشتركة والصفحات المتشابهة بين اليمن وبلاد المغرب عشية ظهور الإسلام والتي أسهمت - في تقديرنا - في تقبّل المغاربة لاحقًا للدين الإسلامي، الذي كان للعنصر اليمني الدور الفاعل والمحوري في إيصاله إلى بلاد المغرب وساكنته. ويمكن استعراض أبرز السمات المشتركة والصفات المتشابهة بين البلدين على النحو الآتي:

### أولًا: التركيبة الاجتماعية والسياسية في اليمن وبلاد المغرب

إن المُطَّلع على التركيبة الاجتماعية لبلاد اليمن عشية ظهور الإسلام؛ يلاحظ أن المجتمع اليمني كان يتكون من مجموعة من القبائل التي سادت على امتداد الرقعة اليمنية، وأبرز هذه القبائل هي حمير، همدان، مذحج، خولان، حضرموت، كندة، مهرة، فضلا عن قبائل تهامة وقبائل بلاد السراة ونجران[1]؛ وهذه القبائل كانت مقسمة إلى عشائر وبطون وأسر، ولا تشكل وحدة سياسية واحدة، وكل واحدة منها تشكِّلُ كيانًا مستقلًّا، وكل قبيلة لها علاقاتها السلمية أو

(1) الشجاع (عبد الرحمن بن عبدالواحد): تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، مكتبة الإحسان، صنعاء، ط8، 2013، ص27 - 28.

الحربية مع القبائل الأخرى؛ حسب ما تقتضي المصالح بين الأطراف دون النظر للمصلحة العامة للقبيلة أو للقبائل الأخرى[1].

وفضلًا عن القبائل اليمنية - السكان الأصليين للبلاد - كان هناك قوىً أخرى تتحكم في المشهد السياسي اليمني، وعلى رأسها الفرس[2]؛ الذين كانوا يحكمون السيطرة على بعض المدن الرئيسة في اليمن المزدهرة اقتصاديا، مثل مدينة صنعاء والجند وعدن، والموانئ الرئيسة على البحر الأحمر وخليج عدن[3]؛ كما كان هناك نفوذ رمزي ديني للروم البيزنطيين في مدينة نجران التي كان أهلها على دين النصرانية ويتبعون روما دينيا فقط[4]؛ فضلا عن العنصر الأسود الحبشي الذي نرجح بقاء جموع منهم في اليمن بعد ظهور الإسلام، لا سيما إذا ما علمنا أن الأحباش سبق أن احتلوا اليمن لفترات من الزمن قبل ظهور الإسلام[5]؛ قبل أن يُخرَجوا من الفرس الذين استنجد بهم سيف بن ذي يزن

(1) الشجاع، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، م. س، ص27 - 28.

(2) كان الفرس قد دخلوا اليمن سنة 575م، حين استنجد سيف بن ذي يزن الحميري بكسرى فارس لمساعدته على إخراج الأحباش الذين كانوا قد احتلوا اليمن منذ سنة 525م، - بتنسيق مع الروم البيزنطيين - بحجة الدفاع عن المسيحيين الذين اضطهدهم ذو نواس الحميري في نجران. لمزيد من الاطلاع حول الموضوع انظر: وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، م. س، ص348 - 355، وبافقيه، تاريخ اليمن القديم، م. س، ص159 - 163.

(3) الفقي (عصام الدين عبدالرؤف): اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول، دار الفكر العربي، ط1، 1982، ص 15، وعبد الرحمن الشجاع، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، م. س، ص27.

(4) الكامل (محمد أحمد): موجز تاريخ اليمن حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية، الجيل الجديد، صنعاء، ط2، 2017، ص20.

(5) تذكر الروايات أن أول تواجد للأحباش في اليمن يعود إلى القرن الأول الميلادي، ثم تواجد الأحباش كقوة احتلال حوالي سنة 340م؛ لغرض تأمين طرق التجارة البحرية بين بحر

الحميري سنة 525م[1].

وبالمقابل فإن المجتمع المغربي عشية ظهور الإسلام تجاذبته قوىً اجتماعية وسياسية متعددة؛ يأتي على رأسها البربر الذين هم عماد سكانه، وبهم سميت البلاد[2]؛ وكان البربر ينقسمون إلى مجموعتين قبليتين رئيستين؛ المجموعة الأولى مجموعة البتر وكان يطغى عليها طابع البداوة والترحال، ومن أبرز قبائل هذه المجموعة قبيلة زناتة ولواتة ونفوسة ومغيلة[3]؛ وكانوا يتركزون أكثر في المدن الداخلية والصحراوية، والمجموعة الثانية هي مجموعة البرانس، ويطغى عليها إلى حد كبير طابع الاستقرار وتركز معظمهم في السهول والمدن الساحلية،

الهند والبحر المتوسط عبر البحر الأحمر، فضلًا عن هدفهم الديني وهو نشر المسيحية، وعن أن غزوهم لليمن كان ردة فعل على غزو الملك الحميري شمر يهرعش للحبشة نهاية القرن الثالث الميلادي، وقد استمرت سيطرة الأحباش إلى سنة 375م، حيث تم طردهم على يد الملك الحميري «ملك كرب يهأمن»، ليعودوا مرة أخرى لاحتلال اليمن في أوائل القرن السادس الميلادي، وتحديدًا سنة 525م. انظر: وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، م. س، ص278، 349 – 355، الحداد (محمد يحيى): تاريخ اليمن السياسي، ج1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1986، ص111 – 133، بافقيه، تاريخ اليمن القديم، م. س، ص167 – 168.

(1) وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، م. س، ص351 – 355، بافقيه، تاريخ اليمن القديم، م. س، ص163.

(2) استوطن البربر المنطقة الممتدة من صحراء ليبيا إلى المحيط الأطلسي، ومن البحر المتوسط إلى حوض السينغال والنيجر، واختلطوا مع مرور الزمان بالقبائل المهاجرة إليهم وبالشعوب الغازية لبلادهم، حتى أصبحوا أمة متميزة بلغتها وتقاليدها وأسلوبها الخاص في الحياة. انظر: بن منصور (عبد الوهاب): قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص268.

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص90، وحركات (إبراهيم): المغرب عبر التاريخ، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص24 – 26.

وأبرز قبائل هذه المجموعة صنهاجة ومصمودة وكتامة وأوربة[1]؛ وكان هناك تنافس وصراع بين قبائل البتر وقبائل البرانس، واستمر هذا الصراع حتى وصول الفاتحين العرب[2].

وفضلًا عن البربر السكان الأصليين للبلاد كان هناك عنصر الروم الذي استوطن وسيطر سيطرة أساسية على المدن الرئيسة، وخاصة الساحلية منها كتونس وقرطاجة في المغرب الأدنى، وعنابة وقسنطينة في المغرب الأوسط، وسبتة وطنجة في المغرب الأقصى، ولم يستطع الروم البيزنطيون التوغل في المناطق الداخلية البعيدة[3]؛ ومن الفئات السكانية الأخرى، التي كانت متواجدة في بلاد المغرب عنصر الأفارقة[4]؛ وعنصر السودان بحكم الصلة الوثيقة من

(1) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي تـ 456هـ): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1977، ص. 495، وعزاوي، مختصر تاريخ الغرب الإسلامي، م. س، ج1، ص12.

(2) يذكر أحمد عزاوي أن الكتلة الزناتية أسهمت في دعم الفتح الإسلامي منذ البداية؛ إذ كانوا أول من التقى الفاتحين العرب غربي مصر، ولكونهم بدوًا رحّلًا فهم أميل إلى الحركة، ولم يكن لهم ما يربطهم بالأرض، فاعتنقوا الإسلام وانتقلوا مع الفاتحين العرب اقتناعا بالدين ورغبة في الغنائم. انظر: مختصر تاريخ الغرب الإسلامي، م. س، ج1، ص12 وهامشها.

(3) عبدالوهاب بن منصور، قبائل المغرب، م. س، ج1، ص103 - 104.

(4) يشير ابن خلدون إلى أن هذا العنصر كان أقدم من سكن إفريقية، ويتحدث ابن عبد الحكم عنهم بالقول: «وأقام الأفارق وكانوا خدمًا للروم (أي البيزنطيين) على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم»، ويذهب بعض الدارسين إلى أن الأفارقة عبارة عن خليط من الشعوب التي احتلت بلاد المغرب كالرومان والبيزنطيين وبقايا القرطاجيين القدامى، وفي ضوء هذه الآراء نميل إلى أن الأفارقة عنصر أصلي سكن المغرب قديمًا وتزاوج مع العناصر الوافدة المحتلة لبلاد المغرب تاريخيًا فأصبح فئة مميزة عن غيره - ربما يشبه عنصر الأبناء في اليمن الذي كانوا خليطًا من تزاوج العنصر الفارسي باليمنيات - ومع ظهور الإسلام، كان الأفارقة تحت النفوذ البيزنطي الروماني. انظر: ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبدالرحمن بن

الناحية الجغرافية بين بلاد المغرب وبلاد السودان[1].

## ثانيا: الوضع الديني في اليمن وبلاد المغرب عشية ظهور الإسلام

إن المتتبع للأديان التي كانت سائدة في كلٍّ من اليمن وبلاد المغرب عشية وصول الإسلام يلاحظ تشابهًا كبيرًا، ففي اليمن نجد أن الوضع الديني عرف تعددًا للأديان المختلفة؛ فمنها ما هو ذو أصل سماوي كالحنيفية واليهودية والمسيحية، ومنها الوثنيات المتعددة، ففي هذا الشأن تتحدث الروايات عن الديانة اليهودية في اليمن، وأنها دخلت اليمن منذ عهد تُبَّع الآخر تبان أسعد أبو كرب[2]؛ وكانت معظم

---

عبدالله تـ 257هـ): فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1995، ص197، والعبر، م. س، ج6، ص. 94، وانظر: مؤنس (حسين): فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، [ د. ت. ط. ]، والحريري (محمد عيسى): مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت، ط2، 1983، ص18.

(1) على الرغم من أن المصادر العربية لا تسعفنا بالحديث عن وجود جماعات سودانية ذات كيان خاص عند مجيء الفاتحين العرب، فإنه يستشف من بعضها أن الواحات الجنوبية كانت همزة وصل بين المغرب وبلاد السودان، حيث تصف تلك المصادر المناطق الصحراوية بأنها أبواب السودان. انظر: اليعقوبي، البلدان، م. س، ص. 98، والبكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص. 148+ 182، وسعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، م. س، ج1، ص115. وللمزيد حول التركيبة الإثنية لبلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي؛ راجع اسكندر (سعيد ناجي): حركة الخوارج الصفرية في المغرب الإسلامي ما بين القرنين «2 – 4هـ/ 8 – 10م»، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية، 2009، ص35 – 40.

(2) تولى الملك أبي كرب أسعد الحكم خلفا لوالده الملك الحميري «ملك يكرب يهأمن – 375 – 400م –، وتقول الروايات أن الملك أبي أسعد كرب هو التبع «أسعد الكامل» المشهور الذي تحدث عنه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، وهو الذي أضاف إلى اللقب الرسمي «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت» الإضافة الجديدة «وأعرابهمو طودم وتهامة»، أي وأعرابهم في الجبال وتهامة»، وقد توسعت حدود الدولة في

قبائل حمير وكندة وجزء من حضرموت يعتنقون اليهودية[1].

والأمر ذاته بالنسبة للديانة النصرانية فقد انتشرت في اليمن، ويقال إن أول من اعتنق النصرانية هو «عبد كلال بن مثوب»[2]؛ أحد ملوك حمير، وكانت مدينة نجران مركزًا رئيسًا للنصرانية في اليمن[3]؛ وقد أوردت المصادر[4]؛ حادثة اضطهاد نصارى نجران وإحراقهم من طرف ذي نواس الحميري، وذكر القرآن الكريم تلك الحادثة في مطلع سورة البروج[5].

أما بالنسبة للوثنية في اليمن فانتشرت انتشارًا كبيرًا، وكان لكل قبيلة معبودها الخاص، فقد عبدت قبائل همدان وخولان الصنم «يعوق»، وكان على صورة

عهده لتضم أرض نجران ومكة ونجد، وامتدت سنوات حكمه لأكثر من ثلاثين عاما تبدأ بسنة 400م إلى ما بعد 430م. انظر: وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، م. س، ص342 – 343، والحداد، تاريخ اليمن السياسي، م. س، ج1، ص116 – 119.

(1) عبدالرحمن الشجاع: اليمن في صدر الإسلام، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987، ص59 – 60.

(2) يرجح أن هذا الملك عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي، وأن من أحفاده الحارث بن عبد كلال الحميري الذي أرسل له رسول الله ﷺ مبعوثه المهاجر بن أمية يدعوه إلى الإسلام، فاستجاب لدعوة الإسلام، سيما وأن أسرته وأجداده كانوا قد آمنوا بالله متأثرين بالمسيحية التي اعتنقها جدهم عبد كلال بن مثوب. انظر: الطبري (محمد بن جرير تـ310هـ): تاريخ الأمم والملوك، مج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1988، ص417، والشجاع، اليمن في صدر الإسلام، م. س، ص 60 63.

(3) الجندي (بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب تـ732هـ): السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ج2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1416هـ/ 1995، ص81، وعبدالرحمن الشجاع: اليمن في صدر الإسلام، م. س، ص60 – 61، الحداد، تاريخ اليمن السياسي، م. س، ج1، ص120 – 121.

(4) وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، م. س، ص348.

(5) قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾. راجع سورة البروج، الآية رقم 1 إلى الآية رقم 7، الجزء الثلاثون.

فرس في خيوان بالقرب من صنعاء[1]؛ وكان يغوث الإله الخاص لقبائل مراد وبني الحارث بن كعب من مذحج[2]؛ بينما عبدت قبائل حمير ومن والاها «نسرا»، وظل معبودها الرئيس، حتى أدخلهم ذو نواس في اليهودية[3]؛ كما وجدت بيوت للعبادة أشهرها «ذو الخَلَصة»، وهو صنم كانت تعبده قبيلتا بَجيلة وخَثعم، وقد وجه رسول الله ﷺ بعثًا بقيادة جرير بن عبدالله البجلي في نهاية السنة العاشرة للهجرة بعثًا لهدمه[4]؛ وعبدت قبيلة دوس صنمها المعروف بذي الكفين، وقد تخلص منه على يد الطفيل بن عمرو الدوسي في نهاية العام الثامن الهجري[5]؛ وفضلًا عن الوثنيات؛ انتشرت في اليمن المجوسية وعبادة النار، إذ يشير ياقوت الحموي إلى أن قبيلة خولان قضاعة كانت مركز عبادة النار في اليمن[6].

وهذا التعدد للأديان السماوية والوثنيات وعبادة الكواكب الذي كان موجودا في اليمن؛ نجد له نظيرًا في بلاد المغرب، فإنَّ المتأمل في الوضع الديني في بلاد المغرب عشية وصول الإسلام؛ يجد تعددًا في الأديان أيضًا، فبعضها ذات أصل سماويٍّ كاليهودية والمسيحية، وبعضها وثنيٌ وبعضها متعلقٌ بالمجوسية وعبادة النار.

(1) مسعود (ميخائيل): الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1994، ص151.

(2) الشجاع، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، م. س، ص23.

(3) مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، م. س، ص151

(4) الطبري (محمد بن جرير تـ 310هـ): تاريخ الأمم والملوك، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1988، ص209، والجعدي (علي بن سمرة ت حوالي 586هـ): طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1981 - 1401، م. س، ص19.

(5) الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، م. س، ص 190 - 191.

(6) الحموي (شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله تـ 626هـ): معجم البلدان، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، مج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1429هـ/ 2008، ص261، وانظر: وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، م. س، ص343.

فالديانة اليهودية ظهرت في بلاد المغرب منذ القدم، ويرجَّح أنها تعود إلى العهد الفينيقي ثم الروماني[1]؛ وتؤكد بعض الروايات أن الكاهنة التي تزعمت قبائل جراوة البربرية في جبال أوراس وقاومت الفاتحين العرب في سبعينيات القرن الأول الهجري كانت مع قومها يعتنقون اليهودية[2]؛ بل قيل إن يهود المغرب بعد أن استكمل العرب فتح بلاد المغرب بدأوا يفكرون في التوجه إلى الضفة الأخرى -بلاد الأندلس صحبة الفاتحين، واتُّهم يهود إسبانيا بأنهم كانوا على تواصل مع إخوانهم يهود المغرب الأقصى، وأنهم قاموا بتحريض العرب الفاتحين على غزو الأندلس حتى ينعموا بالعدل والأمان اللذيَّن كان ينعم به إخوانهم اليهود في المغرب الأقصى، وهو ما دفع المجمع الكنسي الذي انعقد في طليطلة سنة 694م إلى فرض عقوبات قاسية ضد يهود أسبانيا بسبب هذا التخابر[3].

أما بالنسبة للديانة المسيحية فقد انتقلت إلى بلاد المغرب بعد أن أصبحت الديانة الرسمية للدولة الرومانية التي كانت مسيطرة على شمال إفريقيا حينها، وقد تركزت المسيحية في بلاد المغرب في المدن الرئيسة ولم يكن لها حضور في الداخل المغربي[4].

ومن أبرز الشخصيات المغربية التي اعتنقت الديانة المسيحية زعيم قبيلة أوربة كسيلة؛ الذي ظل على ديانته إلى أن تمكن الفاتح العربي أبو المهاجر بن

(1) العزاوي، مختصر الغرب الاسلامي، ج1، م. س، ص14.
(2) ابن خلدون، العبر، ج6، م. س، ص107، وانظر: سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج1، م. س، ص224.
(3) سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج1، م. س، ص114.
(4) العزاوي، مختصر الغرب الاسلامي، م. س، ص+14 ص26.

دينار من إقناعه بترك المسيحية والدخول في الإسلام[1]؛ ويذكر ابن عذاري المراكشي أن جموعا من النصارى فروا من المدن المغربية في أثناء توغُّل الفاتح عقبة بن نافع الفهري في ستينيات القرن الهجري الأول[2]؛ كما هاجر عددٌ من النصارى من بلاد المغرب وتفرقوا على الأندلس وسائر الجزر البحرية؛ بعد إقدام الكاهنة البربرية على حرق المزارع وهدم الحصون في أثناء حروبها مع الفاتح العربي اليمني حسان بن النعمان الغساني[3].

أما بالنسبة للديانات الوثنية وتنوعها في بلاد المغرب فقد وجدت عدة إشارات مصدرية تشير إليها؛ ومن ذلك ما ذكره الرقيق القيرواني حول حملة عقبة بن نافع التي انطلقت من إفريقية صوب المغرب الأقصى وبلاد طنجة في سنة 63هـ/ 683م، وانعطافه نحو السوس الأدنى التي فيها قوم لا يعرفون الله ولا دين لهم حسب قول الرقيق[4]؛ كما أورد الجغرافي البكري أن بعض قبائل ودان في المغرب الشرقي كان لهم صنم من حجارة مبني على ربوة يسمى «كرزة» يقربون إليه القرابين ويستشفون به من أدوائهم ويتبركون لزيادة أموالهم بالتقرب إليه[5]، وفي إشارة أخرى يذكر البكري أن هناك إحدى القبائل المغربية في جبال درن كانت تعبد الكبش[6].

---

(1) انظر: ابن خلدون، العبر، ج6، م. س، ص218.

(2) انظر: البيان المغرب، ج1، م. س، ص24.

(3) البيان المغرب، ج1، م. س، ص 36 – 37.

(4) الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني تـ بعد 425هـ): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق الدكتور عبدالله العلي الزيدان، والدكتور عز الدين موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص14.

(5) المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، م. س، ص12، وانظر: سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، م. س، ج1، ص120.

(6) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص161.

وتجدر الإشـارة إلـى انتشـار المجوسـية في بلاد المغـرب أيضًا[1]؛ فقد أشـار ابن أبي زرع إلـى أن بعض قبائـل مدينـة فـاس كان لهـم بيت لعبـادة النـار، وكان موضعه في المـكان الـذي بنيـت فيه مدينة فـاس لاحقًا أيام الأدارسـة[2].

تلك – إذن أبرز السـمات الاجتماعية والسياسـية والدينية المشـتركة والمتشـابهة بين اليمن وبلاد المغرب عشية ظهور الإسـلام، والتي لا ريب أنها ستسـهم بشـكل أو بآخـر في إعـادة توثيـق العلاقـات بيـن البلديـن مـع وصـول الإسـلام وتدشـين محطـات الفتـح العربـي لبـلاد المغرب.

## المحـور الثانـي: الفتح الإسـلامي وإعادة جسـور التواصـل بين اليمن وبـلاد المغرب

شـكّل الفتـح العربـي الإسـلامي لبـلاد المغـرب حلقـة جديـدة في اسـتمرارية العلاقـات والتواصـل بيـن اليمـن وبيـن بـلاد المغـرب، إذ كان العنصـر اليمنـي مشـاركًا رئيسًـا وفعـالًا في تلـك الفتوحـات؛ منـذ انطـلاق حملاتهـا الأولـى صـوب بـلاد المغـرب في عهـد الخلافـة الراشـدة، الأمـر الـذي انعكـس أثـره علـى سـير تلك الفتوحـات؛ وتسـهيل مهمـة الفاتحيـن العـرب في نشـر الإسـلام بيـن ربـوع سـكان بلاد المغـرب.

### أولا: إسـهام العنصر اليمني في الفتوحات المغربية في العصر الراشـدي

تذهـب بعـض الروايـات إلـى أن العلاقـة بيـن العـرب عمومًـا والمغاربـة إبّـان ظهـور الإسـلام تعـود إلـى أيـام النبـي محمـد ﷺ، إذ يذكـر الأسـتاذ عبـد الهـادي

(1) انظر: البيان المغرب، م. س، ج1، ص24.

(2) ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله تـ741هـ): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص16.

التازي[1]؛ أن وفدًا مغربيًّا بربريًّا من قبيلة رجراجة «أشراف قبائل مصمودة» على رأسهم سيدي شاكر بن يعلى بن واصل كان قد وصل إلى مكة، واجتمع بالنبي محمد ﷺ، واستمع إليه قبل أن يهاجر إلى المدينة، وعن طريق هذا الوفد سمع المغاربة بالإسلام لأول مرة، لتأخذ تلك العلاقات طريقها إلى النمو في أيام الخلافة الراشدة، وتحديدا في أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، حيث بدأت المحاولات الأولى للفتح العربي لبلاد المغرب[2].

وقد كان للعلاقات اليمنية المغربية الضاربة في التاريخ، وللهجرات اليمنية التي استقرت منذ القدم في بلاد المغرب كما أسلفنا في التمهيد أثرها في تسهيل مهمة الفاتحين الجدد، فعمرو بن العاص بعد أن أتم فتح مصر، توجه مباشرة غربًا نحو مدينة برقة، ومن ثم باتجاه طرابلس المغرب الشرقي وتؤكد الروايات أن عمرو بن العاص تمكّن من دخول برقة دون أيَّة مقاومة تذكر من سكانها الذين ينتمون لقبيلة لواتة[3]؛ تلك القبيلة البترية الكبيرة، التي وصفها ابن خلدون

(1) عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، مج1، دار المعرفة للنشر، الرباط، ط1، 2001، ص129.

(2) نود الإشارة إلى أننا لسنا بصدد الحديث عن تفاصيل حملات الفتوحات العربية الإسلامية لبلاد المغرب، فذاك موضوع قد دُرس بشمولية من طرف بعض الباحثين، وإنما سنعمل على إبراز دور العنصر اليمني تحديدا في تلك الحملات، وما نشأ عنه من تطور في العلاقات بين اليمنيين والمغاربة خلال تلك المرحلة التاريخية. في هذا الصدد انظر: حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د. ت. ط)، وسعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، الاسكندرية، ج1، طبعة 2000، اسكندر، حركة الخوارج الصفرية في المغرب الإسلامي ما بين القرنين «2 – 4هـ/ 8 – 10م»، م. س، ص40 – 66.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م. س، مج1، ص222. وفي هذا الصدد يورد أبو زكريا نصًّا طويلًا يتحدث فيه عن إسلام قبيلة لواتة وزيارة وفد من رجالها إلى الخليفة

بأنها «**بطـن عظيـم متسـع من بطـون البربـر البتـر**»[1]؛ وتشـير الروايات إلـى أن معظم الجيش الـذي توغَّـل بـه عمرو بـن العـاص في تلك المناطـق كان من قبائـل يمنية من لخـم وهمـدان وخولان والصـدف وبلي وبنـي مدلج[2].

ويُخيَّـلُ إلينـا أن عـدم مقاومـة قبائـل برقـة وبعـض المناطـق الصحراويـة الليبيـة للفاتحيـن العـرب، يرجـع للأصـول الاجتماعية المشـتركة، وللتشـابه الكبير في نمط الحيـاة مـع العـرب الفاتحيـن[3]؛ وتحديـدًا اليمنييـن منهـم[4]؛ وهـو مـا أكدتـه روايـة

عمر بن الخطاب ﷺ، ومما جاء فيه قوله: «وبلغنا أن عمر بن الخطاب ﷺ، حين قدم عليه قوم من البربر « لواتة» أرسلهم إليه عمرو بن العاص، وهم محلقو الرؤوس واللحى، فقال لهم من أنتم؟ قالو من البربر، لواتة. فقال عمر لجلسائه: هل منكم من يعرف هذا القبيل في شيء من قبائل العرب والعجم؟ قالوا: ليس لنا من قبيلهم من علم. فقال العباس بن مرداس السلمي: إن عندي فيهم علمًا يا أمير المؤمنين، هؤلاء من أولاد بر بن قيس، وكان لقيس عدة من أولاد، أحدهم سالم بن قيس، وفي خلقه بعض الرعونة، يعني ضيقًا، فقاتل إخوته ذات يوم، فخرج إلى البراري فكثر بها نسله وولده، وكانت العرب تقول تبربروا أي كثروا... فقال لهم عمر: مالكم محلقو الرؤوس واللحى؟ فقالوا شعر نبت على الكفر فأحببنا أن نبدل شعرًا في الإسلام». انظر: أبو زكريا (يحيي بن أبي بكر تـ 472هـ): كتاب السيرة وأخبار اللائمة، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982، ص51 – 52.

(1) العبر، م. س، ج6، ص. 116.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وبلاد المغرب، م. س، ص76، 84، 103، والصباري (عبدالسلام محمد): الصلات الاجتماعية والاقتصادية بين اليمن والغرب الإسلامي من الفتح حتى منتصف القرن 5هـ/ 11م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، المملكة المغربية، 2001، ص31.

(3) اكنينح (العربي): في المسألة الأمازيغية أصول المغاربة (أمازيغ، عرب، زنوج وآخرون)؛ مطبعة آنفو – برانت، فاس، ط1، 2003، ص27.

(4) يذهب بعض الباحثين إلى الحديث عن وجود تقارب كبير بين لهجات البربر ولهجات جنوب الجزيرة العربية، وتشابه بين كتابات بلاد اليمن القديمة «الحميرية» وكتابات عُثِر عليها في بعض جهات صحراء بلاد المغرب. انظر: عزاوي، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ج1، م. س، ص11.

المؤرخ اليمني ابن الديبع الذي أشار إلى أن قبيلة لواتة التي كانت تقطن مدينة برقة ترجع أصولها إلى قبائل حمير اليمنية[1].

وظل جزء من الجيش العربي الإسلامي بقيادة عقبة بن نافع الفهري مرابطًا في بعض مدن إفريقية الشرقية وصحراواتها مثل برقة وطرابلس وودان منذ دخلها الإسلام أول مرة على يد عمرو بن العاص سنة 23هـ/ 642م[2]؛ وتتحدث الروايات عن إسهام بعض الشخصيات اليمنية في فتح تلك المناطق؛ ومن ذلك جهود شريك بن سحيم المرادي[3] وغزواته في اتجاه ودان وسرت وغدامس وبعض واحات الصحراء.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ﵁ جهز جيشا لاستكمال فتح إفريقية، جعل على رأسه ابن خالته عبدالله بن سعد بن أبي السرح، وتقول المصادر إن عدد ذلك الجيش الفاتح بلغ عشرين ألفًا[4]؛ كان لقبائل أهل اليمن سهم وافر فيه[5].

(1) ابن الديبع، نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، م. س، ص146.
(2) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص13.
(3) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص12 – 13، وطه (عبد الواحد ذنون): دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004، ص41.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب، م. س، ج1، ص9، القيرواني (أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي ت 333هـ): طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، ط2، 1985، ص70.
(5) القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، م. س، ص68 – 70، واكنينح، في المسألة الأمازيغية أصول المغاربة، م. س، ص27، الصباري، الصلات الاجتماعية والاقتصادية بين اليمن والغرب الإسلامي، م. س، ص32 – 36.

وإذا كانـت الفتوحـات العربيـة لبـلاد المغـرب قـد توقفـت بسـبب أحـداث الفتنة التي مـرت بهـا الأمـة الإسـلامية في نهاية عهد الخليفـة عثمان بن عفـان ﷺ وفي عهد الخليفة علي بـن أبي طالـب ﷺ -؛ فـإن تلـك الفتوحـات قد اسـتؤنفت في عهد بني أمية. فهـل كان لليمنييـن دور في الفتوحـات في العهـد الأمـوي؟ وكيـف أسـهموا في توطيـد العلاقـات اليمنيـة المغربية؟

## ثانيا: الفتوحات في العصر الأموي وإسـهام اليمنيين في توثيق العلاقات اليمنية المغربية

منـذ تولـي معاويـة بـن أبـي سـفيان ﷺ أمـر الخلافـة عـام 41هــ/ 660م، أولـى مشـروع اسـتكمال حركة الفتوحـات الإسـلامية اهتمامًا كبيرًا، وكانت إفريقية إحدى أهـم المناطـق التـي اهتمت بهـا الخلافة الأمويـة في أيام معاوية بن أبي سـفيان، وكان الفاتحـون اليمنيـون ركيـزة أساسـية في حركـة الفتوحـات في بـلاد المغـرب.

فمـن أشـهر الأسـماء اللامعـة في فتـح إفريقيـة في عهـد معاويـة بـن أبـي سـفيان، القائـد اليمنـي معاويـة بـن حديـج الكنـدي[1]؛ الـذي كلفتـه الخلافـة رسـميًا سـنة 45هــ/ 665م بمهمـة فتـح إفريقيـة[2]، فتوجـه هـذا القائـد علـى رأس جيـش قوامـه عشـرة آلاف رجـل، فتـح بهـم سوسـة وجلـولاء في تونـس، كما غـزى صقليـة بمائتي

(1) هو أبو نعيم معاوية بن حديج الكندي وقيل: التجيبي والسكوني، اشترك في فتح مصر، وذهبت إحدى عينيه في غزوة النوبة مع عبدالله ابن أبي السرح، وهو الذي أقبل على عمر بن الخطاب يبشره بفتح الاسكندرية، كان عثماني الهوى، ولاه معاوية على مصر، اختط القرن قبل تأسيس القيروان، وأقام بها مدة إقامته في إفريقية، وحفر عدة آبار للماء عند باب تونس في ناحية الجبل عند مصلى الجنائز تسمى آبار حديج، توفي في مصر سنة 52هـ/ 671 م. للمزيد انظر: القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، م. س، ص76 وهامشها، ابن عذاري، البيان المغرب، م. س، ج1، ص16 – 19.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، م. س، ج1، ص16.

مركب وعاد بغنائم كثيرة[1]؛ ومن أبرز القادة اليمنيين الذين كانوا ضمن طلائع ذلك الجيش، القائد حنش بن عبدالله الصنعاني[2]؛ كما انخرطت قبيلة لخم في تلك الحملة بقيادة الأكدر بن همام اللخمي[3]؛ وكريب بن أبرهة بن الصباح[4]؛ وقد امتدح بعض المؤرخين جهود الفاتح اليمني معاوية بن حديج الكندي، إذ وصفه ابن الأثير أنه أقر السلام العربي في البلاد[5].

ومن قادة الفتح اليمنيين الذين أسهموا في نشر الإسلام وفي تعزيز العلاقات اليمنية المغربية المهاجر بن أبي دينار الأنصاري، إذ استطاع هذا الفاتح - الذي امتاز بالسياسة والمحاورة - اجتذاب زعيم إحدى أهم قبائل البربر - قبيلة أوربة -

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، م. س، ج1، ص16 - 17.

(2) هو أبو رشدين حنش بن عبدالله بن عمرو بن حنظلة بن فهد بن عبدالله بن ثامر السبئي الصنعاني، وقيل نسبة إلى صنعاء الشام، ونرجح أنه يمني كما يوضحه لقبه السبئي، كان مع علي بن أبي طالب ﷺ في الكوفة، ولاه عبدالله بن الزبير على اليمن، فأُسر وجيء به إلى الخليفة عبد الملك بن مروان فعفى عنه، وكان له صولة وجولة في فتوحات إفريقية وبلاد المغرب، كما رافق موسى بن نصير في حملته على الأندلس سنة 92هـ/ 712م، وينسب إليه اختطاط جامع سرقسطة وبناؤه، توفي سنة 100هـ/ 718م بإفريقية، وقيل مات في الأندلس ودفن في مدينة سرقسطة. للمزيد حول الموضوع انظر: الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، م. س، ص57 - 58، وابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص18، والداية (محمد رضوان): ترجمة حنش الصنعاني، مجلة الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، العددان 3، 4، السنة الأولى - ربيع 1401هـ/ 1981م، ص39 - 46. ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص18

(3) يوسف (كارم محمود اسماعيل): دور اليمنيين السياسي في الأندلس «92 - 172هـ/ 711 - 788م»، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، صفر 1411 - سبتمبر 1991م، ص12 - 13.

(4) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج1، ص176 نقلا عن المالكي، ج1، ص18.

(5) نقلا عن سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، م. س، ج1، ص180.

للإسلام وهو كسيلة بن لمزم[1]؛ بعد أن كان مع قبيلته يعتنقون المسيحية ويتحالفون مع الروم البيزنطيين ضد العرب الفاتحين، كما كان للسياسة المرنة التي سار عليها أبو المهاجر دور في التقريب بين العرب والبربر، وظهر أثرها في تقدم حركة الفتح التي وصلت وقتها منطقة تلمسان في غرب المغرب الأوسط[2]؛ على الحدود الشرقية للمغرب الأقصى - المملكة المغربية اليوم - لأول مرة، وبذلك يكون أبو المهاجر بن دينار اليمني أول فاتح عربي مسلم وطئت أقدامه المغرب الأوسط «الجزائر اليوم»[3].

ومن أشهر قادة الفتح اليمنيين الذين أسهموا في نشر الإسلام في بلاد المغرب، وكان لهم الأثر الواضح في توطيد العلاقات اليمنية المغربية، القائد حسان بن النعمان الغساني الأزدي اليمني[4]؛ إذ مثلت قيادته للفتوحات نقلة نوعية في تطور العلاقات بين العرب عموما بما فيهم العنصر اليمني وبين البربر المغاربة.

وتكمن أهمية الحملة التي قادها حسان بن النعمان الغساني؛ والتي بلغ عدد أفرادها أربعين ألفا[5]؛ في أنها عملت على إدماج الفاتحين العرب مع السكان

(1) يذكر أحد الباحثين المغاربة أن الاسم الحقيقي للقائد البربري هو «اكسل» وتعني بالأمازيغية النمر، ويقول إنه حُرِّف هذا الاسم إلى «كسيلة». لمزيد من الاطلاع على معنى هذا الاسم يمكن الرجوع إلى مداخلة د. محمد الغرايب بعنوان» الجانب الإنساني في المقاومة الأمازيغية: حالة كسيلة والكاهنة»، وقد نشرت في ندوة المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، الرباط، 2005، ج1، ص167 - 168.

(2) بيضون (إبراهيم): الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1986، ص41 - 42.

(3) العبادي (أحمد مختار): في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، [د. ت. ط]، ص40.

(4) الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص22.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، م. س، ج1، ص34.

المغاربة البربر؛ وهو ما نلمسه من خلال الإجراءات والترتيبات الإدارية والعسكرية التي أشرف عليها حسان بن النعمان بنفسه، والتي كان من أبرزها إشراك البربر المسلمين في إدارة وقيادة الجيوش[1]؛ وفضلاً عن جهود حسان بن النعمان في تقريب البربر ودمجهم مع العرب، فقد بذل حسان جهودًا مهمة في استتباب الأمن وبناء المساجد، والعمل على نشر الإسلام واللغة العربية عبر الدعاة الذين وزعهم بين أوساط قبائل البربر، كما قام بتجنيد اثني عشر ألفًا منهم، وجعل على قيادتهم ابني الكاهنة البربرية[2]؛ «يفرن، يزديان»[3]؛ وفرض لهم عطاء أسوة بإخوانهم العرب في الغنائم والفتوحات، وكل تلك الإجراءات حسّنت من إسلامهم، وتعايشهم مع إخوانهم العرب[4].

وكان آخر فاتح عربي أتم فتح ما تبقى من بلاد المغرب هو موسى بن نصير اللخمي اليمني؛ الذي توغَّل بجيوشه من إفريقية صوب المغرب الأوسط حتى

(1) من أبرز القادة البربر الذين ولاهم حسان بن النعمان الغساني على قيادة الجيوش؛ هلال بن ثروان اللواتي. انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وبلاد المغرب، م. س، ص228. وتجدر الإشارة إلى أن ما قام به حسان بن النعمان من إشراك البربر في قيادة الجيش كان له أثر إيجابي على مسيرة الفتح؛ فمن ناحية أشعر البربر بالمساواة مع إخوانهم العرب، ومن ناحية أخرى استفاد من خبرات البربر الحربية ومعرفتهم بمسالك الطرق وطبائع القبائل، مما سهل المهمة على الفاتحين.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، م. س، ج1، ص38.

(3) الفَرِحُ، عروبة البربر، م. س، ص28.

(4) المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت 494هـ): كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير الكبوس، مراجعة محمد العروسي المطوي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994، ص56، وابن عذاري، البيان المغرب، م. س، ج1، ص38، وطه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، م. س، ص51 – 52.

وصل إلى مدينة طنجة بالمغرب الأقصى[1]؛ ثم اتّجه جنوبًا نحو السوس الأدنى والأقصى، ووصلت جيوشه وادي درعة، وكان لفتوحات موسى بن نصير إسهام واضح في تطوير العلاقات اليمنية المغربية، إذ ترك موسى العشرات من العرب في المناطق التي فتحها؛ ليُعلِّموا الناس القرآن الكريم وشرائع الإسلام واللغة العربية[2].

وهكذا يمكن القول إن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الذي دشنت حملاته الأولى في بداية العقد الثالث من القرن الأول الهجري في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - واستمرت إلى أواخر العقد التاسع من القرن الهجري الأول عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك قد أسهم بشكل أو بآخر في تعزيز العلاقات اليمنية المغربية، لا سيما إذا ما علمنا أن العنصر اليمني كان له الحضور القوي في كل محطات الفتح.

ولم يقتصر دور اليمنيين في الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب على الجانب العسكري كقادة وجند وعسكر فحسب، بل إنهم حملوا على عاتقهم بناء الدولة الإسلامية الجديدة إلى جانب إخوانهم البربر المغاربة، لا سيما أن أعدادًا كبيرة منهم قد استقروا في المناطق المفتوحة على طول البلاد وعرضها.

ومن أبرز الأماكن التي استوطنها اليمنيون منذ تدشين حملات الفتح الأولى؛ المناطق الشرقية من بلاد المغرب، فقد استقرت قبائل يمنية من بلى وجهينة وبني مدلج في مدينة الرمادة[3]، وفي السياق ذاته تذكر بعض الروايات أن قسمًا

(1) الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص39 - 40، ابن عذاري، البيان المغرب، م. س، ج1، ص40 - 42.

(2) الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص39 - 40، وابن عذاري، البيان المغرب، م. س، ج1، ص40 - 42.

(3) اليعقوبي، البلدان، م. س، ص95، ومدينة الرمادة أول منازل البربر وتقع بالقرب من البحر، وكانت معسكرا للرومان قديما، وتدخل ضمن الأراضي الليبية اليوم القريبة من الحدود

من عرب اليمن من قبائل الأزد ولخم والصدف استقروا في الجبل الشرقي لبرقة، وقسم آخر من غسان وجذام وتجيب نزلوا جبل برقة الغربي[1]؛ كما تذكر روايات أخرى نزول قبائل يمنية من بني سهم وقبائل حضرموت مدينة ودان على مشارف الصحراء الليبية[2].

وفي المغرب الأدنى، استقرت عدد من قبائل اليمن، ولا سيما بعد اختطاط مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع الفهري[3]، سنة 50هـ/ 669م، إذ تشير بعض الروايات إلى نزول القبائل القحطانية اليمنية فيها[4]، كما استقرت جموع من قبيلة عبس اليمنية في جزيرة شريك[5]، واستوطن قوم من عرب اليمن يعرفون ببني المغلس[6]، مدينة سبيبة[7].

---

المصرية. انظر: الهكاري (زينب): المسالك والممالك لأبي عبيدالله البكري «الجزء الخاص ببلاد المغرب»، تقديم أحمد عزاوي، مطبعة رباط نت، الرباط، 2012، ص59.

(1) اليعقوبي، البلدان، م. س، ص96.

(2) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص 11 – 12، اليعقوبي، البلدان، م. س، ص98.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وبلاد المغرب، م. س، ص224.

(4) اليعقوبي، البلدان، م. س، ص100.

(5) تقع هذه الجزيرة بين مدينتي سوسة ومدينة تونس، وسميت بجزيرة شريك نسبة إلى شريك العبسي اليمني. انظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص45، وسعد زغلول عبدالحميد، تاريخ المغرب العربي، ج1، م. س، ص165.

(6) بنو المغلس من بطون همدان اليمنية، وما زال بنو المغلس موجودين إلى اليوم في اليمن ويسكنون منطقة الحجرية في محافظة تعز. راجع الهمداني، صفة جزيرة العرب، م. س، ص136، 137، 142، 194، 307، وانظر: المقحفي (إبراهيم بن أحمد): معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ط3، 1988، ص616.

(7) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص146، ومدينة سبيبة تقع جنوب مدينة القيروان على بعد مرحلتين تقريبا.

وفي المغرب الأوسط استقرت بعض من قبائل اليمن؛ ففي مدينة طولقة[1]، نشأت ثلاث مدن؛ واحدة منها كانت خاصة بقبائل أهل اليمن[2].

وفي المغرب الأقصى استقرت عدة قبائل يمنية منذ حملات الفتح الأولى التي قادها عقبة بن نافع الفهري وأبو المهاجر بن دينار الأنصاري، إذ نزلت قبائل الصدف اليمنية في مدينة سبتة ونواحيها[3] كما نزلت قبائل حمير في نواحي نكور وسواحلها[4]؛ واستقرت بطون لقبيلة خولان اليمنية جنوبي طنجة باتجاه مدينة فاس على ضفاف نهر يسمى زلول[5].

وقد أدى استقرار الفاتحين اليمنيين في بلاد المغرب إلى إنعاش الحياة المدنية وعمران المدن وبنائها، فقد ذكرت الروايات أن القائد اليمني معاوية بن حديج الكندي اختطَّ مكانًا قرب القيروان الحالية يسمى «القرن»[6]؛ وأصبح مركزًا له وقاعدة خلال فترة بقائه في إفريقية، كما اختط وحفر عدة آبار للماء عند باب تونس، عرفت باسم آبار حديج[7]، ومما لا شك فيه أن جموع الفاتحين الأوائل من اليمنيين؛ قد أسهموا في بناء مدينة القيروان أول عاصمة رسمية للمسلمين في

(1) طولقة تقع حاليا جنوب غرب مدينة بسكرة بإقليم قسنطينة في الجزائر. انظر: الهكاري، المسالك والممالك لأبي عبيدالله البكري «الجزء الخاص ببلاد المغرب»، م. س، ص138 – 139.

(2) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص72.

(3) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص103.

(4) اليعقوبي، البلدان، م. س، ص108.

(5) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص109، وهذا النهر هو المعروف اليوم باسم نهر سبو الذي يصب في ساحل المهدية على المحيط الأطلسي في مدينة القنيطرة.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، م. س، ص16.

(7) انظر: القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، م. س، ص76 وهامشها.

إفريقية والغرب الإسلامي[1]؛ وأنشؤوا الدور والمساكن في نواحيها[2]؛ كما تشير الروايات إلى أن الفاتح اليمني أبو المهاجر بن دينار اختطَّ مدينة للمسلمين تبعد عن القيروان نحو ميلين[3]؛ وكذلك الأمر بالنسبة لمدينة تونس التي أسسها الفاتح اليمني حسان بن النعمان الغساني وأنشأ بها دارًا لصناعة المراكب والسفن[4].

وفي السياق ذاته تمكَّن الحميريون في بلاد الريف بالمغرب الأقصى عبر الفاتح صالح بن منصور الحميري من تأسيس إمارة خاصة بهم بإشراف خلافة دمشق منذ البدايات الأولى لتسعينيات القرن الهجري الأول[5]؛ وتأسست على يد أحفاده مدينة نكور بالريف المغربي[6] في بداية العقد الثالث من القرن الثاني الهجري.

واندمج اليمنيون الفاتحون الذين استقروا في بلاد المغرب بأهل البلاد، ونقلوا إليهم خبراتهم في المجال الزراعي وهندسة الترع المائية وتقنيات الري وبناء المواجل والصهاريج والسدود المائية، وبناء المدرجات الزراعية، وكثيرًا من مظاهر الحياة الاجتماعية، مما أدى إلى سرعة اختلاطهم وتساكنهم وتزاوجهم

(1) اليعقوبي، البلدان، م. س، ص100، والقيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، م. س، ص68 – 69، والصباري، الصلات الاجتماعية والاقتصادية بين اليمن والغرب الإسلامي، م. س، ص57.

(2) القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، م. س، ص58.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، م. س، ص16.

(4) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب م. س، ص38 – 39، وسعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج1، م. س، ص238 – 241.

(5) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب م. س، ص91، والصباري، الصلات الاجتماعية والاقتصادية بين اليمن والغرب الإسلامي، م. س، ص57.

(6) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص91، وعزاوي، مختصر الغرب الإسلامي، ج1، م. س، ص72.

مع المغاربة[1]، منصهرين جميعا تحت بوتقة الإسلام الذي أصبح مظلَّة الجميع.

وكان للعنصر اليمني دور بارز في الحركة العلمية ونشر الإسلام في المناطق التي نزلوا بها، ومن أبرز الأسر اليمنية التي عملت على نشر الإسلام بين القبائل البربرية أسرة سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري[2]؛ إذ إن جَدَّ هذه الأسرة صالح بن منصور الحميري كان قد استقر بالمغرب الأقصى بمرسى تمسامان منذ حملات الفتح العربي الأولى[3] عهد عقبة بن نافع الفهري وعمل مع أحفاده على نشر الإسلام بين بربر غمارة وصنهاجة بمنطقة الريف[4].

وقد استمر الإسهام الفاعل لليمنيين في الجانب العلمي ونشر الإسلام وتعليم الناس أمور دينهم في المراحل اللاحقة؛ حيث ارتبط تاريخ ما بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ارتباطًا وثيقًا بالعنصر اليمني، ويكفي دليلًا في هذا الشأن أن البعثة العلمية التي بعثها عمر بن عبدالعزيز لتعليم البربر شرائع الاسلام والفقه في أمور دينهم؛ كانت مكونة من عشرة فقهاء سبعة منهم من أهل اليمن[5]؛ ولم تتوقف مهمة الفاتحين اليمنيين على نشر الإسلام وتعليم الناس

(1) الصباري، الصلات الاجتماعية والاقتصادية بين اليمن والغرب الإسلامي، م. س، ص56، 61، 64.

(2) هو الذي أسس مدينة نكور سنة 123هـ/ 740م. انظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص91، وعزاوي، مختصر الغرب الإسلامي، ج1، م. س، ص72.

(3) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص91.

(4) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، م. س، ص91، وكارم محمود اسماعيل يوسف، دور اليمنيين السياسي في الأندلس»92 – 172هـ/ 711 – 788م»، م. س، ص28.

(5) أوردت المصادر أسماء هؤلاء الفقهاء وهم: موهب بن حي المعافري، عبدالرحمن بن رافع التنوخي، بكر بن سوادة الجذامي، أبو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد الحبلي المعافري، سعيد بن مسعود التجيبي، أبو سعيد جُعثل بن هاعان بن عمير بن اليثوب الرعيني اليمني. انظر: رياض النفوس، ج1، م. س، ص 99 – 118، وطبقات علماء إفريقية وتونس، م.

الدين الجديد في بلاد المغرب فحسب، بل نراهم ينطلقون إلى الضفة الأخرى شبه الجزيرة الإيبيرية مع إخوانهم البربر المغاربة[1]؛ فاتحين تلك البلاد، ناشرين الدين الإسلامي[2].

وصفوة القول إن العلاقات اليمنية المغربية الضاربة جذورها في القدم، فضلًا عن تفرد البلدين بالعديد من الخصائص والسمات التاريخية المشتركة والمتشابهة قبل الإسلام، كل ذلك قد ساعد على التناغم والتقارب والاندماج والتلاحم بين اليمنيين والمغاربة منذ ظهور الإسلام حتى استكمال الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب في نهاية القرن الهجري الأول.

## الخاتمة

بناء على كل ما سبق من محاور البحث وعناوينه المختلفة توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

**أولًا:** قِدَمُ العلاقات اليمنية المغربية، والتواصل بين المنطقتين، والذي يرجع إلى عصور غابرة، وهو ما أكدته النقوش اليمنية القديمة المكتوبة بخط المسند الحميري في مدينة قرطاجنة، والروايات المصدرية التي تحدثت عن حملات

---

س، ص84 – 87، أحمد (مصطفى أبوضيف): أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ج1، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص92 – 95.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، م. س، ج2، ص5.

(2) من أبرز الشخصيات اليمنية الذين اشتركوا مع إخوانهم المغاربة في فتوحات الأندلس؛ عبدالملك بن عامر المعافري – جد المنصور بن أبي عامر – الذي كلفه طارق بن زياد بافتتاح حصن قرطاجنة، وطريف بن مالك المعافري الذي أسهم في تأمين الناحية الجنوبية الغربية من الجزيرة الخضراء. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، م. س، ج2، ص256 – 257، الترب (سناء محمد): المعافريون في الأندلس منذ الفتح حتى القرن الخامس الهجري، المؤسسة اليمنية للثقافة والفنون – سلسلة كتاب تعز عاصمة ثقافية –، تعز، اليمن، ط1، 2014، ص50 – 51.

لبعض التابعة الحميريين ووصولهم إلى بلاد المغرب، فضلا عن الإشارات التي وردت في مصادر مغربية ويمنية تؤكد الأصول الحميرية اليمنية لقبائل بربرية عديدة أشهرها صنهاجة وكتامة ولواتة.

**ثانيًا**: وجود الكثير من السمات المتشابهة والمشتركة بين اليمن وبلاد المغرب قبل الإسلام، في العديد من المجالات والجوانب الاجتماعية والسياسية والدينية، وهو الأمر الذي ساعد الفاتحين العرب وخصوصا اليمنيين منهم على اختراق البلاد المغربية بعد تدشين مرحلة الفتوحات.

**ثالثًا**: مثَّل الفتح العربي لبلاد المغرب محطة جديدة بارزة في إعادة جسور التواصل بين اليمن وبلاد المغرب، لا سيما أن معظم قادة ورجال الفتح الإسلامي للبلاد المغربية ينتمون إلى بلاد اليمن.

**رابعًا**: أدت المشاركة الكبيرة لأهل اليمن في الفتوحات واستقرارهم في كل الأماكن المفتوحة؛ إلى الإسهام الفاعل إلى جانب إخوانهم البربر المغاربة في بناء الدولة المغربية الإسلامية، واختطاط المدن الجديدة والقواعد العسكرية وبنائها، ونقل الخبرات الفنية في المجال الزراعي وتقنيات الري، فضلا عن استكمال نشر تعاليم الإسلام والفقه الإسلامي، واللغة العربية بين السكان البربر المغاربة.

**خامسًا**: انصهار الفاتحين اليمنيين مع البربر المغاربة في بوتقة واحدة إطارها الدين الإسلامي، وهو ما تجلى في توجه الجميع إلى فتح الضفة الأخرى الشمالية لبلاد المغرب؛ بلاد الأندلس ونشر الدين الإسلامي وإعلاء رايته فيها.

# قائمة المصادر والمراجع

## أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

## ثانيا: المصادر:

1. ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله تـ741هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972.
2. ابن الأثير (عز الدين علي بن محمد تـ630هـ)، الكامل في التاريخ، ج8، دار الكتاب العربي، لبنان، (د. ت. ط).
3. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي تـ456هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1977.
4. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي تـ367هـ)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.
5. ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد تـ808هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.
6. ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد تـ808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت، 1979.
7. ابن الديبع (وجيه الدين عبدالرحمن بن علي ت944هـ)، نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، صنعة أحمد راتب حموش، دار الفكر المعاصر، بيروت+ دار الفكر، دمشق، ط1، 1992.
8. ابن عذاري (أبو العباس أحمد المراكشي تـ بعد سنة712ه)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة، أ. س كولان، أليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1983.
9. أبو زكريا (يحيي بن أبي بكر تـ 471هـ)، كتاب السيرة وأخبار اللائمة، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982.
10. الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن عبدالله السبتي تـ 560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ا، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1994.

11. الأصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي تـ 346هـ)، مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، 1961.

12. البكري (أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز تـ487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس، طبعة 1965.

13. الجعدي (علي بن سمرة تـ حوالي 586هـ)، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1981.

14. الجندي (بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب تـ732هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ج2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1995.

15. الحموي (شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله تـ 626هـ)، معجم البلدان، مج2، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2008.

16. الحموي (شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله تـ 626هـ)، معجم البلدان، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، مج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2008.

17. الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني تـ بعد 425هـ)، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدين موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

18. الطبري (محمد بن جرير تـ 310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، مج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1988.

19. الطبري (محمد بن جرير تـ 310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1988.

20. القيرواني (أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي تـ333هـ)؛ طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.

21. المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد تـ 494هـ)، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير الكبوس، مراجعة محمد العروسي المطوي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994.

22. ابن منبه (وهب الأبناوي الصنعاني تـ114هـ)، كتاب التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والبحوث + الجيل الجديد، صنعاء، ط3، 2008.

23. مؤلف مجهول (من أهل ق8هـ/ 14م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: تحقيق الدكتور سهيل زكار+ الأستاذ عبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979.

24. الهمداني (أبو الحسن محمد بن أحمد تـ بعد 334هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1990.

25. الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد تـ بعد 334هـ)، كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج2، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004.

26. اليعقوبي (أحمد بن واضح)، البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف، ط3، 1957.

## ثالثًا: المراجع

1. أحمد (مصطفى أبو ضيف)، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ج1، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1986.

2. اكنينح (العربي)، في المسألة الأمازيغية أصول المغاربة (أمازيغ، عرب، زنوج وآخرون)، مطبعة آنفو - برانت، فاس، ط1، 2003.

3. بافقيه (محمد عبدالقادر)، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، لبنان، 1985.

4. بن منصور (عبد الوهاب)، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.

5. بيضون (إبراهيم)، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1986.

6. التازي (عبد الهادي)، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، مج1، دار المعرفة للنشر، الرباط، ط1، 2001.
7. الترب (سناء محمد)، المعافريون في الأندلس منذ الفتح حتى القرن الخامس الهجري، المؤسسة اليمنية للثقافة والفنون - سلسلة كتاب تعز عاصمة ثقافية -، تعز، اليمن، ط1، 2014.
8. الحجري (محمد بن أحمد)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج2، تحقيق ومراجعة إسماعيل بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، اليمن، ط1، 1984.
9. الحداد (محمد يحيي)، تاريخ اليمن السياسي، ج1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1986.
10. حركات (إبراهيم)، المغرب عبر التاريخ، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، طبعة 2000.
11. الحريري (محمد عيسى)، مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت، ط2، 1983.
12. الشجاع (عبد الرحمن)، اليمن في صدر الإسلام، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987.
13. الشجاع (عبد الرحمن)، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، مكتبة الإحسان، صنعاء، ط8، 2013.
14. الصلابي (علي محمد)، الدولة العبيدية الفاطمية، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2007.
15. الصلابي (علي محمد)، دولة المرابطين، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2006.
16. طه (عبد الواحد ذنون)، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004.
17. العبادي (أحمد مختار)، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، [د. ت. ط].
18. عبدالحميد (سعد زغلول)، تاريخ المغرب العربي، ج1، دار المعارف، الاسكندرية، طبعة 2000.

19. عزاوي (أحمد)، مختصر في تاريخ الغرب الاسلامي، ج1، مطبعة ربا نت، الرباط، ط2، 2009.

20. عزاوي (أحمد)، مختصر في تاريخ الغرب الاسلامي، ج2، مطبعة ربا نت، الرباط، ط2، 2009.

21. الفرح (محمد حسين)، عروبة البربر» تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر»، وزارة الثقافة، (ضمن إصدارات تريم عاصمة الثقافة الاسلامية)، الجمهورية اليمنية، 2010.

22. الفقي (عصام الدين عبدالرؤوف)، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول، دار الفكر العربي، ط1، 1982.

23. الكامل (محمد أحمد)، موجز تاريخ اليمن حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية، الجيل الجديد، صنعاء، ط2، 2017.

24. المقحفي (إبراهيم بن أحمد)، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ط3، 1988.

25. مؤنس (حسين)، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د. ت. ط).

26. مسعود (ميخائيل)، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1994.

27. الهكاري (زينب)، المسالك والممالك لأبي عبيدالله البكري «الجزء الخاص ببلاد المغرب»، تقديم أحمد عزاوي، مطبعة رباط نت، الرباط، 2012.

## رابعا: الأبحاث المنشورة في مؤتمرات علمية ومجلات محكمة

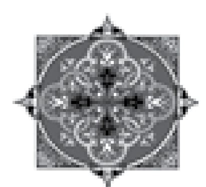
1. عبد الحميد (إسماعيل مولاي)، سيماء الحضارة اليمنية في المغرب الأقصى، بحث مقدم في ندوة بعنوان» اليمن عبر التاريخ» خلال الفترة من 23 – 25 سبتمبر 1989م، نشر جامعة عدن.

2. الغرايب (محمد)، الجانب الانساني في المقاومة الأمازيغية» حالة كسيلة والكاهنة»، ورقة علمية تم نشرها في ندوة بعنوان» المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات»، ج1 الرباط، 2005.

3. الداية (محمد رضوان)، ترجمة حنش الصنعاني من تاريخ دمشق لابن عساكر وتهذيب الكمال وسير أعلام النبلاء للذهبي، مجلة الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، العددان 3، 4، السنة الأولى - ربيع 1401هـ/ 1981م.

## خامسا: رسائل الماجستير والدكتوراه

1. يوسف (كارم محمود اسماعيل)، دور اليمنيين السياسي في الأندلس«92 - 172هـ/ 711 - 788م»، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، صفر 1411 - سبتمبر 1991.
2. الصباري (عبدالسلام محمد)، الصلات الاجتماعية والاقتصادية بين اليمن والغرب الإسلامي من الفتح حتى منتصف القرن 5هـ/ 11م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، المملكة المغربية، 2001.
3. اسكندر (سعيد ناجي)، حركة الخوارج الصفرية في المغرب الإسلامي ما بين القرنين» 2 - 4هـ/ 8 - 10م «، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية، 2009.



# شعب الوَاق وَاق: أصلهم وهجراتهم إلى شرق إفريقيا دراسة في المصادر التاريخية والجغرافية

د. إسماعيل حامد إسماعيل علي[1]

## ملخص الورقة:

يُعَدّ شعب الواق واق من أكثر الشعوب غموضًا في التاريخ، لاسيما فيما يرتبط بأصل هذا الشعب، وموطنه الأول، وإلى أي الأعراق أو الإثنيات ينتسب هذا الشعب. وقد تناولت الدراسة أصل الواق واق، ودلالة التسمية، وهجراتهم من موطنهم الأول حتى استقروا على ساحل شرق إفريقيا بحسب ما ورد في المصادر التاريخية، وإن كان ما ورد قليلًا للغاية عن هذا الشعب الغامض. وخلصت الدراسة إلى أن الموطن الأول للواقواقيين هي منطقة أرخبيل إندونيسيا، أو جزر «بحر الصين» في المحيط الهندي. وتصف بعض الروايات الواقواقيين باسم «البحارة الإندونيسيين». وعلى أية حال، أشارت الدراسة إلى أن شعب الواق واق هاجروا - في الغالب - من جزر إندونيسيا إلى ساحل شرق إفريقيا جنوب ميناء سفالة (سوفالا جنوب موزمبيق)، وهي تعتبر الهجرة الأولى

---

(1) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا الأمريكية.

لهم، ثم انتقلوا من الساحل الإفريقي إلى جزيرة مدغشقر التي صارت الموطن الرئيس للواقواقيين بعد ذلك، وكانت آخر هجراتهم على الراجح. ولعل حديث بعض المصادر عن منطقتين باسم الواق واق، هي إشارة للموطن الأول في بحر الهند، ثم «الموطن الثاني» في شرق إفريقيا، أو جزيرة مدغشقر، وهو ما قصدت به رواية بعض المصادر باسم «واق واق الصين»، وهي الموطن الأول، وواق واق اليمن حيث الموطن الثاني في شرق إفريقيا، ولعل تلك التسمية الأخرى بسبب قرب سواحل بلاد اليمن من الساحل الإفريقي الشرقي حيث استقر الواقواقيون.

**abstract**

Waq waq People are considered one of most mysterious Peoples in History ,especially with regard to the Origin ,their first Homeland & their Race .This Study dealt with the origin of the Waq Waq ,the connotation of name ,and their migration until they settled on East African Coast ,according the Sources, although very little was mentioned about this People .The Study concluded that the two condoms were first housed in the Indonesian Islands ,or the China Sea Islands in the Indian Ocean ,or the Indian Sea .Some accounts describe Al - Waqiun as Indonesian sailor.

In any case ,the Study indicated that the Waq Waq migrated mostly from the islands of Indonesia to East Africa ,south of the port of Sufala ,southern Mozambique ,which is considered their First Migration ,and then they moved from the African coast to the island of Madagascar ,which became the main Home after that .It was the last of their migrations .Perhaps the talk of some Sources about two Regions called Waq Waq ,a reference to the first place in the Sea of India ,then the Second home in

East Africa ,or the Island of Madagascar ,which is what meant by some Sources in the name of Waq Waq of China which is the first place ,and Waq Waq of Yemen is the Second Home in East Africa.

## المقدمة:

تهدف هذه الورقة لإلقاء بعض الأضواء حول شعب «الواق واق»، وكذلك تقدم محاولة لرصد «الأصل الإثني» لهذا الشعب الغامض، فضلًا عن الحديث عن هجرات هذا الشعب إلى ساحل شرق إفريقيا من خلال ما هو متاح لنا من الروايات التي أوردها مؤرخو «العصر الوسيط»، وإن كانت تلك الروايات دون ريب قليلة جدًا، وذلك إلى الحد الذي قد يجعل من تناول جوانب من تاريخ هذا الشعب أمرًا في غاية التعقيد سواء من الناحية التاريخية، أم الحضارية نظرًا لشح الأخبار الواردة عن «الواقواقيين» في أثناء المصادر التاريخية. وعلى أية حال، فإن شعب «الواق واق» يعدّ واحدًا من الجماعات الإثنية والعرقية ذات الأصل الغامض، ولا يعرف في الوقت ذاته عن تاريخهم إلا النزر القليل، وهو ما يبدو جليًا حتى يومنا هذا من خلال بعض الإشارات الذائعة في «الموروث الفلكلوري» العربي في حديثنا عن المواضع الغامضة في العالم باسم «الواق واق». ولعل ذلك الغموض الذي لايزال يحيط بشعب «الواق واق» هو ما يضفي دونما ريب أهمية على هذه الدراسة التي نحن بصدد القيام بها لمعرفة المزيد عن هذا الشعب، وأصله. فثمة مصادر تشير بشكل أو بآخر إلى أن «الواق واق» كانوا يسكنون في الأصل في أقصى جنوب شرق آسيا، ثم هاجروا منها بعد ذلك إلى سواحل شرق إفريقيا، أو في بعض الجزر التي تقع بالقرب منها، بينما تذكر بعض الدراسات مواضع أخرى كان قد استقر بها الواقواقيون.

**الكلمات المفتاحية:** (شعب الواق واق، بحر الهند، بحر الصين، البحارة الإندونيسيون، ساحل شرق إفريقيا، جزيرة مدغشقر).

## أولًا - أصل شعب الواق واق:

لا يُعرف على وجه الدقة «الأصل الإثني» Ethenic Origin لهذا الشعب المعروف باسم: «الواق واق»، وهو شعب يحيط به الغموض ربما أكثر من غيره من الشعوب الأخرى في الأرض. فقد تباينت المصادر التاريخية، وهي بلا ريب قليلة، بشكل واضح حول أصل هذا الشعب، وكذلك اختلفت فيما يخص السبب وراء تسمية تلك البلاد، وكذا الشعب الذي كان يقطنها، وكان يحمل الاسم ذاته، ودلالته. كما لم تتفق المصادر حول تحديد «الموقع الجغرافي» لهذه البلاد على وجه اليقين، أو ما يمكن أن يطلق عليه «الموطن الأول» لهذا الشعب المجهول بالنسبة لنا، ورغم ورود اسم «الواق واق» في بعض المصادر، وتناثر ذكر هذا الشعب هنا وهناك، غير أن الغموض لا يزال يكتنفهم بشكل يثير الارتباك لدى الباحثين ممن لديهم كثير من الشغف حول التعرف على هؤلاء «الواقواقيين»، وحضارتهم إن كانت لهم حضارة، وكذا دراسة ما ورد عنهم في الروايات حتى نبلغ غاية لا تزال بعيدة عن أصلهم، وموطنهم الأول. وقد ورد اسم هذه البلاد بلفظ «الواق واق» في أكثر المصادر التاريخية، بينما تذكر بعض الروايات الأخرى هذه البلاد الغامضة بلفظ: «الواقواق»[1]، أي في لفظ واحد

(1) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ، ص69. وقد ذكرت بعض المصادر هذا الشعب باسم «الواقواق» في كلمة واحدة، ومنها: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص69 - 70، وكذلك الزهري: كتاب الجغرافية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ص11. وكذلك أورده ابن فضل الله العمري في رواية له واق واق (مسالك الأبصار، جـ1، اختصار وتقديم: د. عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المختصرات التراثية، القاهرة، 2012م، ص96)، وفي موضع آخر باسم: الواقواق (انظر، العمري: مسالك الأبصار، جـ1، ص113).

وليس لفظين كما هو معتاد، وإن كانت التسمية الأولى (أي: الواق واق) أكثر ذيوعًا مقارنة بالتسمية الأخرى.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن سبب تسمية تلك البلاد بـ «الواق واق»، لأنه فيما يقال كان ينمو في أراضيهم نوع غريب من الأشجار، وقد كان لتلك الأشجار ثمر على هيئة تبدو أكثر غرابة، حيث كانت تشبه هيئة امرأة، وكانت المرأة تظهر وكأنها معلقة من شعرها على فروع تلك الأشجار، ويقال إنه إذا أدركت المرأة هذه الأشجار، أو الثمار، كان يسمع منها صوت، يقول: (واق – واق)[1]. ولعل هذا التصور الآنف يبدو فيه كثير من المبالغة، والخيالات الأسطورية التي تبعد عن المنطق، أكثر من كونها حكايات أو روايات واقعية. ومما يلفت الانتباه أن بعض الروايات تذكر أن السكان المحليين في تلك البلاد، الذين يذكرهم البعض باسم «الواقواقيين» كانوا يفهمون من هذا الصوت (أي: واق واق) شيئًا ما، ثم كانوا يتطيرون به[2].

ويرى الباحث أن تلك الرواية آنفة الذكر ليست مقنعة إلى حد كبير، حيث إنها تعتمد في الغالب على بعض الحكايات المحلية والتي تعج في الوقت ذاته بأنماط من الخرافات، والأساطير التي لايمكن أن يتصورها العقل، ولا المنطق بأي حال، لاسيما تلك الروايات ذات الغرابة التي ترد عن بعض الشعوب البدائية مثل شعب «الواق واق»، وكذلك من كان على شاكلتهم من الشعوب البدائية الأخرى، التي تبدو لنا غامضة كأشد ما يكون، ومن ثَم فهذه الشعوب لا تزال تشكل لغزًا ليس من اليسير فك شفرته حتى يومنا هذا. بينما يذهب آخرون إلى أن اسم «الواق واق»

(1) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت، ص33.
(2) المصدر السابق، ص33.

ربما يرجع في الأصل إلى لفظ محلي كان يستخدم في هذه البلاد، وهو لفظ: (واكا)، أو «واقا»، وهو في الغالب الذي اشتق منه اسم «واق»[1]. ويقال إن اسم «واكا»، أو «واق» كان يطلق في بعض الجزر في «إندونيسيا» على نوع من القوارب ذات الامتداد الخارجي، وكان يستخدمها شعب «الواق واق»، أو «الواقواقيون»[2]. ويعتقد الباحث أن هذا الرأي الأخير يبدو أكثر منطقية من غيره من الآراء الأخرى التي وردت حول تسمية «الواق واق». ويذكر «المسعودي» (ت: 346هـ) في روايته ما يقارب متن «الرواية الأولى» ودلالتها، إذ تقول هذه الرواية: «ومما يشبه خلق الإنسان أمة يقال لها الواق واق، وهي حمل شجر عظام لشعورها، ولها أيدي، وفروج مثل فروج النساء، وألوان، ولايزلن يصحن باسم: واق واق، فإن قطعت إحداهن، سقطت ميتة لاتنطق..»[3].

(1) ريتشارد هول: إمبراطورية الرياح الموسمية، ترجمة: كامل يوسف حسين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 1999م، ص50.

(2) المرجع السابق، ص50.

(3) المسعودي: أخبار الزمان، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2015م، ص16.




**رسم رمزي فيما يبدو لشجرة «الواق واق» المشهورة**[1]

وتلك الرواية الآنفة تشبه «الرواية الأولى» التي كنا قد أوردناها من قبل، وهي تميل للخرافة أكثر من كونها رواية منطقية، بينما يذكر الجغرافي «الزهري» (عاش في القرن 6هـ/ 12م) سبب تسمية «الواق واق» بهذا الاسم، أن في بلادهم أشجارًا كبارًا باسقات، ولها أوراق تشبه «أوراق التين»، وكانت تتميز الأشجار بأقطاف تشبه «أقطاف النخل»، ولما ينفلق القطف كانت تخرج منه قدما فتاة، وفي «اليوم الثاني» كانت تخرج الساقان، وفي اليوم الثالث كانت تخرج ركبتا هذه الفتاة، ثم كان يخرج باقي الجسد من تلك الشجرة فيما بعد[2]، ثم تذكر تلك

(1) نقلاً عن موقع boarding. magazine. com.

(2) الزهري: كتاب الجغرافية، ص11.

الرواية أن جسد هذه المرأة كان يخرج من تلك الشجرة، ثم تسقط المرأة على الأرض بعد ذلك، وعندئذ تصيح صيحتين قائلة: «واق واق»، وقيل: إن المرأة كانت تصيح ثلاث صيحات، بالكلمات الآنفة الذكر[1]. ويرى الباحث من ناحية أخرى أنه ربما تكون بلاد «الواق واق» هي ذاتها التي ذكرها الرحالة الإيطالي «ماركوبولو» (ت: 724هـ/ 1324م) باسم «لاك أو لواك»، وقد قام هذا المغامر برحلات بحرية طويلة عبر موانيء «المحيط الهندي» (بحر الهند)، وتنقل بين سواحله المترامية الأطراف حتى وصل لسواحل بلاد الصين[2].

### ثانيًا - الموطن الأول لشعب الواق واق:

اختلفت المصادر التاريخية اختلافًا واضحًا في تحديد الموقع الجغرافي لبلاد «الواق واق»، أو بمعنىً آخر «الموطن الأول» الخاص بهذا الشعب، حيث يذكر بعض منها أن بلادهم، وتحديدًا ما يعرف بـ «جزيرة الواق واق» كانت من بلاد «الصقع الأول» من المعمور في الأرض، وهذا الصقع[3] «يقع ضمن الجزء الأول منه»، ويذكر الجغرافي الزهري بلاد هذا الصقع بأنها: «بلاد الصين- جزيرة الواق واق»[4]، وهو ما يشير إلى الارتباط الواضح بين كل من

(1) المصدر السابق، ص12.

(2) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ترجمها إلى الإنجليزية: وليم مارسدن، ترجمها للعربية: عبدالعزيز جاويش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004م، ص55.

(3) بينما تقسم أكثر المصادر التاريخية ما يعرف بـ «المعمور من الأرض» الى عدة «أقاليم»، ومفردها: «إقليم»، بدلًا من لفظ (الصقع)، وعن ذلك يقول المسعودي: «فهو مقسوم بسبعة أقسام يسمى كل قسم منها إقليما..» (المسعودي: التنبيه والإشراف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2009م، ص33).

(4) الزهري: كتاب الجغرافية، ص11. وللمزيد عن موقع بلاد «الواق واق»، انظر ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2011م، ص5.

جزر «الواق واق» وسواحل الصين. ثم يؤكد الزهري الدلالة ذاتها، حيث يذكر أن جزر «بحر الصين» كانت كثيرة العدد، والمشهور منها ثمانية، وكان أكبرها جزيرة «الواق واق»[1]. وتشير أكثر المصادر إلى أن هذا الشعب كان يعيش على الراجح في أقصى الجنوب من ساحل شرق إفريقيا على بعد مسافة غير محددة جنوب منطقة «سفالة» (سوفالا، أو سوفالة، أو سفالا)[2]. وسفالة ميناء معروف يقع على سواحل «شرق إفريقيا»، وهو الساحل المعروف في المصادر الوسيطة باسم «بلاد الزنج»[3]. وقد نال هذه الميناء شهرة واسعة لاسيما من خلال ارتباطه بتصدير الذهب القادم من مناجم شرق إفريقيا، فيقول «المسعودي» (ت: 346هـ): «ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق..»[4].

(1) وعن ذلك يذكر الجغرافي «الزهري»: «فأما التي في البحر من جزائر الصين فهي كثيرة، المشهور منها والمذكور ثمانية، أكبرها جزيرة الواق واق..» (انظر الزهري: كتاب الجغرافية، ص11).

(2) سفالة: من أشهر المدن على ساحل شرق إفريقيا لارتباطها بالذهب، وكان الذهب يؤتى لها من الداخل، وتقع سفالة حاليًا في موزمبيق، يقول ابن بطوطة: «وذكر لي بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من كيلوا، وأن بين سفالة ويوفي من بلاد الليميين (لعله يقصد البليميين!) مسيرة شهر، ومن يوفى يؤتى بالتبر إلى سفالة..» (ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ1، ص234). وتذكر بعض المصادر هذا الميناء باسم السفالة بأدوات التعريف، يقول الجاحظ: «وناس من السفالة يأكلون الذبان..» (الجاحظ: تهذيب الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص119).

(3) المسعودي: مروج الذهب، جـ1، ص5.

(4) وفي رواية أخرى يقول المسعودي: «وكذلك أقاصي بلاد الزنج هو بلاد سفالة، وأقاصيه بلاد الواق واق، وهي أرض كثيرة الذهب، كثيرة العجائب..» (المسعودي: مروج الذهب، جـ1، ص5).




**خريطة توضح المنطقة التي يحتمل وجود بلاد الواق واق بها على ساحل شرق إفريقيا (الموطن الثاني)**

وتلك رواية تربط بوضوح بين «سفالة» وساحل شرق إفريقيا من جانب، وبلاد «الواق واق» من جانب آخر، ثم يذكر المسعودي أن المسافة بين مساكن بلاد الزنج من أعالي مجرى نهر النيل وحتى ميناء «سفالة» وبلاد «الواق واق» كانت تبلغ حوالي «سبعمائة» فرسخ، ومفهوم «الفرسخ» باعتباره من أدوات قياس المسافات كما هو معروف يعادل تقريبًا «ثلاثة» أميال[1]، أي أن هذه

(1) الفرسخ: فيما يخص مقاييس الأطوال التي ترد كثيرا في روايات المصادر الإسلامية، ومنها الذراع: وهو يساوي: أربعًا وعشرين إصبعًا، أما الإصبع: فهي تساوي ست شعيرات مضمومة بعضها على بعض، والفرسخ: يساوي ثلاثة أميال، وقيل الفرسخ يعادل ثلاثة آلاف ذراع، وقيل: يساوي أربعة أميال (انظر المسعودي: التنبيه والإشراف، ص29). ومن

المسافة تبلغ حوالي 2100 ميل من بدايات بلاد الزنج، وحتى بلاد «الواق واق»[1]. وهذه البلاد الممتدة بطول هذه المسافة أراض تعج بالجبال، والرمال، وتكثر بها الأودية[2].

ويتحدث «ابن الفقيه» عن بلاد «واق واق» لاسيما تلك التي تقع بالقرب من الساحل الإفريقي، وهي البلاد التي يطلق عليها البعض اسم: «واق واق اليمن»[3]، وهو ما يشير لقربها من السواحل الإفريقية، تمييزًا لها عن بلاد أخرى باسم «الواق واق» توجد بالقرب من سواحل بلاد الصين، أو في «بحر الصين»، ولهذا كان يطلق عليها حسب البعض «واق واق الصين»[4]. وقد قيل أيضًا: إن بلاد «الواق واق» قد تكون جزيرة تعرف باسم «جزيرة المل»[5]، وهي في الغالب واحدة من تلك الجزر التي توجد بالقرب من «بحر الصين»، أو ربما كانت داخل هذا البحر. وحسب بعض الفرضيات الأخرى، كان «الموطن الأول» لشعب «الواق واق» يقع ضمن جزر «الأرخبيل الإندونيسي»[6]. بينما تجعلهم بعض المصادر الأخرى ضمن جزر «بلاد الصين»، أو بالقرب من سواحل هذه

المعلوم أن الفرسخ لفظ من أصل فارسي قديم، وكان الفرس أول من استخدم هذا اللفظ، وقيل: إنه يعادل 5250م، وكان الجومو أطول من الفرسخ، وهو يساوي ثلاثة فراسخ، أو حوالي 18 كم (روجيه ج. داجنت: تاريخ البحر الأحمر، ترجمة: د. حسن نصر الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013م، ص242).

(1) المسعودي: مروج الذهب، جـ1، ص5.

(2) المصدر السابق، ص5.

(3) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص9

(4) المصدر السابق، ص9

(5) شوقي عبدالقوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، عدد رقم 151، الكويت، 1990م، ص299.

(6) ريتشارد هول: إمبراطورية الرياح الموسمية، ص50.

البلاد[1]. ولم يكن غريبًا على أية حال أن يطلق بعض الباحثين المحدثين على «الواقواقيين» اسم: «البحارة الإندونيسيين» بشكل واضح[2]، لاسيما وأن هذا الشعب كان معروفًا بمهاراته الكبيرة في الإبحار بالسفن والمراكب عبر سواحل «المحيط الهندي»، وكذلك موانيه، فهم في الغالب أهل مهارة وحذق بأمور البحار، وارتياد السفن، وذلك منذ قرون بعيدة. وفي الشأن ذاته تذكر إحدى الخرائط الموجودة بـ «المتحف البريطاني» British Museum وهي تصف ما يعرف بـ «سينوس ماجنوس» Sinus Magnus، أو «الخليج العظيم» Great Gulf، وهو الذي يشير إليه البعض بأنه ربما يكون «المحيط الهادي» Pacific Ocean[3]. وهناك توجد «شبه جزيرة» Peninsula يطلق عليها اسم «الواق واق»[4]، ولهذا السبب ربما يربط البعض بين كلٍّ من جزر اليابان من ناحية، وجزر «الواق واق» من ناحية أخرى[5].

فإلى هذا الحد تتباين روايات المصادر في تحديد الموطن الأول لهذا الشعب تباينًا يثير الحيرة والجدل، وحتى يمكننا أن نخرج من تلك «الإشكالية» المحيرة، وذلك الغموض الشديد الذي يكتنف هذا الشعب المجهول، ولفهم ذلك التناقض الواضح بين الروايات التي تحدثت عن هذه البلاد، نشير إلى

(1) ابن خرداذبة: المسالك، ص69. وكذلك ربطهم بالصين الزهري (كتاب الجغرافية، ص11).

(2) يقول «ريتشارد هول» عن شعب «الوق واق» والربط بينهم من جانب، وبين جزر إندونيسيا من جانب آخر: «يظل السر في أن جَوّابي البحر الإندونيسيين المعروفين باسم الواقواقيين قد اكتسبوا هذا الاسم العجيب شيئًا غامضًا شأن الكثير من الأمور الأخرى المتعلقة بهم..» (هول: إمبراطورية الرياح الموسمية، ص50).

(3) Al Qazwini: Manuscript of Marvels of Created Things, P. 9.

(4) Ibid, P. 9.

(5) شوقي عبدالقوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص304.

أن بعض المصادر - مثلما أورده كلٌّ من «الشريف الإدريسي» (ت: 548هـ)، و«ابن الفقيه» (ت: حوالي سنة 340هـ)، و«ابن الوردي» (ت: 861هـ)، وغيرهم من كبار المؤرخين القدامى - تفرق تفريقًا واضحًا لا التباس فيه بين كلٍّ من «أرض الواق واق» التي تقع في رأي البعض إلى الجنوب من ميناء «سفالة» على ساحل شرق إفريقيا، أو على السواحل المقابلة للساحل الإفريقي من جانب، وبين جزائر «الواق واق» التي تقع في «بحر الهند» (بحر الصين) في إحدى مناطق جنوب شرق آسيا[1]، إذ تتحدث بعض المصادر التاريخية الكلاسيكية عن منطقتين تحملان اسم «الواق واق» بشكل مختلف تمامًا.

ويحدد «الإدريسي» بدوره موقع جزر «الواق الواق» بالقرب من «بحر الصين»، أو ما يعرف بـ «بحر الصَنف»، وهي بحر يعد جزءاً من «بحر الهند» (المحيط الهندي)، ومن ثَم تقع هذه البلاد بالقرب من سواحل الصين، وليس سواحل شرق إفريقيا[2]. ويتحدث «الإدريسي» عن «جزائر الواق واق» ضمن حديثه عن بعض الجزائر الموجودة قرب «بحر الصين»، ومنها «جزيرة السحاب»، حيث يذكر: «ومن جزيرة الموجة إلى جزيرة السحاب مسير أربعة مجارٍ، أو أكثر، وجزيرة السحاب سميت بهذا الاسم لأنه ربما طلع من ناحيتها سحاب أبيض يظل المراكب.. وفيما يليها من جزائر الواق واق مواضع مقطوعة بالجبال والجزائر، فلا يصل السالك إليها.. وتتصل بهذه الجزائر جزائر الواق واق، ولا يُعرف ما بعدها، وربما وصل أهل الصين إليها في الندرة، وهي جزائر عدة، ولا عامر بها إلا الفيلة، وطيرها كثير جدًا، وبها شجر حكى المسعودي عنها أمورًا لا تقبلها العقول من جهة

(1) وللمزيد عن التفرقة بين أرض الواق واق وجزائر الواق واق، الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ1، ص80.
(2) الإدريسي: جـ1، ص87 - 88.

الإخبار عنها، لكن الله على ما يشاء قدير..»[1]. ويرى الباحث أنه يقصد في الغالب في رواية بعض المصادر التاريخية بجزر «الواق واق» تلك الجزر التي تقع بالقرب من سواحل بحر الصين، أو «الجزر الإندونيسية».

وعن ذات الفكرة أيضًا والتي تفرق بين كل من «أرض الواق واق» (الواقعة في الغالب جنوبي ميناء «سفالة»)، و«جزر الواق واق» الواقعة في «بحر الصين»، ما يرويه «ابن الوردي»[2]. وعلى أية حال تعد رواية ابن الفقيه فيما يرى الباحث من أهم الروايات الواردة في المصادر، إن لم تكن الأهم على الإطلاق، حيث يفرق ابن الفقيه تفريقًا واضحًا بين موضعين باسم «الواق واق»، الأول: عند الساحل الإفريقي الشرقي، ويطلق عليه «واق واق اليمن»، بينما الموضع الآخر يقع بالقرب من سواحل بلاد الصين، أطلق عليه ابن الفقيه في روايته اسم: «واق واق الصين»، تمييزًا بين كلٍّ منهما. ويذكر «ابن الفقيه» في هذا الشأن أن «البحار أربعة: البحر الكبير الذي ليس في العالم بحر أكبر منه، وهو آخذ من المغرب إلى القلزم حتى يبلغ واق واق الصين، وواق واق الصين بخلاف واق واق اليمن..»[3]. ثم يذكر ابن الفقيه في روايته المهمة أن بلاد «الواق واق» القريبة من بلاد اليمن «يخرج منها ذهب سوء»[4]، وهو ما يشير إلى أن بلاد «الواق واق» التي تشتهر بالذهب ربما يقصد بها تلك البلاد القريبة من ميناء «سفالة»، وهو المشهور بـ«ميناء الذهب».

وهناك رواية يذكرها «ابن خلدون» (ت: 808هـ) عن هذه البلاد الغامضة، فيقول: «وفي جهة الجنوب من بلد زالع، وعلى ساحل هذا البحر (بحر الهند)

(1) الإدريسي: جـ1، ص90 – 91.

(2) ابن الوردي: خريدة العجائب، ص143، ويتحدث عن جزر الواق واق: ص203 – 205.

(3) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص9.

(4) المصدر السابق، ص9.

من غربيه قرى بربر، يتلو بعضها بعضًا.. ويليها هناك من جهة الجنوب شرقيها بلاد الزنج، ثم سفالة على ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الإقليم. وفي شرقي سفالة من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق، متصلة إلى آخر الجزء العاشر من هذا الإقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المحيط..»[1]. وهو ما يشير إلى أن «ابن خلدون» يحدد موقع هذه البلاد بالقرب من «سفالة»، وليس قرب «بحر الصين»، بل إنه يحدد بلاد «الواق واق» شرق «سفالة»، وهي ليست على ذات الخط الساحلي لبلاد شرق إفريقيا كما يعتقد، ولعل ذلك يؤكد أن هذه البلاد هي ذاتها: جزيرة «مدغشقر»، وهو الرأي الذي يؤكده بعض الباحثين المحدَثين، وهو ما سوف نتناوله في هذه الورقة فيما بعد. بينما تذهب فرضيات أخرى إلى أنه ربما يكون المقصود بـ«الواق واق» جزر «الفلبين»، وقد قيل أيضًا في الصدد ذاته حسب آخرين أن موقع بلاد «الواق واق» قد يكون في بعض الجزر في مناطق غرب آسيا[2].

بينما تشير بعض الفرضيات الحديثة بدورها إلى أن هذه البلاد ربما تقع في أقصى جنوب سواحل شرق آسيا، ويحدد أصحاب هذا الرأي موقع تلك البلاد جغرافيًا بأن جزر الواق واق هي ذاتها جزر «اليابان»، وعلى هذا فاليابان

(1) ابن خلدون: المقدمة، جـ1، ص363. وفي موضع آخر من كتاب (المقدمة)، يتحدث ابن خلدون عن جزائر «الواق واق»، حيث يقول: «وأما جزائر هذا البحر فكثيرة من أعظمها جزيرة سرنديب.. وهي قبالة سفالة. ثم جزيرة القمر، وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة أرض سفالة، وتذهب إلى الشرق منحرفة بكثير إلى أن تقرب من سواحل أعالي الصين، ويحتف بها في هذا البحر من جنوبيها جزائر الواق واق، ومن شرقيها جزائر السيلان إلى جزائر أخر في هذا البحر كثيرة العدد، وفيها أنواع الطيب، والأفاوية، وفيها يقال معادن الذهب والزمرد..» (ابن خلدون: المقدمة، جـ1، ص363).

(2) شوقي عبدالقوي عثمان: تجارة المحيط الهندي، ص304.

قد تكون «الموطن الأول» لشعب «الواق واق» حسب هذا الرأي[1]، وهو ما لا يراه الباحث، فلا دليل واضح يعضد ذلك الرأي، بينما يذكر «ابن الوردي» (ت: 861هـ) في روايته: «وأرض سفالة متصلة بأرض الواق واق..»[2]، وهو ربط يبدو واضحًا بين كلٍّ من ميناء «سفالة» و«الواق واق»، بينما يحدد آخرون موقع «الواق واق» في إحدى مناطق جنوب شرق آسيا داخل «المحيط الهندي»، حيث يشير البعض إلى أن هذا الشعب قبل هجرتهم إلى ساحل شرق إفريقيا كانوا يسكنون بالقرب من سواحل إندونيسيا، فكانوا يشتهرون بـ «البحارة الإندونيسيين»، وذلك حسب هذا الرأي[3]، وهو ما يربطهم ربطًا تلقائيًّا بسواحل بحر الصين.

ويرى الباحث أن السبب في وجود منطقتين باسم «الواق واق» ربما يرجع إلى أن «الموطن الأول» لهذا الشعب كان يقع عند الجزر الإندونيسية، أو بالقرب منها، وغير بعيد عن سواحل بلاد الصين، ومن ثم تقع هناك تلك الجزر التي تسميها بعض المصادر باسم: جزائر «الواق واق»، وأحيانًا تسمى بصيغة «المفرد»، أي «جزيرة الواق واق»، فلما هاجروا إلى ساحل شرق إفريقيا فاستقروا فيه، صارت تلك المنطقة الجديدة التي سكنوها تحمل في الغالب الاسم ذاته، وربما يؤيد ذلك إشارة ك. ماكفيدي إلى هجرات قام بها بحارة إندونيسيون حوالي القرن 5م لجزيرة مدغشقر: «أما أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ هذه الخريطة في مناطق جنوب القارة.. كما تتمثل في استعمار جزيرة مدغشقر، فقد وفدت إلى

(1) المرجع السابق، ص304. وفي هذا الشأن يقول د. شوقي عبدالقوي عثمان: «اختلف الباحثون حول مكانها (يقصد بلاد الواق واق)، فمنهم من ذهب إلى أنها بورنيو، ومنهم من ذهب إلى أنها اليابان، أو الفلبين، كما ذهب بعضهم إلى أنها مدغشقر، وإن كنت أرجح أنها اليابان، لأن البلاد التي سبق ذكرها لها مسميات في الكتب العربية..» (شوقي عبدالقوي عثمان: المرجع السابق، ص304).

(2) ابن الوردي: خريدة العجائب، ص143.

(3) ريتشارد هول: إمبراطورية الرياح الموسمية، ص50.

تلك الجزيرة بعض السفن التي كانت تحمل جماعات من الشعوب الإندونيسية المتكلمة بلغة الملاجاسي، واستقرت بالجزيرة..»[1].

ويرى الباحث أن هذا القول يؤكد ما نرمي إليه بأن «الواق واق» في الأصل من البحارة الإندونيسيين الذين هاجروا لشرق إفريقيا، واستقروا بها بعد ذلك، ولعل الإضافة الأخرى هنا أن هجرة الواق واق ربما ترجع لحوالي القرن الخامس الميلادي، ومن ناحية أخرى تربط بعض الروايات بين بلاد «الواق واق» من جانب، وبحر آخر غير معروف، وهو الذي يشتهر في بعض المصادر باسم: «بحر الصَّنَف»[2]، وهو من البحار التي تقع بالقرب من «بحر الصين». ويذكر «المسعودي» (ت: 346هـ) أن هذا البحر يأتي بعده «بحر الصين»[3]: «ويتصل هذا البحر بالواق واق، ويقول البحريون إنهم لايعرفون منتهاه، غير أن أقصاه جبال تتوقد نارًا ليلًا ونهارًا.. وبعد بحر الصنف.. بحر الصين، وهو بحر خبيث، بارد، ليس في غيره من البحار مثل برده، ويقال إن ريحه من قعره، ويقال إنه بحر مسكون له أخل في بطن الماء..»[4].

ويذكر «ابن الفقيه» من جانبه أن سكان «الواق واق» التي تقع بالقرب من سواحل الصين هم أمة يعيشون في بلاد فيما وراء بلاد الصين[5]. ومن أهم المصادر

(1) كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة: مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص69.

(2) المسعودي: أخبار الزمان، ص24 - 25.

(3) يذكر المسعودي أن «بحر الصين» هو جزء من البحر الحبشي، أو ما يعرف باسم بحر الهند: «البحر الحبشي هو بحر الصين والسند والهند والزنج والبصرة والأُبُلّة وفارس وكَرمان وعُمان والبحرين والشِّحر واليمن وأَيْلة والقُلْزُم من بلاد مصر..» (المسعودي: التنبيه والإشراف، ص52).

(4) المسعودي: أخبار الزمان، ص24 - 25.

(5) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص5. كما يقول ابن الفقيه أيضا في روايته: «فرأس الدنيا

التي تحدثت عن هذه البلاد، يذكر «الحميري» أن أرض «الواق واق» كانت بلادًا متصلة بأرض «سفالة»، «وفيها مدينتان حقيرتان، وساكنها قليل..»[1]. ويبدو أن «الحميري» كان قد استعان كثيرًا بما ورد في رواية الجغرافي الذي سبق زمانه «الإدريسي» عن هذه البلاد، وهي تسبق أيام «الحميري» بنحو قرن ونصف القرن، بينما يربط «العمري» (ت: 749هـ) في إحدى رواياته بين «الواق واق» وسواحل «سفالة»، و«جزر الهند» في آن واحد، وهو يحدد موضع كليهما ضمن «الإقليم الأول» من المعمور في الأرض: «وأول ما نبدأ به من الغرب على حكم خط الأقاليم بلاد مغزارة الذهب.. وبلاد سفالة الذهب.. ويتصل بذلك جزر فيها الشجر، ثم جزر الهند، وهي ما لا تحصى كثرة، ومن أجلِّها سرنديب.. ثم جزر الواق واق، ودونها ينعطف البحر فيحاذي الصين، ويكون البحر هناك أصعب ما يكون..»[2]، وإن كان العمري يجعلهم أقرب للسواحل الصينية من الساحل الإفريقي.

كما يحدد «القزويني» (ت: 682هـ) موقع (الواق واق)، فيذكر أن هذه البلاد تقع في «بحر الصين»، وهو من أسماء «المحيط الهندي»، ويقصد به تحديدًا البحر القريب من سواحل الصين، ولكنه جزء من بحر الهند[3]. ورغم ذلك

الصين، خلف الصين أمة يقال لها واق واق، ووراء واق واق من الأمم ما لا يحصي إلا الله..« (ابن الفقيه: المصدر السابق، ص5).

(1) الحميري: الروض المعطار، ص602.

(2) العمري: مسالك الأبصار، جـ1، ص69 – 70.

(3) وعن «بحر الصين»، يقول المسعودي: «وبعد بحر الصنف الذي ذكرناه بحر الصين، وهو بحر خبيث، بارد، ليس في غيره من البحار برده، ويقال إن ريحه من قعره، إنه بحر مسكون له أهل في بطن الماء. وأخبر الثقة من أصحاب البحر أنهم يرونهم إذا هاج البحر في جوف الليل كهيئة الريح، ويطلعون إلى المراكب، وليس يكون ذلك إلى عند هيجان البحر. وذكر البحريون أنهم لايعرفون بعد بحر الصين بحرا يسلك، وهو بحر يغلي كما تغلي القماقم، وليس صفة ما به كسائر البحار. وفي بحر الصين سمكة مثل الحراقة يرمي بها الماء الى

فإن بعض الروايات شذت عن هذا التعريف والتحديد الجغرافي المهم، والذي يجعل بحر الصين جزءًا من بحر الهند (المحيط الهندي)، ومن هذه الروايات ما يذكره «أبو حامد الغرناطي» (ت: 565هـ) في كتاب «تحفة الألباب»، حيث يذكر أن أكبر بحار الأرض هو «البحر المحيط»، وهو الذي يحيط بالأرض كلها، وهو المعروف أيضًا باسم «بحر الظلمات»، ولهذا لا تدخله السفن والمراكب خوفًا من الفقدان والهلاك[1]. كما يذكر «الغرناطي» أن «بحر الهند» هو خليج يخرج من «البحر المحيط»، وكذلك «بحر الصين» خليج منه، وكذا «بحر القلزم» خليج منه[2]. ومن الواضح أن قول «الغرناطي» يخالف دون شك ما ورد في أكثر المصادر الكلاسيكية بأن «بحر الصين» هو جزء من «بحر الهند».

كما يذكر «القزويني» أن «الواق واق» هي جزر تتصل بـ «جزائر الزانج»، ويتم المسير إليها عن طريق النجوم[3]. وهذه الرواية ربما تشير فيما يبدو إلى أن «القزويني» يقصد هنا على الراجح جزر «الواق واق» التي تقع بالقرب من «الجزر الإندونيسية»، أو قرب جزر بحر الصين، فهو لم يقصد بلاد «الواق واق» جنوب سفالة، أو بالقرب منها غير بعيد عن سواحل شرق إفريقيا (أي جزيرة مدغشقر). وعلى أي حال فمن الإشكاليات الأخرى التي ترتبط بتحديد موقع «الواق الواق» أن بعض الروايات التي وردت من جانب مؤرخ واحد من مؤرخينا القدامى قد يفهم منها بشكل أو بآخر بعض التناقض في ذلك الشأن.

---

الساحل، فإذا انجذر الماء بقيت على الطين، فلا تزال تضطرب مقدار نصف نهار، ثم تنسلخ في اضطرابها ذلك فيخرج لها جناح، فتستقل به، فتطير..». (المسعودي: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2015م، ص25).

(1) الغرناطي: تحفة الألباب، ص67.

(2) المصدر السابق، ص67.

(3) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص33.

وعلى سبيل المثال فالمسعودي له روايتان مختلفتان في كتابين له، «الرواية الأولى» كانت قد وردت في مصنفه الأشهر «مروج الذهب»، وتذكر أن موقع «الواق واق» جنوب سواحل «بلاد الزنج»، بعد ميناء «سفالة»[1]، أي على سواحل شرق إفريقيا. أما «رواية المسعودي» الثانية، فقد وردت في كتابه الموسوم «أخبار الزمان»، وتذكر أن تلك البلاد توجد في موضع غير بعيد من الصين، وبالقرب من جزر الصين[2]. ولعل الإشكالية هنا أن المسعودي لم يذكر هاتين الروايتين في كتاب واحد، ومن هنا نفهم أنه يتحدث عن منطقتين مختلفتين كليهما تسميان «الواق واق»؛ وذلك على غرار ما ورد عند غيره من المؤرخين القدامى الذين ذكروا وجود منطقتين، إحداهما باسم: بلاد (أرض)، والأخرى: جزيرة (أو جزر) الواق واق، مثل الإدريسي، وابن الوردي، وابن الفقيه، لكن وردت روايتا المسعودي في كتابين مختلفين له، وهو ما زاد من الغموض حول موقع هذه البلاد الجغرافي، وتحديد الموطن الأول لشعب «الواق واق».

وتشير المصادر لهذين النهرين، أو إلى أحدهما، باسم: «نيل السودان»[3]، وفي الغالب يقصد بهذه التسمية «نهر النيجر»، ولعل المقصود بجريان نهر النيل

(1) المسعودي: مروج الذهب، جـ1، ص5.

(2) المسعودي: أخبار الزمان، ص36.

(3) يقول العمري عن «نيل السودان» (أو النيجر) في إطار حديثه عن الأنهار في الأرض: «ونحن نذكرهما على صحيح الاستقامة في عمود كل نهر، لا على ما تعترضه من التعريجات، أو يشق منه من الأنهار، فمنها النيل، وهو نيلان: نيل السودان، ونيل مصر.. بدليل نيل السودان: نهر النيجر. فأما نيل السودان فهو آخذ بعد انحداره من الجنوب إلى الشمال خلف المعمور من الشرق حتى يصب في المحيط بالغرب كما ذكرنا، وجميع من على ضفتيه، قبلتهم مع استقبال جرية الماء في انحراف على يسارهم إلى الشمال..» (العمري: مسالك الأبصار، جـ1، ص121).

حتى «سفالة» هو «نهر الزمبيزي»[1]، وهو النهر الموجود في «موزمبيق»، وهو من أكبر الأنهار التي تجري في هذه المنطقة، وربما ظن بعض المؤرخين القدامى أنه كان يرتبط بشكل أو بآخر بنهر النيل الذي يجري بمصر، وغيرها من البلدان حتى الكونغو جنوبًا، ومن ثم جاء الحديث عن كليهما في آن واحد. ويبدو من جانب آخر فيما ورد في إحدى روايات «ابن خلدون» وجود ترابط بشكل أو بآخر بين «سفالة» من ناحية، وجزر «الواق واق» و«جزيرة سرنديب» (جزيرة سيلان) من ناحية أخرى، يقول: «وأما جزائر هذا البحر (المحيط الهندي) فكثيرة من أعظمها جزيرة سرنديب.. وهي قبالة «سفالة»، ثم جزيرة القمر.. تبدأ من قبالة أرض «سفالة»، وتذهب إلى الشرق منحرفة بكثير حتى تقترب من سواحل أعالي الصين، ويحتف بها في هذا البحر من جنوبيها جزائر «الواق واق»، ومن شرقيها جزائر السيلان..»[2].

فأي المنطقتين من «الواق واق» كان يقصد ابن خلدون؟ فربما روايته تلك تعطي احتمالًا للمنطقتين اللتين تحملان اسم «الواق واق»، فإما واق واق سفالة (واق واق اليمن)، أو «واق واق الصين». غير أن ذكره للفظ جزر «الواق واق» ربما يشير لتلك التي تقع عند بحر الصين. ومن المعلوم أنه توجد في «بحر سرنديب» العديد من الطرق الواقعة بين الجبال، وهي تُعَد من الدروب الرئيسة لمن أراد الذهاب إلى الصين، وتذكر المصادر أنه توجد في جبال هذا البحر (أي: بحر سرنديب) معادن

(1) نهر الزمبيزي: هو أهم الأنهار في شرق إفريقيا وجنوبها، يبلغ طول «نهر الزمبيزي» Zambesi حوالي 2700 كيلومتر، أو 1700 ميل، ويجري في دول أنجولا وزامبيا، وزمبابوي، وناميبيا، وموزمبيق، ويصب في المحيط الهندي. وللمزيد، انظر: The Cambridge Paperback Encyclopedia, Edited by: David Crystal, Cambridge University Press, 2000, P. 955.

(2) ابن خلدون: المقدمة، جـ1، ص363.

«الذهب»، وفيها أيضًا بقر وحشية، وكذا فيها خلق مختلفة الصور[1].

أما عن أصل السكان القاطنين لهذه البلاد، ولغزهم الذي يثير كثيرًا من التعقيدات، فيقول ريتشارد هول Richard Hull: «يظل السر في أن جَوّابي (ويقصد بهم: البحارة الذي يجوبون البحار) البحر الإندونيسيين المعروفين باسم الواقواقيين قد اكتسبوا من هذا الاسم العجيب شيئًا غامضًا شأن الكثير من الأمور الأخرى المتعلقة بهم..»[2]. ويُعَدُّ هذا التحديد الذي يشير إليه «هول» من أهم ما ورد في هذا الشأن، والإشارة لأصل محدد لهذا الشعب. ومن جانب آخر يحدد البعض المسافة بين كل من «بحر القلزم»[3]، وبلاد «الواق واق» بحوالي 4500 فرسخ[4]. وتلك المسافة الآنفة تعادل بحسابنا قرابة 13500 ميل تقريبًا، وهي مسافة مغالىً فيها مغالاة لا تقبل الريبة. وعن المسافة بين بلاد الواق واق وبحر القلزم، يقول «ابن خرداذبة»: «وطول هذا البحر (بحر الهند) من القلزم الى الواقواق أربعة آلاف وخمس مائة فرسخ..»[5].

(1) المسعودي: أخبار الزمان، ص23. وعن «بحر سرنديب»، يقول المسعودي (ت: 346هـ): «وآخر جزائر هذا البحر بسرنديب في بحر هركند، وهي رأس هذه الجزائر كلها.. ويسلك من هذا البحر الى بلاد المهراج، وربما أظلت السحاب هذا البحر يوما وليلة، ولاينقطع عنه المطر، ولاتظهر حيتانه، ودوابه..».

(2) ريتشارد هول: إمبراطورية الرياح، ص50.

(3) البحر الأحمر: اسمه قديمًا «البحر الأرتيري» (أي البحر الأحمر)، ثم عرف باسم: «بحر القلزم»، وعن سبب تسمية هذا البحر بهذا الاسم، يقول روجيه جـ. داجنت: «وسبب هذا الاسم أن أفونسو ألبوكرك أراد أن يعرفه عندما أبحر، فقال في خطاب بعثه للملك دوم مانويل حول هذا الموضوع أن هذا الاسم أحمر ينطبق عليه تماما، لأننا عندما نبحر فيه في المنافذ (المضيق) فإننا نرى تيارات ماء ضخمة حمراء، تخرج منه، وتمتد أمام عدن، وداخل الموانيء..» (وللمزيد، ر. جـ. داجنت: تاريخ البحر الأحمر، ص242).

(4) الزهري: الجغرافية، ص138.

(5) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص71.

ومعلوم أن «الفرسخ» يساوي حوالي «ثلاثة» أميال[1]، بينما يذكر «العمري» (ت: 749هـ) أن المسافة بين «بحر القلزم» و«الواق واق» 504 فراسخ[2]، وهي تعادل حوالي 1512 ميلًا، ويرى الباحث أن هذا الرقم يبدو منطقيًا؛ وذلك يشير لدرجة التباين بين روايتي «ابن خرداذبة» (ت: 300هـ) والعمري» (ت: 749هـ)، غير أن رواية «ابن خرداذبة» هي الأقدم كما هو معلوم، فهي المقدمة على رواية العمري اللاحقة لها نظريًا، غير أنها ليست مقبولة منطقيًّا، وفي الوقت ذاته تعد «رواية العمري» من أهم المصادر الكلاسيكية، وأكثرها دقة. ويرى الباحث أن الرقم الذي ورد عند «ابن خرداذبة» كان فيه فيما يبدو خطأ في النسخ، لاسيما مع تشابه الأرقام الواردة في هاتين الروايتين 4500 فرسخ (عند ابن خرداذبة)، و504 فرسخ (عند العمري)، فلعل الناسخ كان قد خلط بين تلك الأرقام، وهو أمر غير مستبعد.

ومن جانب آخر تشير بعض المصادر إلى أن النيل كان يصل إلى الواق واق[3]، وأنه ينقسم في هذه البلاد عند أحد الجبال الموجودة هناك[4]. وتبدو هذه الرواية غريبة، لأن النيل لا يصل إلى تلك البلاد التي تقع في الغالب في أقصى جنوب «بلاد الزنج»، وتحديدًا بعد ميناء «سفالة» الذي يقع على ساحل موزمبيق (حاليًا). ولعل من أورد هذه الرواية يشير لأحد الأنهار الكبرى التي تجرى في تلك البلاد، ومن ثَم سمّاه بـ «النيل»؛ على غرار ما أوردته بعض المصادر أن «نهر النيل» يجري في بلاد السودان الغربي (غرب إفريقيا)، رغم أنه

(1) الزهري: الجغرافية، ص138.

(2) العمري: مسالك الأبصار، جـ1، ص105.

(3) وعن جريان نهر النيل في هذه البلاد، يقول ابن الوردي: «والنيل ينقسم فوق بلادهم عند جبل المقسم..» (ابن الوردي: خريدة العجائب، ص143).

(4) ابن الوردي: المصدر السابق، ص143.

من المعروف أن أكبر الأنهار هناك هو «نهر النيجر»[1]، ويليه من ناحية الامتداد، والأهمية «نهر السنغال»[2].

### ثالثًا - هجرات الواقواقيين إلى ساحل شرق إفريقيا:

بعد أن تناولنا تلك الفرضيات والآراء الآنفة فيما يخص الموطن الأول لشعب «الواق واق»، وفي أي البلاد عاش هذا الشعب المجهول، كان لا بد لنا أن نضع خلاصة تربط كل تلك الآراء مع بعضها، ويمكنها أن توفق فيما بينها إلى حد كبير؛ بهدف معرفة كيف كانت هجرات هذا الشعب؟ وكيف تمت؟ ومن أي البلاد هاجرت جماعاتهم؟ وفي أي البلاد استقروا في نهاية المطاف؟ وعلى هذا فالباحث يعتقد أن «الموطن الأول» لشعب «الواق واق» كان يقع بالقرب من جزر «بحر الصين» من ناحية، وغير بعيد من «الأرخبيل الإندونيسي» من ناحية أخرى.

ولما هاجرت جماعات من «الواقواقيين» من هذه المنطقة إبان فترة زمنية لانعلمها على وجه التقريب إلى سواحل «شرق إفريقيا»، سواء بسبب صراعات داخلية في موطنهم الأول، أم كان مأربهم البحث عن موطن جديد ليستقروا به، فإن المنطقة التي كانوا قد استقروا بها بعد ذلك، وهي إما المنطقة جنوب ميناء «سفالة» (على ساحل شرق إفريقيا) حسب روايات العديد من المصادر، أو أنها

(1) نهر النيجر: ويعرف هذا النهر في المصادر أيضا باسم «نيل السودان»، ويبلغ طول هذه النهر أكثر من أربعة آلاف متر (وللمزيد عن نهر النيجر، انظر العمري: مسالك الأبصار، جـ1، ص121).

(2) نهر السنغال: هو من أهم الأنهار في غرب إفريقيا (السودان الغربي)، ويبلغ طول «نهر السنغال» Senegal river 1635 كيلومتر، أو حوالي 1016 ميلٍ. وهو ينبع من مرتفعات «فوتا جالون» في بلاد غرب إفريقيا. ويفصل هذا النهر بين حدود كلٍّ من دولتي السنغال وموريتانيا، ومن ناحية أخرى يُعَدُّ نهر السنغال ثاني أطول الأنهار في غرب إفريقيا بعد نهر النيجر. وللمزيد عن هذا النهر، انظر: The Cambridge Paperback Encyclopedia: P. 773.

كانت «جزيرة مدغشقر» في رأي آخرين، فقد صارت هذه البلاد التي استقروا بها تعرف بعد ذلك بأرض «الواق واق»، أو «بلاد الواق واق»، وما يمكن أن نطلق عليه «الموطن الثاني» للواقواقيين تمييزًا لها عن جزر «الواق واق» في «بحر الصين» حيث يقع «الموطن الأول» الخاص بهم، أو الموطن القديم، لا سيما أن جماعات أخرى من «الواق واق» كانت قد بقيت على الراجح في موطنهم القديم قرب «الأرخبيل الإندونيسي».

ويرى الباحث أنه صار من المنطقي أن يكون لدينا أرض «الواق واق» عند ساحل شرق إفريقيا قرب «سفالة» (واق واق اليمن)، وجزر «الواق واق» قرب جزر إندونيسيا، وغير بعيد عن سواحل بلاد الصين. وهي ذاتها الجزر التي تذكرها بعض المصادر بـ «واق واق الصين»(1). ويرى الباحث أن رواية «ابن الفقيه» رغم صغرها تعَدُّ من أهم ما ورد في المصادر التاريخية الكلاسيكية فيما يخص تحديد موقع «الواق واق» الأول، والتفرقة بشكل واضح بين منطقتين كانتا تحملان في الماضي الاسم نفسه. وربما يؤيد ذلك الافتراض أن بعض الدراسات الحديثة تتحدث عن علاقات جمعت بين كل من جزيرة مدغشقر والساحل الإفريقي الشرقي من جانب، والسكان القاطنين في جزر إندونيسيا من جانب آخر(2)، فوُجِدتْ بعض التأثيرات الحضارية المتبادلة، وكذا الحديث عن وجود هجرات بشرية بينهما، فضلًا عن وجود بعض التأثيرات اللغوية بين هاتين المنطقتين(3)، وكلُّ ذلك يعضد فكرة وجود منطقتين باسم هذا الشعب.

(1) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص9.

(2) Louis Mallet & Paul Ottina: Madgascare entre l «Afrique et L» Indonesie, l «Home Revue Francaise d» Anthropologie, Volume XII, McMLXXII, Cahier 2 Paris, PP. 130 – 135.

(3) Ibid, P. 134 – 135.

وربما كانت بلاد «الواق واق» جزيرة واحدة، أو كانت تتكون من عدة جزر؛ ولهذا ترد باسم جزر «الواق واق» تارة، أو جزيرة «الواق واق» تارة أخرى، ويقصد بها في الغالب تلك الواقعة عند «بحر الصين». ويرى الباحث أن جزر «الواق واق» كانت تتكون بالطبع من العديد من الجزر، وكان أكبرها في الغالب تلك التي تحمل اسم هذه البلاد، ولهذا سميت جزيرة الواق واق. ويحدد الجغرافي «الزهري» هذه البلاد التي يذكرها «الواقواق» (وليس الواق واق)، بأنها تعتبر واحدة من جزائر «بلاد الصين»[1]، ثم يذكر أن عدد جزر الصين تبلغ ثمان جزائر، وكانت أكبرها: «جزيرة الواقواق»[2]. ويؤكد «ريتشارد هول» Richard Hull أن «الواقواقيين» كانوا قد هاجروا في الأصل من «أرخبيل إندونيسيا»، وأنهم قطعوا آلاف الأميال، ثم استقروا في جزيرة «مدغشقر» قبالة سواحل شرق إفريقيا[3].

ويعتقد الباحث أن المهاجرين «الواقواقيين» ذهبوا أولًا إلى سواحل شرق إفريقيا، وكانوا قد أرادوا الاستقرار هناك في البداية جنوبي ميناء «سفالة» على سواحل موزمبيق، ويبدو أن أكثر الجماعات من مهاجري «الواق واق» لم يطب له المقام جنوبي «سفالة»، فهاجرت أعداد منهم من ساحل شرق إفريقيا قاصدين «جزيرة مدغشقر» بعد ذلك، ثم استقروا بها. وفي هذا الصدد يقول «ريتشارد هول» عن هجرة «الواقواقيين» إلى «جزيرة مدغشقر»: «والحقيقة الوحيدة التي لا مجال للجدل فيها، هي أنهم (أي: «الواق واق») قد ارتحلوا مسافة ثلاثة آلاف وخمسمائة ميل بعيدًا عن موطنهم، ليكتشفوا مدغشقر قبالة ساحل إفريقيا، ويستقروا فيها..»[4]، وعلى هذا فإن «ريتشارد هول» ممن يرجحون أن جزيرة

(1) الزهري: كتاب الجغرافية، ص11.

(2) المصدر السابق، ص11.

(3) ريتشارد هول: إمبراطورية الرياح الموسمية، ص50.

(4) المرجع السابق، ص50.

مدغشقر كانت «الموطن الثاني» للواقواقيين بعد هجرتهم من موطنهم الأول الواقع في جنوب شرق آسيا.

ويمكن بهذا التصور الآنف أن نفهم ما يبدو في بعض الروايات من التناقض الواضح، حيث تذكر أكثرها أن شعب «الواق واق» كانوا يسكنون جنوبي منطقة «سفالة»، بينما البعض الآخر يذكر أنهم سكنوا شرق «سفالة»، ويبدو في ذلك الرأي الثاني إشارة واضحة لجزيرة مدغشقر، هذا إلى جانب أن بعض الروايات التي تتحدث عن أن جزر «الواق واق» كانت تقع بالقرب من «جزر الصين». وعلى أية حال فيمكن أن نخلص بعد ذلك العرض الذي أشرنا إليه، ومن خلال ما ورد في الروايات والمصادر التاريخية المتعددة إلى أن سكان «الواق واق» كانوا من سكان «الأرخبيل الإندونيسي»، أو ما كان يعرف باسم: «بلاد الملايو»، ثم هاجروا إلى «جزيرة مدغشقر»، وربما هاجروا بعد ذلك إلى المناطق التي تقع جنوبي سفالة (سوفالة). وهذا الرأي الآنف يتوافق بشكل أو بآخر مع أكثر الروايات على قلّتها، التي وردت في المصادر مثل: «رواية المسعودي» (ت: 346هـ)، والقزويني (ت: 682هـ).. الخ.

ويرى الباحث أن «الواق واق» استقروا مدة من الزمن على سواحل شرق إفريقيا لا نعرفها على وجه اليقين بسبب ندرة الروايات في ذلك الشأن، خلال هجراتهم الأولى قادمين من موطنهم القديم، وتركوا بعض التأثير في هذه البلاد، رغم أنهم لم يستقروا في الغالب مدة طويلة هناك، ثم هاجر «الواقواقيون» مرة أخرى في اتجاه الجنوب، وقطعوا مسافة تقدر بحوالي 1000 ميل حتى بلغوا جزيرة «مدغشقر»، ولم يكن هناك من يعارض استقرارهم في تلك الجزيرة، فاستقروا هناك هذه المرة[1]. وقد ورد في بعض المصادر الصينية إشارات مهمة

(1) ريتشارد هول: إمبراطورية الرياح الموسمية، ص50.

لا سيما من خلال الأخبار التي تذكرها حوليات (سجلات) «أسرة التانج» الصينية الحاكمة (619 – 906م)[1]، فمن خلال تلك السجلات التاريخية المهمة، يعتقد أنه ربما هاجرت جماعات من المهاجرين «الإندونيسيين» الذين استقروا في عصور تالية في سواحل شرق إفريقيا، وتحديدًا في جزيرة «مدغشقر»، ويعتقد أن تاريخ تلك الهجرات كانت قد تمت بعد سنة 1000م، وربما أنهم اكتشفوا أن شعبًا ينتمي لذات الأصول «الإثنية» التي لهم وهم شعب «الواق واق»، وكتبت له النجاة، ثم إنهم استقروا بالقرب من سواحل شرق إفريقيا، في أراضي جزيرة «مدغشقر»، فصارت موطنًا لهم[2].

وعلى أي حال، فيبلغ طول محيط جزيرة «مدغشقر» التي استقر بها «الواق واق» حوالي 3000 ميل[3]، ويؤكد «ريتشارد هول» قيام هجرات «الواق واق» من جزر «بحر الصين» الواقعة إلى مدغشقر، غير أنه لم يحدد الفترة الزمنية التي وقعت فيها هذه الهجرة التي قام بها «الواقواقيون»، حيث يذكر: «وتعد هجرتهم (أي: الواق واق) إلى إحدى أكبر جزر العالم التي تشبه القارة، التي لم يقطنها البشر حتى ذلك الوقت، فصلًا مدهشًا في حوليات الرحيل في المحيط (يقصد المحيط الهندي)، ويعد تاريخ وصول الموجة الأولى من مهاجرى الواق واق الى مدغشقر أمرًا يدور حوله الجدل..»[4]، ومن المعلوم أن جزيرة «مدغشقر» تُعَد واحدة من أكبر الجزر في العالم[5]. ومن اللافت أن الرحالة الإيطالي المعروف «ماركو بولو» Marco Polo، وهو المتوفي سنة 724هـ، يذكر أن سكان

(1) المرجع السابق، ص49 – 50.
(2) ريتشارد هول: الرياح الموسمية، ص54.
(3) رحلات ماركوبولو: ص78.
(4) ريتشارد هول: المرجع السابق، ص50.
(5) رحلات ماركوبولو: ص78.

هذه الجزيرة (أي مدغشقر) كانوا من المسلمين[1]، وهو ما يشير إلى مدى توغل الدين الإسلامي في هذه البلاد أيام هذا الرحالة الأوروربي، أي خلال حقبة القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

ولكن هنا يتبادر السؤال الأكثر إلحاحًا: هل كان المسلمون موجودين في جزيرة مدغشقر قبل هجرة «الواق» واق لهذه الجزيرة؟ أم أنهم جاءوا بعد هجرات الواقواقيين؟ ولعل إشارات «المسعودي» (ت: 346هـ) يفهم منها وجود الإسلام في جزيرة «مدغشقر» في أيامه، لا سيما من خلال ازدهار التجارة العربية مع سواحل شرق إفريقيا والتي كان يسيطر عليها العمانيون. ويرى الباحث أن الإسلام كان له وجود قديم في هذه الجزيرة (أي مدغشقر) منذ ما قبل زمان المسعودي، أي قبل القرن 4هـ/ 10م، فكان من المنطقي عند قدوم الرحالة «ماركوبولو» لهذه الجزيرة خلال القرن 8هـ/ 14م أن يلحظ أن السكان كانوا من المسلمين.

## الخاتمة

بعد هذه الإطلالة التاريخية حول شعب الواق واق، وأصلهم، وهجراتهم عبر تاريخهم، يمكن أن نخرج ببعض الاستنتاجات المهمة، ومنها ما يلي:

- أشارت الدراسة إلى وقوع تباين كبير في الروايات والمصادر التاريخية حول أصل شعب الواق واق، والموطن الأول الذي كان يقطن به هذا الشعب.

- أكدت الدراسة أن كثيرًا من الحكايات والروايات التي تميل ناحية الخرافات أو الأساطير ترتبط بشعب «الواق واق»، فنحن بحاجة ماسة لمزيد من الدراسات التاريخية في هذا الشأن لنفهم الحركة التاريخية الحقيقية لشعب الواق واق بعيدًا عن الخرافات والأساطير التي ترتبط دومًا بهم.

(1) رحلات ماركوبولو: ص78.

- أكدت هذه الدراسة أن سواحل جنوب شرق آسيا كانت بمنزلة الموطن الأول لشعب الواق واق، وأنهم كانوا يسكنون - في الغالب - في إحدى جزر بحر الصين، أو أنهم كانوا يستقرون بالقرب من منطقة الأرخبيل الإندونيسي، ولهذا عرف الواقواقيون بحسب البعض باسم «البحارة الإندونيسيين».

- رجحت الدراسة أن منطقة جنوب «سفالة»، أو سوفالا جنوب موزمبيق على ساحل شرق إفريقيا، أو «جزيرة مدغشقر» كانت بمنزلة «الموطن الثاني» لشعب «الواق واق» الذي هاجروا إليه.

- أشارت هذه الدراسة إلى أن هجرات شعب «الواق واق» من موطنهم الأول إلى موطنهم الثاني بالقرب من سواحل شرق إفريقيا تمت عبر عدة مراحل، فالمرحلة الأولى تمت من الموطن الأول بسبب ظروف داخلية، أو ربما صراعات أو نزاعات بين السكان المحليين، أو ربما بحثًا عن موطن جديد لهم، ثم انتقلوا إلى ساحل شرق إفريقيا، واستقروا بها دون ترحيب فيما يبدو من السكان المحليين لهذه البلاد، فاضطرت أعداد كبيرة من الواقواقيين خلال مرحلة أخرى للهجرة صوب جزيرة مدغشقر، وهي التي استقروا بها فيما يبدو بعد ذلك، فارتبطت جزيرة مدغشقر بهذا الشعب فيما بعد.

## المصادر والمراجع

### أولًا – المصادر:

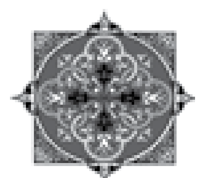

1. الإدريسي: نزهة المشتاق، جـ1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2018م.
2. ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.
3. الجاحظ: تهذيب الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م.
4. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ.
5. ابن خلدون: المقدمة، جـ1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م.
6. الزهري: كتاب الجغرافية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ.
7. العمري: مسالك الأبصار، جـ1، اختصار وتقديم: د. عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المختصرات التراثية، القاهرة، 2012م.
8. الغرناطي: تحفة الألباب، تحقيق: د. على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003م.
9. ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2011م.
10. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت.
11. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ترجمها إلى الانجليزية: وليم مارسدن، ترجمها للعربية: عبدالعزيز جاويش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004م.
12. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.
13. ـ: التنبيه والإشراف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2009م.
14. ـ: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2015م.
15. ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: د. أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2013م.

### ثانيًا – المراجع العربية والمعربة:

16. روجيه جـ. داجنت: تاريخ البحر الأحمر، ترجمة: د. حسن نصر الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013م.
17. ريتشارد هول: امبراطورية الرياح الموسمية، ترجمة: كامل يوسف حسين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، 1999م.
18. شوقي عبدالقوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، عدد151، الكويت، 1990م.
19. كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة: مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م.

### ثالثًا – المراجع الأجنبية:

20. **Al Qazwini**: Manuscript of Marvels of Created Things. British Library, Date back 16th Century, bl. UK. Collections - items.
21. **The Cambridge Paperback Encyclopedia**; Edited by: David Crystal, Cambridge University Press, 2000.
22. **Louis Molet & Paul Ottino**: Madgascar entre l'Afrique et l' Indonesie, l'homme revue francaise d' anthropologie, vol. x11, MCMLXX11, Cahier 2, Mouton & CO.



# علم الحديث ورجاله في الأزهر الشريف في العصر الفاطمي في الفترة من 362 - 567هـ/ 966 - 1171م

د. أحمد عبد الباقي حسين[1]

## ملخص البحث

عندما دخل المعز لدين الله الفاطمي (341هـ/ 952م – 365هـ/ 975م)، إلى مصر على يد قائد قواته جوهر الصقلي وضع نصب عينيه أن تكون مصر منطلقًا لنشر دعوته ومذهبه والتوسع شرقا؛ وتحل محل الخلافة العباسية الخلافة الفاطمية، وإخضاع الدول المستقلة في المشرق الإسلامي لسلطانه الديني والسياسي؛ لذا نجده يقوم بحركة عمارة كبيرة نتج عنها تأسيس القاهرة، وأبرز معالمها الأزهر الفاطمي، ليكون منبرًا لنشر المذهب الشيعي الإسماعيلي.

فخططوا لسياسة علمية شاملة ترتكز على إنشاء جامعة كبرى، ومن ثَم تهيئة الأجواء للعلماء فلا يشغلهم شيء عن العلم، والبحث والدرس؛ فجعلوا لهم موارد من الرزق تضمن لهم العيش الكريم،

(1) دكتوراه في الفلسفة في الدراسات الآسيوية، ودراسات وبحوث الحضارات – شعبة الحضارة الإسلامية في آسيا، مدير وحدة الدراسات الإيرانية– بالمركز الثقافي الآسيوي، وعضو مؤسس بمركز التاريخ العربي للنشر.

ثم أرسلوا يستدعون العلماء من الخارج وقد اشتد هذا المنهج واتسع وقوي بعد إقامة الوحدة بضم بلاد الشام والمغرب إلى مصر.

فوجدوا أنفسهم إزاء رغبتهم في الانفتاح على الآخر؛ مضطرين إلى تخصيص كراسي لتدريس كل المذاهب الإسلامية في جامعتهم الكبرى، فكان لمذاهب أهل السنة حلقات دراسية تنافس مثيلتها من حلقات الشيعة الإسماعيلية، وبخاصة في علم الحديث الذي ظهر فيه محدثون في مصر ذكرهم مصنفو طبقات رجال الحديث، وكانت الرحلة إليهم في ذلك العصر.

**Research Summary**

When al - Mu'izz the Fatimid, and the commander of his forces, Johar al - Saqli entered egypt, they set their minds that Egypt would be a springboard for them to spread their doctrine and expand eastward, and the Fatimid caliphate would replace the Abbasid caliphate, and independent states in the Islamic East would be subject to its religious and political authority; Therefore, we find him and his military leader undertaking a major architecture movement that resulted in Cairo, and the most prominent of its Fatimid Al - Azhar monuments, as a platform through which the Ismaili Shi'a doctrine spreads

They planned a comprehensive scientific policy based on the establishment of a major university, and then prepared the atmosphere for scientists, so they did not do anything only science, research and study; They made a living for them to ensure a decent life for them, then they brought scholars from the outside. This method was intensified and expanded and strengthened after the establishment of the unit annexing the Levant and Morocco to Egypt.

They found themselves with a desire to open up to the other; We are obliged to allocate chairs to teach all Islamic schools of thought in their major university so the doctrines of the Sunnis had seminars that rivaled their counterparts from the Ismaili Shi'a circles especially in hadith science which scholars in Egypt emerged to whom the trip for them in that era.

## المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على النعمة المهداة سيدنا محمد ﷺ، سيد الكونين والثقلين، كاشف الغمة، وعلى من تبعه من الأئمة.

الأزهر الفاطمي الذي يعد في الوقت الحاضر من أبرز قلاع مذاهب أهل السنة، كان في الأصل مركزًا للدعوة للشيعة الإسماعيلية الفاطمية، وهي نقطة شائكة يفضل البعض تناولها سياسيا فقط، فنجد عرضًا وافيا لزحف الدولة الفاطمية من بلاد المغرب نحو مصر، وسيطرتهم عليها، أما فيما يتعلق بمكانة الأزهر الفاطمي العلمي، ودور علماء مذاهب أهل السنة فيحتاج إلى الدرس والتنقيب.

وبخاصة إذا علمنا أن علم الحديث شهد نهضة في مصر خلال العصر الفاطمي، وكان بين جدران الأزهر مدرسة خاصة متميزة في هذا العلم، ونجد أنفسنا أمام تساؤلات تفرض نفسها، ومن أبرزها ما الذي دعا الدولة الفاطمية إلى فتح الساحة أمام محدثي مذاهب أهل السنة؟ برغم اختلاف نهجي أهل السنة والشيعة الإسماعيلية[1] في تناول هذا العلم.

(1) ولمزيد من المعلومات حول الإسماعيلية وعقائدهم يمكن مراجعة كتاب: إحسان إلهى ظهير: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، باكستان، إدارة ترجمان السنة، 1985م؛ وسردار دميرك: علوم الحديث بين أهل السنة والجماعة والشيعة، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013م.

فكان هدفنا في المقام الأول هو رصد تلك الحالة من التناغم والانسجام، الذي نجم عن عناية الحكام الفاطميين بالعلم، وبخاصة علم الحديث؛ فظهر بمصر مجموعة من المحدثين ذكرهم مصنفو كتب طبقات المحدثين في طبقاتهم، على الرغم من الصراع السياسي بين حكام هذه الدولة وأنصار مذاهب أهل السنة في المشرق.

واعتمدنا في البحث على منهج البحث التاريخي، وذلك باعتبار علم التاريخ في الأصل خارجًا من عباءة علم الحديث، وكذلك لأن موضوع هذا العلم - علم التاريخ - هو البحث عن جهود الإنسان وإنجازاته فيما مضى، ويكشف ثمرات وإنجازات العقل البشري، وما مرت به الدول والشعوب.

ولإنجاز هذا البحث قمت بتقسيمه إلى خمسة أقسام كالآتي:

أولا: الجامع الأزهر المعنى والمبنى.

ثانيا: الحياة العلمية في مصر الفاطمية.

ثالثًا: نظم التعليم في الأزهر.

رابعًا: مدرسة الأزهر الفاطمي في الحديث وأبرز مراجعها:

أ - مدرسة الأزهر الفاطمي.

ب - علماء الحديث في الأزهر ومراجعه، وتضم تراجم لكبار محدثي الجامع الأزهر خلال العصر الفاطمي، مرتبين بحسب تاريخ وفاة كل منهم من الأقدم إلى الأحدث.

واختتم البحث بخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، وملحق توضيحي لموقع الأزهر الفاطمي.

وأحمد الله على ما وفق وأعان.

## أولًا: الجامع الأزهر المعنى والمبنى:

لما تولى المعز لدين الله عرش الخلافة الفاطمية سنة (341هـ/ 945م) في بلاد المغرب العربي، اشتدت رغبته في فتح مصر، فجهز جيشا ضخما تعداده مائة ألف مقاتل، بقيادة جوهر الصقلي الذي نجح في القضاء على الدولة الإخشيدية في مصر سنة (358هـ/ 969م)(1).

تمكن جوهر الصقلي من السيطرة على مصر دون مقاومة تذكر؛ لضعف القوة العسكرية الإخشيدية فيها، ونشاط الدعاة الفاطميين الذين أوفدهم الخليفة المعز إلى مصر لنشر الدعوة الفاطمية، وقد نجح هؤلاء الدعاة في تأليب المصريين على السلطة الإخشيدية، فتهيأ الجو السياسي والنفسي لنجاح جوهر الذي لم يكد يستقر له الأمر، حتى شرع في حركة تعمير، فبدأ ببناء مدينة القاهرة في سنة (358هـ/ 969م)، وازدهرت هذه المدينة لتصبح حاضرة الخلافة الفاطمية، بعد قدوم الخليفة المعز لدين الله إليها في سنة (362هـ/ 972م)(2).

وكان للمساجد الجامعة مكانة خاصة في قلوب المسلمين؛ فكان من التقاليد الإسلامية إقامة مسجد جامع في كل مدينة يختطونها اقتداء برسول الله ﷺ، فحظي المسجد الجامع بعناية في اختيار موضعه، وتخطيطه، وكان المسجد الجامع مع دار الإمارة في معظم الأحيان يشغلان بؤرة المدينة الإسلامية ومركز الحياة

(1) خلف، محمود السيد: المحدثون الخولانيون في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الفاطمية، المملكة العربية السعودية، كلية الآداب مجلة جامعة طيبة، 2018 م، مج7، ع14، ص741.

(2) المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ج4، ص51؛ عبد الجواد صابر إسماعيل: مجتمع علماء الأزهر، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2016م، ص9.

والحركة فيها، ففي هذا المسجد يلتقي الأمير بالمسلمين في أوقات الصلاة وغيرها من المناسبات[1].

وقامت المساجد في التاريخ الإسلامي الطويل بعدة أدوار حضارية كان أهمها في مجال التعليم والتوعية، حتى أصبح التعليم بمختلف مراحله ومناهجه جزءا لا يتجزأ من رسالة المسجد، بل نستطيع القول إن المدارس النظامية ما هي إلا ربيبة المساجد.

وخلال هذه المدة شيدت أربعة جوامع (مساجد جمعة) في القاهرة وهى: الأزهر، وجامع النور، وجامع الحاكم، وجامع المعز[2]، ومن أبرز المساجد الجامعة في مصر الجامع الأزهر الذي نحاول في السطور الآتية عرض دوره العلمي، الذي يعد صورة حية لعناية المسلمين بالعلم والمتعلمين، بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية والمذهبية.

إن هذا المسجد الجامع يعد جزءا من تاريخ مصر، بحيث إن المؤرخ يستطيع أن يؤرخ لمصر من تتبع الأزهر، فمن النادر أن وقع بمصر حادث له شأن إلا كانت في الأزهر بدايته ومنتهاه.

**أ- تسميته:** ونبدأ بتسمية المسجد بهذا الاسم، فنجد العديد من الأقوال في تسمية الأزهر منها: أن المسجد الجامع منذ نشأته سمي بجامع القاهرة نسبة للعاصمة الجديدة، وقد تكون تسميته بالجامع الأزهر تأخرت قليلا عن التسمية الأولى، وأن اسم «الجامع الأزهر» أُطلق عليه بعد إنشاء القصور الفاطمية في

(1) إسراء موسى: المساجد ودورها في بناء الفرد والمجتمع، غزة، الجامعة الإسلامية، ماجستير، 2017م، ص31؛ حسين مؤنس: المساجد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (37)، 1981م، ص42.

(2) خسرو، ناصر: سفر نامة، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص108.

عهد العزيز بالله (365هـ/ 975م - 386هـ/ 996م)؛ فقد كان يطلق عليها اسم القصور الزهراء، ومنها أطلق علي جامع القاهرة وهو مسجد الدولة الرسمي اسم الجامع الأزهر حتى أوائل القرن التاسع الهجري، ثم تغير الاسم القديم جامع القاهرة شيئًا فشيئًا وغلب عليه اسم الجامع الأزهر[1]، الذي سمى بذلك نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ أم الحسن والحسين رضي الله عنهما، وهو الرأي الأرجح لدينا؛ فهو يعبر عن الهدف الأساس من تشييد الأزهر لنشر المذهب الفاطمي[2]. وقيل: إن هذا الجامع سمى بالأزهر نسبة إلى كوكب الزهرة الذي كان مزمعا إطلاق اسمه على القاهرة نفسها. ويقال سمى بهذا الاسم لأن القصور التي كانت تحوطه كانت زاهرة، وكان بناؤه زاهرا في وسطها، ويقال إنه سمي بهذا الاسم تفاؤلا بما سيكون عليه من شأن عالٍ بازدهار العلوم فيه[3].

**ب. المبنى:** يعد الأزهر أول جامع أسس بالقاهرة، أنشأه القائد جوهر بن عبد الله الصقلي لما اختط القاهرة[4]؛ حيث وضع حجر الأساس يوم السبت 24جمادى الأولى سنة 359هـ/ 970م، وظل العمال والمهندسون يعملون في بنائه عامين تقريبا، حتى انتهى منه في أول جمعة من رمضان سنة 361هـ/ 972م، حيث افتتح رسميًّا في أبهة من المُلك وعظمته التي اشتهر بها الفاطميون أكثر من سواهم[5].

(1) سامي العبيد: الحياة الاجتماعية والثقافية في المغرب ومصر (297 - 567هـ/ 909 - 1171م)، السودان، جامعة شندي، رسالة ماجستير، 2019م، ص147.

(2) عوف، أحمد محمد: الأزهر في ألف عام، الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية، 1970م، ص27.

(3) عوف، أحمد محمد: الأزهر في ألف عام، ص29.

(4) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج2، ص251؛ ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م، ج11، ص355.

(5) سامى العبيد: الحياة الاجتماعية والثقافية في المغرب ومصر (297 - 567هـ/ 909 - 1171م)، ص141.

ويقع الأزهر في الجنوب الشرقي من القاهرة على مقربة من القصر الكبير الذي كان موجودا حينذاك بين حي الديلم وحي الترك[1] في الجنوب.

كان مسطح الجامع عندما بناه جوهر الصقلي يقرب من نصف مسطحه الحالي، ثم ما لبث أن أضيفت إليه بنايات أخرى في أزمنة متعددة، حتى وصل إلى الحالة التي هو عليها الآن.

يتكون الجامع الأزهر من جزء مسقوف يسمى بالمقصورة، وجزء غير مسقوف يسمى صحن الجامع الأزهر، والمقصورة كما شيدت تنقسم إلى قسمين:

المقصورة الأصلية التي أنشأها جوهر، تتكون من 76 عمودًا من المرمر الأبيض، والمقصورة الجديدة التي أنشأها الأمير عبد الرحمن كتخدا[2]، تتكون من 50 عمودًا من الرخام[3].

وأرضية المقصورة الجديدة ترتفع عن مستوى القديمة بحوالي نصف ذراع، ومسقوفة بالخشب، وصحن الجامع الأزهر يسلك منه إلى المقصورة من ثلاثة أبواب وله أرضية من الحجر.

(1) الديلم فرع من الفرس لهم مميزات خاصة أكسبتهم إياها بيئتهم الجبلية. حامد غنيم: انتشار الإسلام حول بحر قزوين، القاهرة، دار نشر الثقافة، 1974م، ج1، ص33؛ وكان الديلم والترك ضمن جند جوهر الصقلي عند دخوله مصر، وكثر عدد الديلم في عهد العزيز بالله نزار (365هـ/ 975م - 386هـ/ 996م) وكثرت مبانيهم؛ فكانت لهم حارة بجوار باب زويلة القديم، وكانت تسمى بحارة الأمراء، وكان من جملتها حارة درب الأتراك لهفتكين التركي أحد أمراء العزيز بالله، ثم انفصلت عنها. على باشا مبارك: الخطط التوفيقية، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1306هـ، ط1، ج1، ص10.

(2) الأمير عبد الرحمن بن حسن جاويش القازدغلي «كتخدا مصر أي محافظ مصر» واشتهر باسم عبد الرحمن كتخدا كان من أمراء المماليك في عصر علي بك الكبير، وفي عام 1152هـ/ 1739م تولى منصب السردار، أي القائد العام.

(3) عوف، أحمد محمد: الأزهر في ألف عام، ص34.

وبأعلى الجدار الأصلي للجامع توجد شبابيك، القديمة منها ذات عقود مستديرة، وهي جصية مفرغة بأشكال هندسية، ويحيط بهذه النوافذ إفريز من الخط الكوفي بآيات من القرآن الكريم، وما زالت بقايا هذه الشبابيك تحدد الجامع القديم من جهاته الثلاث الشرقية والقبلية والبحرية.

وقد شهد الجامع الأزهر عناية من قبل الدولة الفاطمية؛ فقام الخليفة الحاكم بترميمه في سنة (1009م/ 399هـ)، وتبرع له بباب خشبي ما زال بالمتحف الإسلامي بالقاهرة، وفي سنة (1125م/ 519هـ) تبرع الخليفة الآمر بمحراب خشبي للصلاة، وقد تمت أهم أعمال الترميم بالجامع في عهد الخليفة الحافظ لدين الله سنة (1129م/ 523هـ) الذي أمر بتشييد رواق حول الفناء، فضلا عن قبة مزينة بالجص المنقوش[1].

ويعلو واجهة الجامع الأزهر مئذنة عالية تقع إلى اليسار من مئذنة قايتباي تكاد تكون عديمة النظير بين مآذن مصر، فبدنها العلوي مكون من ستة عشر ضلعا، بينما بقية المآذن لا تتجاوز الثمان، كما إن هذه المئذنة كسيت من الخارج ببلاطات من القاشانى الجميل، وتنتهى المئذنة برأسين بدل رأس واحد بناها السلطان الغوري[2] آخر سلاطين دولة المماليك سنة 920هـ/ 1515م[3].

---

(1) Doris Behrens; Islamic architecture in cairo p59. the American university, cairo, 1998.

(2) قانصوه الغوري: من سلاطين المماليك البرجية، أجبر على السلطنة سنة 906هـ/ 1500م، وظل في ملك مصر والشام إلى أن قتل في معركة مرج دابق شمال حلب سنة 1516. عبد الوهاب عزام: مجالس السلطان الغوري، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2010م. ص15 – ص18.

(3) سعاد ماهر: الأزهر أثر وثقافة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1962م، ص 44، ص45.

## ثانيًا: نظم التعليم في الأزهر الفاطمي:

جاءت الدولة الفاطمية إلى الديار المصرية ومعها علماؤها ومفكروها، فكانت لهم الصدارة أول الأمر في التدريس والقضاء والدعوة، وفي صفر سنة (365هـ - أكتوبر 975م)، في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي، جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان القيرواني في حلقة علمية عقدها بالجامع الأزهر، وبدأها بشرح مختصر أبيه في فقه آل البيت المسمى بالاقتصار[1]، في جمع من التلاميذ الذين دونت أسماؤهم في سجل خاص، وتعد هذه الحلقة أولى المجالس العلمية في الجامع الأزهر[2].

وفي أوائل عهد العزيز بالله جلس الوزير يعقوب بن كلس[3] بالجامع الأزهر، وقرأ على الناس رسالة ألفها في الفقه الشيعي، تسمى الرسالة الوزيرية، وكان يحرص على سماعه الفقهاء والقضاة وكبار رجال الدولة[4].

(1) كتاب الاقتصار هو كتاب موجز في فقه الدولة الفاطمية، صنفه القاضي النعمان بن حيون المغربي بأسلوب سهل، واقتصر فيه على ما أجمع عليه الفقهاء من مسائل فقهية، ويحتوى الجزء الأول منه على: ذكر الطهارة، ذكر الصلاة، ذكر الجنائز، ذكر الزكاة، ذكر الصوم، ذكر الحج، ذكر الجهاد؛ والجزء الثاني: في البيع والشراء، والأيمان والنذور، الأطعمة، الأشربة، الطب، اللباس والطيب، الصيد، الذبائح. النعمان بن محمد المغربي: الاقتصار، تحقيق: محمد وحيد، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1957م.

(2) عبد الجواد صابر إسماعيل: مجتمع علماء الأزهر إبان الحكم العثماني، ص10.

(3) يعقوب بن يوسف بن كلس: أول الوزراء الفاطميين، من الوزراء الذين تولوا المناصب الإدارية في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي حتى أصبح وزيرًا في عهد هذا الخليفة وابنه العزيز. من يهود بغداد، تعلم فيها الكتابة والحساب، وانتقل مع والده إلى الشام، ومن ثَم إلى مصر التي تدرج في دولابها الوظيفي من العهد الإخشيدي إلى العهد الفاطمي، وأصبح وزيرا لدى الفاطميين سنة 368هـ/ 978م. على فيصل: يعقوب بن كلس أول الوزراء الفاطميين 368 - 380هـ/ 978 - 990م، العراق، مجلة كلية التربية للبنات، 2018م، مج 29، ص1836 - 1843.

(4) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ص145.

وفي سنة (378هـ/ 988م) أستاذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس، ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها، وكان رئيسهم ومنظم حلقاتهم هو الفقيه أبو يعقوب قاضي الخندق، ورتب لهم العزيز أرزاقا وجرايات شهرية، وأنشأ لهم دارًا للسكنى بجوار الأزهر، وأجرى لهم ابن كلس رزقا من ماله الخاص[1].

وبذلك صار الأزهر جامعة للعلم والتعليم؛ ففي عام (380هـ/ 991م) رتب المتصدون لقراءة العلم بالأزهر، وكان هؤلاء الأساتذة الذين رتبهم ابن كلس وأقرهم العزيز بالله أول الأساتذة المدرسين الذين عينوا بالأزهر، ومن هذا التاريخ بدأ الأزهر حياته الجامعية العلمية.

ابتدأ الأزهر مسيرته العلمية النظامية بخمسة وثلاثين طالبًا، ولم يقتصر تشجيع هؤلاء على العلم بما فرض لهم فحسب، بل كان هناك لون آخر من ألوان التشجيع حيث أكرمهم العزيز بالله بأن «خلع عليهم في يوم عيد الفطر، وحملهم على بغلات»[2].

ولم يكن الأزهر في ذلك الوقت مقصورا على الرجال، بل كان للمرأة فيه نصيب، فكن يفردن فيه بمجلس خاص[3]، وكان الغرض الأساس من حضور معظم النساء لهذه المجالس الدينية التي تعقد في الجامع الأزهر تعليمهن أصول المذهب الشيعي، وكانت هذا المجالس تتم تحت إشراف الخليفة، وتسمى

(1) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، القاهرة: الدار العربية للكتاب، 1996، ص 108.
(2) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص273.
(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص 273؛ خفاجي، محمد عبد المنعم: الأزهر في ألف عام، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ج1، ص38.

بـ «مجالس الدعوة»، كما كان لحرم القصر رواق خاص بالقصر اسمه المحول، وكان مخصصا ليوم، ثم أصبح لهن يومان في الأسبوع يعقد منهما يوم لعامة النساء، ويوم لحريم القصر.

وقد أقبلت المرأة على الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي، وكان يطلق عليهن الموحِّدات، وكن يكتبن وثائق على أنفسهن باتباع المذهب الجديد، والمشاركة في نشر الدعوة الفاطمية[1].

وتمتعت المرأة المصرية ببيئة علمية أتاحت لها أن تدلوا بدلوها في علم الحديث، ومن أشهر محدثات القرن الرابع الهجري: أم حبيب، وهي والدة الحسن بن على الصدفي (ت في شعبان 379هـ) كان لديها الكثير من علم الحديث؛ ولا ريب فهي من أهل بيت الحديث: فوالدها محدث وابنها، وأخواتها من بنات أحمد بن عمرو بن السرح صاحب ابن وهب[2].

واتخذ علماء الدين حلقات علمية منظمة، وفي هذه الحلقات تخرج معظم المحدثين والفقهاء بمصر في القرن الرابع الهجري.

ولم يقتصر دور الأزهر على العلوم الدينية واللغوية فقط بل كان علماء المسلمين في عصر ازدهار الإسلام يدرسون جميع أنواع العلوم والفنون، فكان منهم المؤرخ والطبيب، والفلكي، والجغرافي. وفي أواخر عهد الدولة الفاطمية كانت الدراسة بالأزهر حرة، وأسهم علماء الأزهر في جميع هذه العلوم والمعارف بالبحث والتأليف[3].

(1) نريمان عبد الكريم: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص184 – 186.
(2) الحبال، أبو إسحاق ابن سعيد: وفيات المصريين (375 – 456هـ)، تحقيق: محمود بن محمد الحداد، الرياض، دار العاصمة، ص31.
(3) الأطرقجي، رمزية: الأزهر في ظل الفاطميين، جامعة بغداد، مجلة الآداب، العدد 25، 1979م، ص487.

وكانت علوم الدين واللغة في المقدمة دائما، وكان للعلوم الدينية نوع خاص أوفر حظا، فعلوم القرآن والحديث والكلام وأصول الفقه علي مختلف المذاهب، وكذلك علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة ثم الأدب والتاريخ، هذه كلها كانت زاهرة في العصور الوسطي، وكانت الصيغة المذهبية تغلب على الدارسة بالأزهر ولا سيما في بادئ عهدها، ولم يكن ذلك غريبا في ظل دولة كالدولة الفاطمية، ولكن هذه الصيغة المذهبية لم تكن دائما مطلقة، ولم تكن الخلافة الفاطمية رغم تمسكها بصيغتها المذهبية العميقة تستطيع أن تحشد سواد الشعب المصري إلى جانبها في هذا المضمار، بل نراها في أحيان كثيرة تلجأ في ذلك إلي سياسة الرفق والتسامح.

ومن أكبر الدلائل على سياسة الرفق والتسامح المرسوم الديني الذي أصدره الحاكم بأمر الله (386هـ/ 996م – 411هـ/ 1020م)، وهو من غلاة الفاطميين في سنة (381هـ/ 1888م) وفيه يقرر بعض الأحكام ويفسرها على إثر ما وقع بين الشيعة وأهل السنة من خلاف، ويحاول أن يوفق في ذلك بين المذاهب[1]، فكتب في ذلك سجلا قرئ على المنابر بمصر كان فيه: «أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين، لا إِكْراهَ في الدِّينِ[2]، مضى أمس بما فيه، وأتى اليوم بما يقتضيه معاشر المسلمين نحن الأئمة، وأنتم الأمّة. لا يحلّ قتل من شهد الشهادتين ولا يحلّ عروة بين اثنين تجمعها هذه الأخوّة، عصم الله بها من عصم، وحرّم لها ما حرّم، من كل محرّم من دم ومال ومنكح، الصلاح والأصلح بين الناس أصلح، والفساد والإفساد من العبّاد يستقبح. يطوى ما كان فيما مضى فلا ينشر، ويعرض عما انقضى فلا يذكر. ولا يقبل على ما مرّ وأدبر

(1) سامي العبيد: الحياة الاجتماعية والثقافية في المغرب ومصر، ص151.
(2) سورة البقرة، الآية 256.

من إجراء الأمور على ما كانت عليه في الأيام الخالية أيام آبائنا الأئمة المهتدين سلام الله عليهم أجمعين، مهديهم بالله وقائمهم بأمر الله، ومنصورهم بالله ومعزّهم لدين الله، وهو إذ ذاك بالمهديّة والمنصوريّة، وأحوال القيروان تجري فيها ظاهرة غير خفيّة ليست بمستورة عنهم ولا مطويّة. يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون، صلاة الخمس للدين بها جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون»[1].

### ج – الكتب والمكتبات:

أما بالنسبة للكتب الدراسية التي كانت تدرس بالأزهر في العهد الفاطمي فكان على رأسها: كتاب « الاقتصار» الذي وضعه النعمان بن محمد (ت: 363هـ/ 974م) قاضي المعز لدين الله في فقه آل البيت، ثم كانت له كتب أخرى، وهي كتاب «دعائم الإسلام[2]» وكتاب «اختلاف الفقهاء» وكتاب « الأخيار» الذي عني بتدريسه في الأزهر، وكتاب «اختلاف أصول المذاهب»، ومن المرجح أنها كانت تقرأ وتدرس بالأزهر حتى أواخر القرن الرابع الهجري.

ثم قاموا بتدريس كتاب ألفه الوزير ابن كلس في الفقه الشيعي على مذهب الإسماعيلية مما سمعه في ذلك من المعز لدين الله، والعزيز بالله، وهو المعروف بالرسالة الوزيرية، وكان يجلس لقراءته وتدريسه بنفسه، وفي سنة 416هـ أمر

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 1988م، ج4، ص76.

(2) هو كتاب للقاضي النعمان بن محمد، نشره الأستاذ آصف على أصغر فيض. محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية تاريخها ونظمها وعقائدها، مكتبة النهضة المصرية، 1959م. ص181.

الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ولده الحاكم بأمر الله بأن يدرس للناس كتاب «دعائم الإسلام» وكتاب «مختصر الوزير» ورتب لمن يحفظها مالا.[1]

وإلى جانب عناية الفاطميين بالتعليم والعلم اهتموا بتأسيس خزائن الكتب التي وصفت بأنها من عجائب الدنيا بجوار الجامع الأزهر، وكانت على نوعين:

الأولى: خزائن القصر الخارجية وعددها أربعون خزانة.

الثانية: هي خزائن القصر الداخلية وكان الاطلاع عليها محظورا على العامة في حين أن العامة كان مسموحا لهم الاطلاع على الخزائن الخارجية وزيارتها.

واهتم الخلفاء بجمع نوادر المؤلفات وأمهات الكتب النادرة والكتب المخطوطة بخطوط أشهر الخطاطين[2].

وكان للجامع الأزهر خزانة كتب كبيرة ذات أهمية خاصة، فإن ابن ميسر يقول في أخبار سنة (517هـ) أنه قد أسند إلى داعي الدعاة منصب الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب وإسناد الإشراف على خزائن الكتب إلى داعي الدعاة وهو أكبر رئيس ديني بعد قاضي القضاة، وهو دليل على قيمتها وأهميتها[3].

وليس لدينا وصف لما كانت عليه هذه المكتبة، ولكن يمكن تخيل ما كانت عليه من خلال مطالعة ما كتبه المقريزي من وصف لخزانة الكتب الملحقة (بالمارستان العتيق) حيث يخبرنا بأنها تحوى: «عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم، والرفوف مقطعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات

(1) سامي العبيد: الحياة الاجتماعية والثقافية في المغرب ومصر، ص153.
(2) خيال محمد مهدي: من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، دمشق، وزارة الثقافة، 1992م، ص 135.
(3) ابن ميسر، محمد بن علي: أخبار مصر، تصحيح: هنري ماسيه، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي، 1919م. ج2، ص63؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1971م، ج1، ص 178.

وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات، فمنها الفقه على سائر المذاهب، والنحو واللغة، وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك، والنجامة والروحانيات، والكيمياء من كل صنف، النسخ كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة، وما فيها من المصاحف الكريمة في كل مكان فوقها... وفيها ناسخان وفراشان»[1].

مما سبق يتبين لنا أن الجامع الأزهر يعد تاريخيا المؤسسة الأم للعلماء، وبرغم ذلك لم يكن للأزهر قيادة ثابتة في بدء نشأته، بل كان يتولى إدارته السلاطين والأمراء، والوزراء، وفي بعض الفترات تسند لداعى الدعاة. أما الشئون الداخلية فيقوم بها المشايخ، يعاونهم خطيب المسجد ومساعدوه، وهو النظام الذي ظل متبعا طوال فترة الفاطميين. وفي عهد السلطان برقوق عين للأزهر ناظرًا في سنة (784هـ - 1383م)، كان ينوب عن الحاكم في الإشراف المالي والإداري على شئون الأزهر[2].

### د - نظام الأروقة[3]:

عقب الفتح الفاطمي لمصر، لم تعد القاهرة ولاية تابعة للخلافة العباسية، ولا مستقلة استقلالا داخليا داخل حدود الخلافة، إنما أصبحت منذ نشأتها حاضرة دولة مستقلة منافسة لبغداد[4].

(1) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص 408.
(2) عبد الجواد صابر إسماعيل: مجتمع علماء الأزهر آبان الحكم العثماني، ص11.
(3) الرواق: هو بناء يسكنه جماعة من الطلبة متحدي الجنس أو المذهب، وقد أنشأ هذه الأروقة أهل البر من المسلمين تيسيرا لطلب العلم، ولفظ رواق معناه المعماري هو: المكان المحصور بين صفين من البوائك (القناطر) وفي هذه الأروقة تلقى الدروس وتقام المناظرات والمناقشات.
(4) ستانلي لين بول: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1902م. ص119.

فكان أبواب الأزهر منذ بدأت الدراسة فيه مفتوحة لكل مسلم، يقصده طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها، فكان يضم بين طلبته دائما إلى جانب الطلاب المصريين، عددًا كبيرًا من أبناء الأمم الإسلامية يتلقون الدراسة فيه، فضلًا عن الفقراء الذين حطوا رحالهم به، ويشير لذلك المقريزي بقوله «لم يزل بهذا الجامع منذ بني عدة من الفقراء يلازمون الإقامة فيه... ما بين عجم وزيالعة[1]، ومن أهل ريف مصر ومغاربة، ولكل طائفة رواق يعرف بهم»[2]، فكانت تجرى على هؤلاء الطلاب الأرزاق، وتقيم كل جماعة منهم في مكان خاص بها، وهذا النظام هو نظام الأروقة الذي بدأ في الأزهر منذ بناء الجامع ذاته[3].

وابتغاء المثوبة؛ «صار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى، وكل قليل تحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات لا سيما في المواسم»[4].

فكان الرواق من ملحقات الأزهر التي تؤكد تحوله إلى جامعة تحمل صفة العالمية منذ وقت مبكر (نظام الأروقة) الذي بدأ بالأزهر منذ العصر الفاطمي،

(1) زيلع: بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة، وهم مسلمون وأرضهم تعرف بالزيلع؛ وعند الحميري: أنها مدينة على ساحل بحر الحبشة المتصل بالبحر الأحمر، وأكثر التجارة في البحر الأحمر كانت إليها خلال تلك الفترة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، ج3، ص164؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م، ص282.

(2) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص277.

(3) خفاجي: الأزهر في ألف عام، ج1، ص52.

(4) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص277.

حيث أشار المقريزي عن طوائف المجاورين بالأزهر: «ما بين عجم ومغاربة... ولكل طائفة رواق يختص بهم»[1].

واستمر هذا النظام قائما حتى عصر متأخر، وما زالت بقية منه إلى اليوم، ولم يكن الطلاب ينامون في هذه الأروقة، بل كان الرواق أشبه بسكرتارية ومكتبة لهم وخزائن لكتبهم الخاصة[2].

وكان من تمام التيسير أن يكون للرواق مكتبة خاصة به[3]، فالأرجح أنه كان بمعظمها مكتبات منذ وقت مبكر. وقد فُقِد أكثر هذه المكتبات[4]، ولم يَبْقَ

---

(1) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م، ج6، ص390.

(2) حسين مؤنس: المساجد، ص177.

(3) الشيخ المراغي، أبو الوفا مصطفى: كلمة تاريخية عن المكتبة الأزهرية، من مخطوطات المكتبة الأزهرية، تاريخ، رقم 55299، ورقة4.

(4) وقد ظلَّت هذه المكتبات على هذا الوضع، حتى نُفِّذت المقترحات التي تقدَّم بها الإمام «محمد عبده» لإصلاح الأزهر، ومن هذه المقترحات: إنشاء مكتبة أزهرية عامة، تعيدُ مجد مكتبة الأزهر القديمة، وتجمع شَتَات الكتب الموزَّعة بين الأَرْوِقَة. ومن أبرز الدوافع التي دَفَعت الإمام للتقدم بهذا المقترح: أن كتب الأَرْوِقَة تعرَّضت للضياع، والتسرب إلى أيدي المتربِّصين بها، ممن يعرف قيمتها؛ فتقدَّم الإمام «محمد عبده» إلى مجلس إدارة الأزهر، بمقترحاته التي نالت القبول، وبخاصة من الشيخ «حسونة النواوي» شيخ الأزهر - الشيخ الثالث والعشرين من شيوخ الأزهر، تولى سنة (1313هـ) بعد الشيخ الأنبابي - والشيخ حسونة من مواليد قرية النواوي بمحافظة أسيوط عام (1255هـ) ثم درس بالأزهر، واشتهر بالعلم والتقوى، وبقي في مشيخة الأزهر إلى عام (1317هـ) وتُوفِّي عام (1343هـ). ونُفِّذت الفكرة فعلًا سنة 1897م، ولم يَكْتَفِ الإمام في تكوين المكتبة بما جمع من مكتبات الأَرْوِقَة، بل دعا العظماء والعلماء إلى المشاركة في فضل تكوينها، فاستجاب لدعوته العديد منهم، وأبرزهم: «الشيخ حسونة النواوي»، الذي وَهَب مكتبته الخاصة، وكذلك ورثة المرحوم «سليمان باشا أباظة»، كما يوجد أكثر من اثنتي عشرة مكتبة خاصة مهداة للأزهر. الطعمي، محيي الدين: النور الأبهر في طبقات شيوخ الأزهر، بيروت، دار الجيل، 1992، ص34.

منها إلا مكتبات رواق الصعايدة، ورِوَاق الأحناف، ورِوَاق المغاربة، ورِوَاق الأتراك والشَّوَام(1).

## ثالثًا: الحياة العلمية في مصر الفاطمية:

نشطت الحياة العلمية في مصر الفاطمية، وكثر الأدباء، والشعراء، والعلماء الذين قصدوا مصر؛ لينهلوا من علمها، وقد حدثتنا كتب المصادر عن حركة علمية مزدهرة في مصر الفاطمية؛ وكان من أبرز عوامل هذا الازدهار عناية الفاطميين بنشر الثقافة العلمية والأدبية، وكان للجامع الأزهر أثر كبير في تدعيم هذه الحركة باتجاهاتها كافة.

ولعل تشجيع الخلفاء الفاطميين ومن بعدهم الوزراء، والحفاوة التي استقبلوا بها العلماء، شجعت الكثير من العلماء في شتى أرجاء العالم الإسلامي، على أن يتجهوا إلى القاهرة، ويمارسوا نشاطهم العلمي، فضلا عن النشاط الذي أبداه المصريون في شتى مجالات المعرفة الانسانية(2).

وساعد كذلك على ازدهار الحركة العلمية في مصر الفاطمية، أن الخلفاء أنفسهم كانوا من طلبة العلم، وكانوا يوقرون أهل العلم ويقدمونهم.

وقد فرضوا العلم على أولادهم، وعنوا بتعليمهم على أيدي نخبة من رجال عصرهم، فنرى المعز أول الخلفاء الفاطميين بمصر قد أحاطه في حداثته كبار الائمة والحفاظ، فشب محبا للعلم واسع الاطلاع، وما شوهد في مجلس إلا كان بيده كتاب(3).

(1) الأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف، 1964م، ص439.
(2) المهداوي، محمد حسين عبد الله: التراث الأدبي في ظل الدولة الفاطمية ودور المحدثين في نشره، العراق، العتبة الحسينية المقدسة مجلة دواة، العدد 13، 2017م، ص96.
(3) السنوسي صالح: الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مصر الفاطمية، السودان، جامعة أم درمان، رسالة دكتوراه، 2015م، ص141.

ومن عوامل ازدهار الحياة العلمية في مصر الفاطمية، هؤلاء العلماء الذين قدموا في ركب المعز لدين الله وعلى رأسهم بنو النعمان، وهم أسرة مغربية نابهة قدمت إلى مصر في ركب المعز لدين الله، وتعاقب بنوها على قضاء مصر نحو نصف قرن، وكان عميدها العلامة أبو حنيفة النعمان المعروف بابن حيون (ت: 363هـ/ 974م) قاضي المعز لدين الله، وعمدة فقهاء الشيعة في عصره، وهو مؤلف كتاب دعائم الإسلام، وكتاب الاقتصار.

ويأتي من بعده ولده القاضي أبو الحسن علي بن النعمان (ت: 374هـ/ 974م) وهو أول من درّس في الجامع الأزهر، وقرأ في حلقاته مختصر أبيه في فقه آل البيت، ثم ولده الحسين بن النعمان الذي تولى القضاء في عهد الحاكم بأمر الله (ت: 394هـ/ 1004م)، ثم أخوه القاضي عبد العزيز بن النعمان، وكان لهذه الأسرة دور بارز في الحركة العلمية في القرن الرابع الهجري[1].

## رابعًا: نشوء مدرسة الحديث في مصر وتطورها حتى العصر الفاطمي:

### أ – مفهوم مصطلح الحديث:

الحديث لغة: الجديد، أو هو ضد القديم، ويستعمل في اللغة أيضًا حقيقة في الخبر[2].

والحديث في الاصطلاح عند الشيعة هو: ما يحكى قول المعصوم أو فعله أو تقريره، وربما عرّفه بعضهم بأنه: قول المعصوم أو حكاية قوله أو فعله أو تقريره؛ ليدخل فيه أصل الكلام المسموع عن المعصوم[3].

(1) بدر الريحاني: العلماء ودورهم في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي، الأردن جامعة آل البيت، كلية الآداب، رسالة ماجستير، 2017م، ص75.
(2) الباجي، سليمان بن خلف: التعديل والتجريح، تحقيق: أحمد لبزار، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، 1991، ج1، ص21
(3) المامقاني، عبد الله: مقباس الهداية في علم الدراية، تحقيق: الشيخ محمد رضا المامقاني، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1411ه، ج1، ص57.

والمعصوم عند أهل السنة هو النبي ﷺ، وعند الشيعة هو النبي، والأئمة من أهل بيته عليهم السلام[1].

وعلم الحديث لدى علماء[2] السنة يمكن تعريفه بأنه:

- علم الحديث دراية: هو علم بقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث الصحة والضعف والعلو والنزول وكيفية التحمل والأداء وصفات الرجال.
- علم الحديث رواية: هو علم يُبحث فيه عن أقوال النبي ﷺ وأفعاله[3].

أما بالنسبة لرواة الحديث فكانت ألقابهم كلًّا حسب درجته وقوة ذكائه وكثرة حفظه وغير ذلك، ومن هذه الألقاب:

1. المُسنِد: وهو من يروي الحديث بإسناده، سواء كان عنده علم به أو ليس له إلا مجرد الرواية.
2. المحدث: وهو « من اشتغل بالحديث رواية ودراية، وجمع رواة، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه.
3. الحافظ: وهو أرفع من المحدث فهو: «من روى ما يصل إليه ووعى ما يحتاج لديه»[4].

(1) النجمي، محمد صادق: أضواء على الصحيحين، ترجمة: يحيى كمالي، إيران، مؤسسة المعارف الإسلامية، 1419ه، ص35.

(2) تعريف أهل السنة؛ حيث كان الزرقاني حنفيا؛ ولسنا في مجال دراسة هذا الخلاف وتفنيده، لمزيد من المعلومات في هذا الخلاف راجع: سردار دميرل: علوم الحديث بين أهل السنة والجماعة والشيعة، ماليزيا، الجامعة الإسلامية العالمية، ص54.

(3) الزرقاني، رضوان أبى هاشم: الروض الأزهر في حدود مشاهير علوم الجامع الأزهر، مخطوطات الأزهر رقم 339358، ورقة 20.

(4) السيوطي، جلال الدين: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفارابي، دار طيبة، ج1، ص11.

### ب – نماذج من رواد مدرسة الحديث الأوائل:

قبل عرض أبرز مراجع الحديث في مصر الفاطمية ممن قاموا على تدريس هذا العلم في حلقات الأزهر، أو تتلمذوا على أيديهم، أو نقلوا الحديث عنهم ممن سكنوا مصر، فلا بد من الإشارة إلى أن مصر من البلدان التي حظيت بدخول عدد كبير من الصحابة إلى أرضها –ثلاثمائة صحابي – غير أن أشهرهم ممن روى الحديث هو عبد الله بن عمرو بن العاص، الذي يعد أهم مراجع الحديث في مصر.

وقد قدم مصر مع والده، وكان من أيام النبي ﷺ صواما قواما طالبا للعلم؛ فكتب عن النبي علما كثيرا، وكان أبو هريرة يعترف بمكانته وإكثاره من العلم، وقد حمل عنه المصريون علما كثيرا، وتوفي بمصر سنة خمس وستين، ودفن بداره؛ بسبب الحرب التي كانت دائرة بين مروان بن الحكم وعسكر ابن الزبير، وحدث عنه ابن المسيب وعكرمة، وأبو عبد الرحمن الحبلى، وعروة، ووهب، وابن أبى مليكة، وأبو عمرو شعيب بن محمد حفيده[1].

وعقبة بن عامر الجهني (ت: 58هـ)، والذي ولاه معاوية ولاية مصر ثم عزله، وهو الذي رحل إليه أبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله؛ ليتأكدوا من متن حديث سمعاه من النبي[2].

(1) المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، 1988م، ج15، ص357؛ ابن الأثير، على بن أبى الكرم: أسد الغابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، بيروت، دار إحياء التراث، 1996م، ج3، ص 356.

(2) محمد المختار ولد أباه: تاريخ علوم الحديث الشريف في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم إيسيكو، 2010م، ص113، 116.

ونحن نعلم أن دراسة الحديث في العالم الإسلامي كله كانت تقوم أولًا على روايته عن الصحابة والتابعين، ثم لما كثر الوضع في الحديث بدأ العلماء يعنون بنقد الرجال، فوضعت أصول نقد السند، كما وضعت أصول نقد المتن، واستخلاص السنن من الأحاديث التي صحت، كان ذلك في جميع أنحاء العالم الإسلامي ومنها مصر.

ولكن المصريين عنوا عناية خاصة برواية الحديث، وصار في مصر عدد كبير من المحدثين الثقات، رحل إليهم أصحاب مجاميع الحديث أمثال: البخاري، ومسلم، والنسائي، والدارقطني وغيرهم، ونقلوا روايات المصريين في الحديث؛ لذا فإن رصد المحدثين والحفاظ من المصريين، وإلقاء الضوء على جهدهم في هذا المجال يعد حلقة هامة في سلسلة التاريخ العام لعلم الحديث.

ففي العصر الفاطمي وفد إلى مصر المحدث عبد الغنى بن سعيد (ت: 409هـ)، وروى عن أبى بكر محمد العسكري المصري (ت: 327هـ)، وأبى القاسم الكناني المصري (ت: 357هـ) وغيرهما، وجاء المحدث ابن مسرور البلخي (ت: 378هـ)، وروى عن ابن سعيد بن يونس المصري (ت: 409هـ)؛ لذا نجد أن مدرسة الحديث المصرية استمرت خلال العصر الفاطمي، ولم يأفل نجمها.

فكان من نجوم المحدثين السنّة في تلك الفترة الحبال (ت 482هـ)، وهو الحافظ الإمام محدث مصر، أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله النعماني مولاهم الكتبي الوراق المصري، ولد سنة (391هـ/ 1001م) بمصر وعاش بها، وذُكر أنه مولىً لابن النعمان قاضي القضاة[1].

(1) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج3، ص1193.

ويزيد مشايخه عن ثلاثمائة، سمع عن الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي[1]، وخلق كثير، وكان يتاجر بالكتب، فحصل من الأصول والأجزاء، ما لا يوصف حتى كانت كتبه أكثر من خمسمائة قنطار[2].

روى عنه: أبو عبد الله الحميدي (ت: 488هـ)، ومحمد بن محمد بن جماهر الطليطلي (ت: 466هـ) ومحمد بن إبراهيم البكري (ت: 449هـ)، وأبو بكر محمد بن عبد الباقي (ت: 535هـ) قاضي المارستان وخلق سواهم.

وكان ممن يرجع إليه في الحديث، والجرح والتعديل، ومن أبرز مصنفاته: الوفيات، عوالي سفيان بن عيينة، حديث أبي موسى الزمن منتقى - انتقاء أبي نصر السجزي، أحاديث محمد بن مخلد مما انتقاه الحبال عليه[3].

ومن أشهر المحدثين الذين شهدتهم مصر في أواخر العصر الفاطمي هو الحافظ السلفي (ت: 576هـ)، الذي انتهى إليه علوم الاسناد، وكان أوحد زمانه في علم الحديث، وطاف العالم الإسلامي لسماع الحديث، ثم استقر به الأمر بالإسكندرية، إذ بنى له الوزير المصري ابن السلار[4] مدرسة للحديث

(1) عبد الغني بن سعيد (ت: 409هـ): هو الحافظ المتقن أبو محمد الأزدي المصري؛ سمع من عثمان بن محمد السمرقندي، وأحمد بن بهزاذ السيرافي، وإسماعيل بن يعقوب الجراب، وعبد الله بن جعفر بن الورد، ويعقوب بن مبارك، وحمزة بن محمد الحافظ، وبالشام من: الفضل بن جعفر المؤذن، وأبى سليمان بن زيد وطبقتهم. وروى عنه محمد بن علي الصوري، وأبو عبد الله القضاعي، وعبد الرحمن بن أحمد البخاري، وأبو علي الأهوازي، وأبو إسحاق النعماني، وخلق كثير، كان عبدالغني إمام زمانه في علم الحديث وحفظه، ثقة مأمونا، ما رؤي بعد الدارقطنى مثله. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج3، ص1047.

(2) الحبال: وفيات المصريين (375 - 456هـ)، ص9 - 11.

(3) الحبال: وفيات المصريين (375 - 456هـ)، ص11.

(4) الوزير العادل علي بن السلار، الملقب بالعادل الكردي العبيدي سيف الدين وزير الظافر بأمر الله (544هـ/ 1149م - 549هـ/ 1154م) بمصر، كان كرديًا زرزاريًا ربي في القصر وتنقل به الحال في الولايات بالصعيد وغيره إلى أن تولى الوزارة بالقهر من الوزير نجم

بالإسكندرية سنة (546هـ)، فصارت مدرسته كعبة يحج إليها طلاب الحديث[1].

السلفي الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني، اشتهر بالسلفي نسبة إلى جد جده إبراهيم الذي كان يطلق عليه سِلَفة، وذلك على أرجح الأقوال.

ولد في محلة باب القصر بمدينة أصبهان التي كانت يومئذ عاصمة السلاجقة[2]، واختلف في سنة ولادته[3].

وكان أبو طاهر لا يسجل عام مولده، لكنه قال: كتبوا عني بأصبهان في أول سنة اثنتين وتسعين وأنا ابن سبع عشرة سنة أو نحوها، ليس في وجهي شعرة.

بلغ شيوخ الحافظ السلفي من الكثرة بحيث يصعب تحديدهم، وذلك لتفرقهم في بلاد كثيرة متباعدة، وكثرة عددهم، فقد عمِّر رحمه الله طويلا، وطاف بلادًا كثيرة، وقد ألف لشيوخه ثلاثة معاجم وهي:

- معجم أصفهان، وقد ذكر فيه شيوخه الذين أخذ عنهم في بلده أصفهان، وهم أكثر من ستمائة شيخ.

---

الدين ابن مصال. وكان يميل إلى أهل العلم والصلاح سنيًا شافعيًا. ولي ثغر الإسكندرية واحتفل بالسلفي وأكرمه وبنى له المدرسة العادلية، وقتل سنة (548هـ). درويش يوسف: الدولة الفاطمية في عهد الوزير ابن السلار الكردي (544 - 548هـ/ 1149 - 1153م)، الأردن، جامعة آل البيت، مجلة المنارة، المجلد 23، العدد 3، 2017م، ص154، 158.

(1) محمد كامل حسين: الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى أواخر الدولة الفاطمية، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ص30، 31.

(2) السلاجقة: مجموعة من القبائل التركية التي تنتمي لطائفة الأوغوز المنتشرة في بلاد ما وراء النهر، وكان ميكائيل بن سلجق زعيمهم يسكن في منطقة نور بخاري، حتى قام السلطان محمود الغزنوي بنقلهم إلى خراسان فكانت بداية نشوء دولتهم. الأصفهاني، عماد الدين: دولة آل سلجوق، القاهرة، شركة طبع الكتب العربية، 1900م، ص5 - 9.

(3) القزويني: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد بن عمر إدريس، الرياض، مكتبة الرشد، د. ت، ص35.

- معجم بغداد ويسمى: المشيخة البغدادية، أو السفينة البغدادية.
- معجم السفر وقد ذكر فيه شيوخه الذين التقى بهم في البلاد التي طاف بها، عدا بغداد وأصفهان.

وكان أوحد زمانه في علم الحديث وأعرفهم بقوانين الرواية والتحديث، جمع بين علو الإسناد وعلو الانتقاد، وبذلك تفرد عن أبناء جنسه.

ومن أشهر مؤلفاته:

- معجم السفر الذي يعد من أهم الكتب في التاريخ والأدب[1].
- الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، وهو عبارة عن آداب الإجازة وفوائدها وشروطها[2].
- المجالس السلماسية، وهى عبارة عن مجموعة من الأحاديث أملاها على تلامذته في مدينة سلماس سنة (506هـ)[3].
- معجم أصفهان، لشيوخه الأصفهانيين في جزء ضخم يحتوى على أكثر من ستمائة شيخ[4].
- الأربعون البلدانية، ويسمى بكتاب الأربعين المستعين بتعيين ما فيه عن المعين[5].

(1) طبع منه الجزء الأول في العراق، بتحقيق د بهيجة الحسني، سنة 1978م.
(2) وهو مخطوط منه نسخة بإيرلندا، برقم 4864.
(3) وهو مخطوط من نسختان في المكتبة الظاهرية بدمشق.
(4) مفقود.
(5) القزوينى: الارشاد في معرفة علماء الحديث، ص40؛ وهو مخطوط له نسخ متعددة في الظاهرية بدمشق.

## خامسا: من كبار أساتذة الحديث ومراجعه:

### - الحسن بن رشيق (ت: 370هـ/980م):

هو أبو محمد العسكري المصري، منسوب إلى عسكر مصر، الإمام المحدث الصادق، مسند مصر، ولد سنة (283هـ/ 896م).

سمع من أحمد بن حماد زغبة (ت: 318هـ)، ومحمد بن رزيق بن جامع المديني (ت: 391هـ)، وأبي عبد الرحمن النسائي (ت: 303هـ) فأكثر، وعلي بن سعيد بن بشير الرازي (ت 299هـ)، والمفضل بن محمد الجندي (ت: 308هـ)، وعبد السلام بن أحمد بن سهيل[1]، ويموت بن المزرع (ت: 304هـ)، وأمم سواهم، وكان ذا فهم ومعرفة[2].

حدث عنه: الدارقطني (ت: 385هـ)، وعبد الغني بن سعيد (ت: 409هـ)، وعبد الرحمن بن النحاس (ت: 368هـ)، ومحمد بن المغلس الداودي (ت: 324هـ)، ومحمد بن جعفر بن أبي الذكر (ت: 431هـ)، وعلي بن ربيعة التميمي (ت: 440هـ)، وأبو القاسم علي بن محمد الفارسي (ت: 443هـ)، ومحمد بن الحسين الطفال (ت: 448هـ)، وخلق من المغاربة، وكان محدث مصر في زمانه.

قال عنه أبو القاسم بن الطحان: روى عن خلق لا أستطيع ذكرهم، فما رأيت عالمًا أكثر حديثًا منه[3].

(1) البصري أبو بكر عبد السلام بن أحمد بن سهيل البصري (.. - حيا 368 هـ / .. - حيا 978م)، مفسر، محدث، روى عن الحسن بن رشيق العسكري (ت: 375هـ) في سنة 368هـ، له كتاب «ثواب القرآن». عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، 1988م، ص282.

(2) الذهبي، شمس الدين محمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م، ج16، ص281.

(3) الذهبي: تذكرة الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م، ج3، ص112؛ كريم ماهود

### - الحسن بن إبراهيم بن زولاق المصري (ت: 386هـ/ 997م):

كان من جملة علماء الجامع الأزهر في العصر الفاطمي، ولد سنة (306هـ/ 919م) وعاصر الدولتين الإخشيدية والفاطمية، ونشأ في أسرة اشتهرت بكثرة العلماء، واشتهر هو الآخر برواية الحديث، وسير التاريخ، ومنها سيرة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي[1].

وكان لمؤلفاته أثر كبير على الحياة الثقافية في مصر، وعُدَّ رائد المؤرخين المصريين في العصور الإسلامية، حيث اعتمد المؤرخون على كتاباته ونقلوا عنه.

ولد ابن زولاق في الفسطاط لعائلة نبغ فيها العديد من العلماء؛ فكان جده الحسين بن الحسن (ت: 281هـ/ 290هـ) من مشاهير العلماء، وظل ابن زولاق يجتهد في علمه إلى أن التحق بالتدريس في الأزهر الشريف[2].

التمس ابن زولاق خُطا أستاذه الكندي[3] في كتابة التاريخ، فأصبح حجة

---

مناتي: إسهامات العلماء المصريين في انتعاش الحركة الفكرية في مصر في القرن الرابع الهجري، جامعة المستنصرية، كلية الآداب، ص11.

(1) Encyclopedia of Arabic literature; Julie scott meisami, and paul starky, London, 1998, vol1, p385.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص321؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص463؛ موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، القاهرة، 2004م، ص428.

(3) أبو عمر الكندي (283 – ت بعد 355 هـ / 896 – بعد 966 م (محمد بن يوسف بن يعقوب، من بني كندة: مؤرخ، كان من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وأعمالها وثغورها. وله علم بالحديث والأنساب. وهو غير يعقوب الكندي الفيلسوف، ولد أبو عمر وتوفي بمصر، ومن كتبه (الولاة والقضاة – ط) في مجلد واحد، اشتمل على كتابيه (تسمية ولاة مصر) و (أخبار قضاة مصر)، وله أيضا (فضائل مصر – خ) صنفه لكافور الإخشيدي، (كانت ولايته سنة 355 – 357هـ) و (سيرة مروان بن الجعد) وكتاب (الموالي (. الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1980م، ج1، ص148.

في التاريخ في عهد الفاطميين، كما روى الحديث عن العديد من المحدثين، ومنهم: يحيى بن سليمان (ت 239هـ)، وأبو جعفر الطحاوي (ت: 321هـ)، كما روى كثيرون الحديث عنه، فسمع منه عبدالله بن وهبان بن أيوب بن صدقة (ت: 328هـ) وغيره.

والتحق بالتدريس في الجامع الأزهر، لقربه من الخليفة المعز لدين الله، وقد جمع في مؤلفاته بين التاريخ والأدب: فألف كتاب فضائل مصر وأخبارها، وسيرة المعز، وخطط مصر، وأخبار قضاة مصر جعله ذيلا لكتاب الكندي، ورسالة الموازنة بين مصر وبغداد في العلم والعلماء، ومختصر تاريخ مصر(1).

وقد ترك العديد من المؤلفات في التاريخ والتراجم، التي استند إليها من تبعه من المؤرخين، كالذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء، وابن فرحون في كتابه الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، وابن حجر العسقلاني في كتابيه: الإصابة في تمييز الصحابة، ورفع الاصر عن قضاة مصر، والتقي الغزى في كتابه الطبقات السنية في تراجم الحنفية، وابن قطلوبغا في كتابه تاج التراجم في طبقات الحنفية، والخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد(2).

### - ابن أبي العوام (ت: 418هـ/ 1027م):

هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن الحارث، أبو العباس المعروف بابن أبى العوام، ولد سنة (349هـ/ 960م)، من فقهاء الحنابلة، مصري الأصل والمنشأ، تولى قضاء برقة وصقلية والشام والحرمين، فضلًا عن

(1) على رضا قرة: معجم المخطوطات الموجودة في مكتبات إستانبول وأناطولي، تركيا، دار العقبة، 2005م، ج1، ص386.

(2) كاظم موسوي: دائرة المعارف بزرك إسلامي، تهران، مركز دائرة المعارف، 1989م، جلد سوم 2، ص629.

قضاء مصر في عصر الحاكم بأمر الله سنة (405هـ/ 1014م)، كما تولى النظر في المعيار[1]، ودار ضرب العملة، والمواريث، والمساجد.

ويعد أول من نقل دواوين الحكم من بيت القاضي إلى الجامع الأزهر، روى الحديث عن أبيه وجده، وروى عن أبي بكر محمد بن جعفر (ت: 327هـ)، وأبي بشر الدولابي (ت 310هـ)، وأبي جعفر الطحاوي (ت: 321هـ)، ومحمد بن الحسين البخاري (ت: 256هـ)، وأسامة بن أحمد بن أسامة (ت: 357هـ)، وأحمد بن علي بن شعيب المدائنى (ت: 327هـ)، وروى عنه أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (ت: 454هـ).

وقد خصص ابن أبى العوام يومي الاثنين والثلاثاء للجلوس بالجامع الأزهر لتعليم الناس، والفصل بينهم في الخصومات والقضايا، ومن مصنفاته: مناقب أبى حنيفة وأصحابه[2].

**- أبو العباس أحمد بن هاشم المصري (ت: 445هـ):**

أبو العباس أحمد بن هاشم المصري، كان من كبار المحدثين والمقرئين، واشتهر بتدريس علم القراءات، ويعد من كبار الأساتذة بالأزهر الشريف في زمانه[3].

**- أبو عبيدة القضاعي (ت: 454هـ/ 1062م):**

هو محمد بن سلامة بن جعفر، ولد بمصر في أواخر القرن الرابع الهجري،

(1) والعيار: ما عايرت به المكاييل. عايَرْتُه. أي: سوّيته عليه فهو المِعْيار والعيار. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق: مهدى المخزومي، وإبراهيم السامرائي، القاهرة، دار ومكتبة الهلال، ج2، ص239.

(2) المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق: محمد عثمان، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، ص473، 474.

(3) محمد عبد المنعم خفاجي، وعلي علي صبح: الأزهر في ألف عام، ج1، ص59.

وهو الإمام المحدث الحافظ المؤرخ أحد مشاهير نبلاء الأعلام، وأحد مشاهير أساتذة الأزهر في عصره، وقاضي القضاة بالديار المصرية.

أوفده الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (427هـ/ 1035م - 487هـ/ 1094م) سفيرا إلى ثيودورا قيصر قسطنطينية (1042م/ 433هـ - 1052م / 444هـ)؛ ليحاول عقد الصلح بينهما.

له عدة مصنفات منها: الشهاب ومسند الأصحاب في الحديث، وكتاب مناقب الإمام الشافعي، وأبناء الأنبياء، وعيون المعارف وهما مختصرات في التاريخ، وكتاب المختار في ذكر الخطط والآثار، وهو تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره.

روى عن أبى مسلم الكاتب (ت: 399هـ) ومن بعده، وقيل إنه حج في سنة (445هـ)، وحج في تلك السنة القضاعي، وسمع منه الحديث[1].

## الخاتمة

عندما استقرت أمور الدولة العبيدية في شمال إفريقيا، تحروا تسمية دولتهم بالدولة الفاطمية؛ وقد قصد العبيديون من إطلاق تلك التسمية على دولتهم إبان عهد المعز لدين الله الانتساب للسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، لما لاسمها من هوىً في نفوس المسلمين ومكانة. وقد انعكست تلك الرؤية على جامع القاهرة، فسمِّي بالجامع الأزهر نسبة للسيدة فاطمة الزهراء.

أخذ الفاطميون على عاتقهم منذ الأيام الأولى لحكمهم خطة أن يقوم هذا الحكم على قواعد ثابتة من العلم والمعرفة وخططوا لسياسة علمية شاملة ترتكز على إنشاء جامعة كبرى ثم على تهيئة الأجواء المناسبة للعلماء فلا يشغلهم شاغل العيش عن

(1) الطعمي: النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، ص45؛ سامي العبيد: الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، ص155.

الانصراف إلى العلم، ولا يلهيهم الفقر والعوز عن التوسع في البحث والدرس؛ فجعلوا لهم موارد من الرزق تضمن لهم العيش الكريم، ثم أرسلوا يستدعون العلماء من الخارج، وقد اشتد هذا المنهج واتسع وقوي بعد إقامة الوحدة بضم البلاد الأخرى إلى مصر وإنشاء القاهرة وإقامة الأزهر.

بل وجد هؤلاء العلماء من الحفاوة والتكريم ما لم يجدوه في البلاد التي يحكمها حكام من مذهبهم نفسه.

وهذا إن عده البعض من قبيل التسامح الديني لحكام الدولة الفاطمية، فإنني أرجح أن حكام الفاطميين في مصر، وضعوا نصب أعينهم تلك المراكز الحضارية في المشرق الإسلامي - بغداد حاضرة العباسيين، وبخاري حاضرة السامانيين، وغزنة حاضرة الغزنويين، وأصفهان حاضرة بنى بويه، التي كانت مراكز جذب من مختلف البقاع، ووصفت تلك الحواضر بأنها كعبة العلماء، فرغبوا أن تكون القاهرة حاضرة لملكهم وكعبة للعلماء، وأن يكون الجامع الأزهر جامعة عالمية تنافس دور العلم بالمشرق.

ويمكننا أن نضيف لما سبق ظهور وزراء من أهل السنة تولوا الوزارة وتدبير أمور البلاد للخلفاء الفاطميين، وعلى رأسهم الوزير السني الشافعي على بن السلار، الذي بنى المدرسة العادلية للسلفي بالإسكندرية، والتي أضحت في عهده منارة لأهل السنة.

أما بالنسبة للأزهر الذي أسس في الأصل ليكون منبراً للدعوة إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي، فإنني أرجح أن فتحه أمام مذاهب أهل السنة لم يكن من باب التسامح فقط؛ بل كانت مدرسة الحديث على مذهب أهل السنة قد بلغت مكانة وضعت علماءها في طبقات المحدثين الأول.

فكان أن اضطروا إلى الاعتراف بقيمة هؤلاء المحدثين الذين عرضنا لبعضهم ووجودهم، وعرضنا لمكانتهم التي فرضت نفسها برغم من المساندة السياسية للعلماء من أتباع المذهب الإسماعيلي، وذلك برغم من اختلاف نهج المذهبين في هذا العلم.

ومن أبرز المحدثين السنّة الذين كان لهم دور بارز في التدريس بالجامع الأزهر: ابن أبي العوام الذي تولى قضاء مصر في عهد الحاكم بأمر الله، إلى جانب تدريسه بالجامع الأزهر، والحسن بن زولاق المؤرخ المصري، والحسن بن رشيق، وأحمد بن هاشم المصري، وأبو عبيدة القضاعي.

## مصادر البحث ومراجعه:


- ابن الأثير: أبو الحسن على بن أبى الكرم (ت: 630هـ)
- أسد الغابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، بيروت، دار إحياء التراث، 1996م.
- الباجي: سليمان بن خلف (ت: 474هـ)
- التعديل والتجريح، تحقيق: أحمد لبزار، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، 1991م.
- بدر الريحاني: العلماء ودورهم في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي، الأردن جامعة آل البيت، كلية الآداب، رسالة ماجستير، 2017م.
- عبد الجواد صابر إسماعيل: مجتمع علماء الأزهر، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية.
- الحبال: الحافظ أبو إسحاق بن سعيد (ت: 482هـ)

وفيات المصريين (375 - 456هـ)، تحقيق: محمود بن محمد الحداد، الرياض، دار العاصمة.

- حسين مؤنس: المساجد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (37)، 1981م.
- الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت: 900هـ/ 1494م)

الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م.

- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت: 808هـ)

كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 1988م.

- خلف، محمود السيد: المحدثون الخولانيون في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الفاطمية، كلية الآداب مجلة جامعة طيبة، 2018، مج7، ع14.
- خيال محمد مهدي: من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، دمشق، وزارة الثقافة، 1992م.

- الذهبي: شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ)

تذكرة الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م.

- رمزية الأطرقجى: الأزهر في ظل الفاطميين، جامعة بغداد، مجلة الآداب، العدد 25، 1979م.

- الزرقاني: رضوان أبو هاشم الحنفي

الروض الأزهر في حدود مشاهير علوم الجامع الأزهر، مخطوطات الأزهر، رقم 339358، 1307هـ

- سامي العبيد: الحياة الاجتماعية والثقافية في المغرب ومصر (297 - 567هـ/ 909 - 1171م)، السودان، جامعة شندي، رسالة ماجستير، 2019م.

- ستانلى لين بول: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط2.

- سعاد ماهر: الأزهر أثر وثقافة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، مصر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1971م.

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت: 911هـ)

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابى، دار طيبة، القاهرة.

- صالح السنوسي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مصر الفاطمية، السودان، جامعة أم درمان، رسالة دكتوراه، 2015م.

- ابن عبد الظاهر: محى الدين أبو الفضل (ت: 692هـ)

الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، الدار العربية للكتاب، 1996م.

- عبد الوهاب عزام: مجالس السلطان الغوري، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2010م.

- على رضا قرة: معجم المخطوطات الموجودة في مكتبات إستانبول وأناطولى، تركيا، دار العقبة، 2005م.
- عوف، أحمد محمد: الأزهر في ألف عام، مجمع البحوث الإسلامية، 1970م.
- القزويني: الخليل بن عبد الله بن أحمد ابن الخليل الخليلي القزويني أبو يعلى (ت: 446هـ)

الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد بن عمر إدريس، الرياض، مكتبة الرشد، 1989م.
- كاظم موسوي: دائرة المعارف بزرك إسلامي، تهران، مركز دائرة المعارف، 1989م، مجلد 2.
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: 774هـ)

البداية والنهاية، تحقيق: على شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م.
- كريم ماهود مناتى: إسهامات العلماء المصريين في انتعاش الحركة الفكرية في مصر في القرن الرابع الهجري، جامعة المستنصرية، كلية الآداب.
- المامقاني: الشيخ عبد الله (ت: 1351هـ)

مقباس الهداية في علم الدراية، تحقيق: الشيخ محمد رضا المامقاني، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1411هـ.
- محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي.
- محمد حسين عبد الله المهداوي: التراث الأدبي في ظل الدولة الفاطمية ودور المحدثين في نشره، مجلة دواة، مجلة فصلية تعنى بالبحوث اللغوية والتربوية.
- محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث.
- محمد كامل حسين: الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى أواخر الدولة الفاطمية، مصر مؤسسة هنداوي، 2018م.
- محمد المختار ولد أباه: تاريخ علوم الحديث الشريف في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم إيسيكو، 2010م.
- محمود حمدي زقزوق: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، القاهرة، 2004م.

- محمود أبو العيون: الجامع الأزهر نبذة في تاريخه، مطبعة الأزهر، 1949م.
- محيي الدين الطعمي: النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، بيروت، دار الجيل، 1992م.
- المزي: الحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزي (ت: 742هـ)

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1988م.
- الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت: 170هـ)

كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، القاهرة، دار ومكتبة الهلال.
- المقريزي: تقى الدين أحمد بن على (ت: 845هـ)

السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ج6.

كتاب المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987م.

المواعظ والاعتبار، بيروت، دار صادر، د. ت.
- ابن ميسر، محمد بن على (ت: 677هـ):

أخبار مصر، تصحيح: هنري ماسيه، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي، 1919م.
- ناصر خسرو: (ت القرن الخامس الهجري)

سفر نامة، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- نريمان عبد الكريم: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.
- أبو الوفا المراغي: كلمة تاريخية عن المكتبة الأزهرية، من مخطوطات المكتبة الأزهرية، تاريخ، رقم 55299.
- ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: 626هـ/ 1229م): معجم البلدان، بيروت، دار الفكر.

- Encyclopedia of Arabic literature; Julie scott meisami ،and paul starky ،London ،1998 ،vol1.
- Doris Behrens;Islamic architecture in cairo ،cairo ،the American university.1998 ،

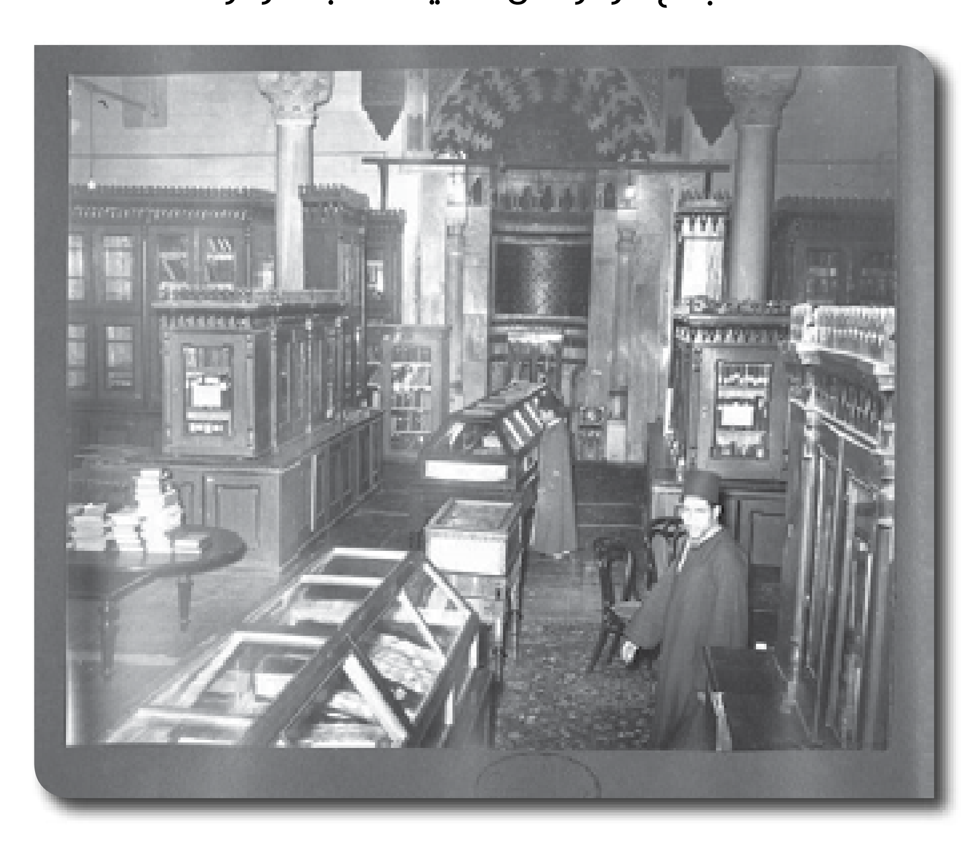
**شكل رقم (1)**

**خريطة نادرة للجامع الأزهر والمنطقة المحيطة به**



**شكل رقم (2)**

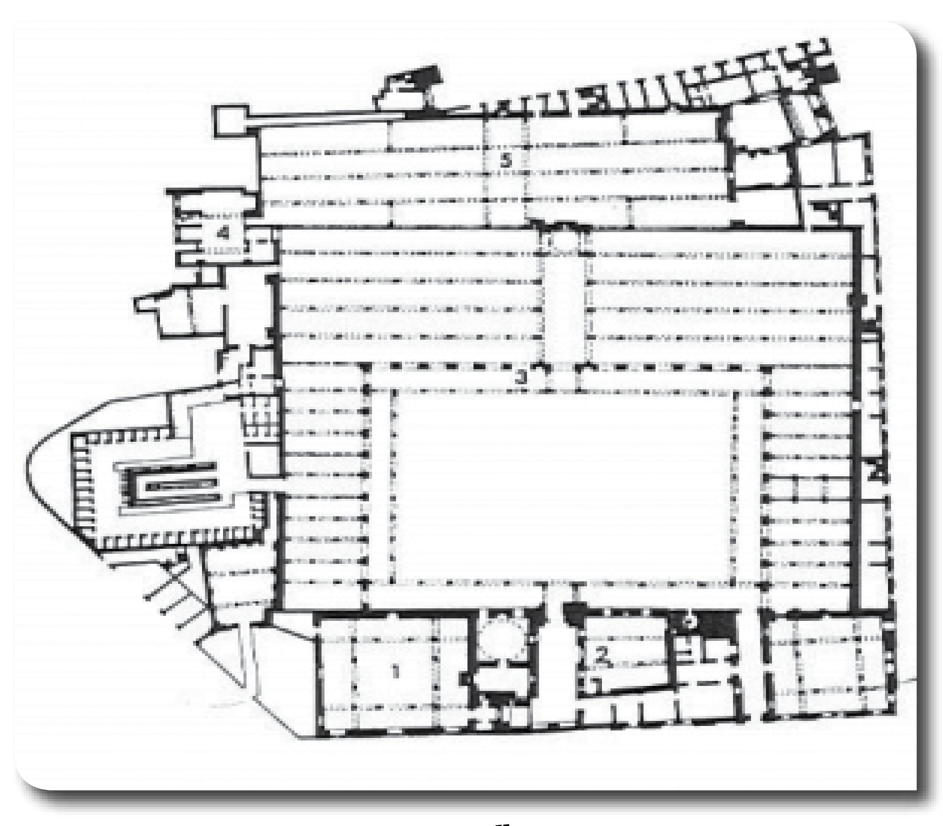
**مكتبة الأزهر القديمة في أثناء وجودها في الجامع الأزهر - من مقتنيات مكتبة الأزهر**





**شكل رقم (3)**

**مخطط الجامع الأزهر**



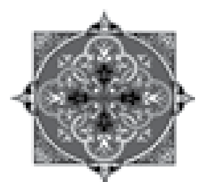

**المصدر:**

Doris Behrens;Islamic architecture in cairo، p58.

**شكل رقم (4)**




**المصدر: محمود أبو العيون: الجامع الأزهر نبذة في تاريخه، مطبعة الأزهر، 1949م. ص13.**



# القرى الوقفية المصرية في عصر الدولة العثمانية ودورها في كسوة الكعبة والحجرة الشريفة (922 - 1296هـ/1517 - 1879م)

فاطمة محمد عيسى محنشي[1]

**الملخص:**

تكمن أهمية دراسة القرى الوقفية المصرية في عصر الدولة العثمانية ودورها في كسوة الكعبة والحجرة الشريفة (922هـ - 1296هـ / 1517م - 1879م) في توضيح دورها الوقفي على كسوة الكعبة المشرفة وكسوة الحجرة النبوية، وإلقاء الضوء على موقف السلاطين تجاه هذه القرى كالسلطان سليم الأول، ويشار إلى أهم القرى الوقفية في عهد السلطان سليمان القانوني على المدينتين المقدستين. وفي أثناء الدراسة يُتَعرَّف على موقف الأسرة العلوية تجاه القرى الوقفية وخاصة محمد علي باشا، وإبراز اهتمام السلاطين العثمانيين بالقرى الوقفية المصرية على التكايا والزوايا في المدينتين المقدستين، فعلى سبيل المثال تكية وقف الخاصكية القديمة، تكية السلطان مراد الثالث، ووقف الدشيشة المحمدية، وتكية السلطان أحمد.

(1) أستاذ مساعد في جامعة طيبة Email: ASAL220330@gmail. com.

لقد عانت الدولة العثمانية الكثير عند إدارة هذه القرى الوقفية وهذا ما وضّح في نتائج الدراسة.

**الكلمات المفتاحية**: (القرى الوقفية المصرية، الدولة العثمانية، المدينتان المقدستان).

## The Egyptian Endowment Villages In The Era of The Ottoman Empire And Its Role In The Covering of The Kaaba And The Honorable Chamber (922 - 1296 AH / 1517 - 1879 CE)

### Abstract

The importance of studying the Egyptian endowment villages in the era of The Ottoman Empire and its role in the covering of The Kaaba and The Honorable Chamber (922 - 1296 AH / 1517 - 1879 CE) lies in clarifying their endowment role on the cladding of the Kaaba and the cladding of the Prophetic Chamber. And shed light on the position of the sultans towards these villages, such as Sultan Selim the First, and the most important endowment villages during the reign of Sultan Suleiman the Magnificent are referred to the two holy cities. In the course of the study, the Alawite family's position towards endowment villages, especially Muhammad Ali Pasha, is recognized, and the Ottoman Sultans 'interest in the Egyptian endowment villages is highlighted in the hospice and angles in the two holy cities. For example, the old Khasikiyya endowment hospice, Sultan Murad III's hospice, the Mohammedan dushisha endowment, Sultan Ahmed's Tekkeh.

The Ottoman Empire suffered a lot when managing these

endowment villages, and this is what was clarified in the results of the study.

**Keywords:** (Egyptian endowment villages, The Ottoman Empire, the two holy cities).

## التمهيد:

الوقف لغةً مصدر وَقَفَ، «ويقال: وقف فلان أرضَه وقفًا مُؤبَّدًا إذا جَعَلها حَبِيسًا لا تُباع ولا تُورَثُ. وقد أبّد وقْفَها تأبيدًا»[1]، فهو حبس الموقوف لمصلحة معينة ومنفعة يستفيد منها من أوقف عليه هذا الوقف.

واصطلاحًا هو حبس العين الموقوفة على ملك الله تعالى، وصرف منفعتها على من أحبه الواقف، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوقف يصح على الأغنياء والفقراء، وعليهما جميعًا، كما يصح على الأقرباء والغرباء، واشترط الفقهاء أن يكون الوقف على جهة بر وخير[2].

والأوقاف من أهم القضايا التي تناولتها المصادر التشريعية وكُتب الفروع، ذلك أن النبيَّ ﷺ حث المسلمين على أن يجعلوا لأنفسهم صدقة جارية تنفعهم بعد موتهم وانقطاع أعمالهم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال أصاب عمر بخيبر أرضا فأتى النبي ﷺ فقال أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرني به قال: «**إن شئْتَ حَبَّسْتَ أصلَها وتصدَّقْتَ بها**»، فتصدق عمر»[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه

(1) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م: 14/ 146.

(2) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة (923 - 1220هـ/ 1517 - 1805م)، جامعة الأزهر، القاهرة، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، رسالة ماجستير: ص 43.

(3) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت 256هـ)، الجامع الصحيح = صحيح البخاري، ط1، دار الشعب، القاهرة، 1407هـ/ 1987م: 4/ 14.

«أن النبي ﷺ قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له»[1].

وما فعل ذلك الصحابة ومَن تبعهم إلا تحقيقًا للغاية التي من أجلها وُجِد الواقف، ألا وهي ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ورضوانه، ثم سارت الأُمة الإسلامية على درب هؤلاء الأفذاذ، ومع مرور العصور وتوالي الأزمان بدأت تنكشف القيمة الحقيقية للأوقاف؛ إذ إنها أسهمت بدور حيوي في حل المشكلات التي واجهتها الأمة عبر تاريخها الحضاري الطويل، وإن فلسفة الأوقاف الإسلامية تكمن في كونها للناس عامة، لا فرق بين غني وفقير ورئيس ومرؤوس، حيث إنها تؤكد على حقيقة الإسلام ذاته، الذي جاء بكل ما هو خير للبشرية، فمن هنا جاءت فكرة الحديث عن القرى الوقفية المصرية في عصر الدولة العثمانية.

ويلاحظ بأن سعة الأوقاف المصرية وكثرة وارداتها جعل الدولة العثمانية أمام مسؤولية الحفاظ على تلك الأوقاف من خلال إجراء عمليات تفتيش مستمرة على واردات المؤسسات الوقفية التي كشفت عن الكثير من عمليات الاختلاس، الأمر الذي دفع الدولة العثمانية إلى إصلاح الجهاز الإداري الخاص بالأوقاف المصرية، فقد عينت دفتر دار[2] خاص بالأوقاف سعيًا منها للقضاء

(1) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت): 3/ 660.

(2) دفتر دار Defterdar: أي ممسك الدفتر، وهي كلمة تتكون من دفتر ودار، بمعنى القابض على الدفتر، وهو أكبر منصب للشؤون المالية في الدولة العثمانية، يقابله في الوقت الراهن وزير المالية، وكانت له مزايا عديدة وصلاحيات كثيرة، وبعد توسع نطاق الدولة أصبحت هذه الوظيفة بين اثنين: دفتردار الروملي، ودفتر دار الأناضول، وسمي الأول بشق أول، والثاني بشق ثاني، ثم استحدث دفتردار العرب والعجم بعد استيلاء السلطان سليم على سوريا، وكان مقره حلب، نهايات القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي، فأصبح

على الفساد الذي شهدته المؤسسات الوقفية، ومنحت هذا الدفتردار صلاحيات واسعة، ويرافقه عدد من الجنود من أجل مساعدته في تنفيذ صلاحياته، وقد انتهج الدفتردار أسلوبًا جديدًا في استحصال أموال الأوقاف بأن ألغى نظام الالتزام في جمع أموال الأوقاف في أغلب القرى الوقفية، وأوكل بتلك المهمة إلى المباشرين، غير أن تلك الإجراءات لم تأتِ بنتائج مثمرة، فقد استمر الفساد يسري في المؤسسات الوقفية، وتلك نتيجة طبيعية إذا ما عُرف بأن حوالي نصف الأراضي المصرية هي أراضٍ وقفية، فضلًا عن عدم دراية الإداريين العثمانيين بالأوقاف المصرية وقلة خبرتهم، الأمر الذي أدى في النهاية إلى هجرات مستمرة لسكان القرى الوقفية التي انعكست سلبًا على الواردات العائدة لخزانة الولاية.

إن سقوط المماليك على يد العثمانيين عام (923هـ/ 1517م) جعل من مصر ولاية عثمانية غير أن السلطان سليم الأول[1] أبقى على نظم الإدارة المملوكية فيها، لا سيما فيما يتعلق بمجال الأوقاف؛ إذ أصدر مرسومًا في عام (923هـ/ 1517م) إلى الملتزمين والمباشرين فحواه:

---

لكل ولاية دفتردار يقوم بتنظيم الشؤون المالية في الولاية ثم تغير الوضع بعد القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي، وقد كان الدفتردار يرافق الصدر الأعظم دائمًا، ويحتفظ بسجلات الأراضي وتوزيع الإقطاعيات، يُنظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مراجعة: عبد الرزاق بركات، (د. ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/ 2000م: ص113 - 114.

(1) هو سليم الأوّل بن بايزيد الثاني امتد حكمه من 918هـ/ 1512م إلى 926هـ/ 1520م، وهو تاسع سلاطين الدولة العثمانية، وخليفة المسلمين الرابع والسبعون، وأوّل من حمل لقب «أمير المؤمنين» من آل عثمان، وهو أصغر أبناء بايزيد الثاني، كان قبل اعتلائه العرش واليًا على طرابزون البعيدة عن إسطنبول. توفي في جورلو شرقي إسطنبول. يُنظر: كولن، صالح، سلاطين الدولة العثمانية، ترجمة منى جمال الدين، ط1، القاهرة، دار النيل للطباعة والنشر، 1435هـ/ 2014م، ص 90 - 91.

عدم تعرض جهات أوقاف (الجوامع، والربط[1]، والزوايا[2]، والمدارس، والمساجد، والمعابد)، وغيرها من الموقوفات على أعمال الخير والبر تاركًا مهمة إدارة تلك الأوقاف لقاضي عسكر ولاية مصر في الوقت الذي قامت فيه الدولة العثمانية بزيادة المؤسسات الوقفية في تلك الولاية، إذ قام بعض الولاة الذين تولوا إدارة شؤون مصر بتشييد العديد من المؤسسات الوقفية، فقد بنى (خيري بك)[3] أول والٍ عثماني على مصر جامعًا ومدرسة عام (927هـ/ 1517م) عرف باسمه، فيما بنى الوالي (سليمان الخادم)[4] في قلعة الجبل جامعين

(1) الربط: جمع رباط بكسر الراء، وهو في اللغة: ملازمة ثغر العدو، وهو منحوت من رباط الخيل، أي: إعدادها لجهاد العدو، وفي الاصطلاح: الرباط دار حصينة كان العرب المسلمون يقيمونها لأغراض حربية ودينية في مناطق الثغور على الحدود الفاصلة ما بين الدول الإسلامية وما يجاورها من الدول الأخرى. ينظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/ 1996م: ص217.

(2) الزوايا: جمع زاوية، وهي لفظة مأخوذة من الانزواء، قالت العرب: انزوى القوم بعضهم إلى بعض، إذا تدانوا وتضاموا. وفي الاصطلاح: الزاوية مكان يتخذ للاعتكاف والعبادة والمطالعة، وهو على شكل خلوة أو رواق في المسجد إذا كان مشتملًا على مصل مستور، ولكل زاويا شيخ يكون منقطعًا لها فتعرف به. يُنظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة، ص217.

(3) خيري بك: أول الولاة الذين ولاهم السلطان سليم على مصر، وكان من كبار رجال قانصوه الغوري، انضم إلى الأتراك في الشام، وكان يشغل منصب نائب حلب. وعده السلطان سليم بأن يوليه ولاية مصر جزاء له على معاونته في فتحها وقد بر السلطان بوعده. يُنظر: زكي، عبد الرحمن، القاهرة تاريخها وآثارها (969هـ - 1825م) من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ، (د. ط)، الدار المصرية للتأليف والترجمة - دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1386هـ/ 1966م: ص 198.

(4) سليمان الخادم: قام بحملة 945هـ/ 1538م، كاستجابة ناجحة لدرء الخطر عن الأماكن المقدسة في الحجاز، وكسر الحصار الاقتصادي الذي كانت تمارسه السفن البرتغالية

هما: (جامع بولاق، جامع سيدي سارية) عام (935هـ/ 1528م)، ومثلهم فعل الوالي داود باشا إذ بنى المدرسة الداودية وأوقف عليها أوقافًا كثيرة عام (940هـ/ 1533م)، غير أن التغيير الذي حصل هو أن العثمانيين اعتمدوا على أحكام المذهب الحنفي بما فيها أحكام الوقف في إداراتهم للأوقاف المصرية.

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهم القرى الوقفية على صناعة الكسوة المشرفة وكسوة الحجرة النبوية الشريفة، وموقف أبرز سلاطين الدولة العثمانية من القرى الوقفية في مصر، وموقف محمد علي باشا من القرى الوقفية، والقرى الوقفية على التكايا والزوايا وما ترتب على إدارة الدولة العثمانية للأوقاف.

---

على التجار المسلمين ومد الدعم للممالك الإسلامية في المنطقة. يُنظر: مهنا، هاني زامل عبد الإله، حملة سليمان باشا الأرنؤوطي (الخادم) (945هـ/ 1538م) دراسة تحليلية لوثيقة عثمانية، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن: دول مجلس التعاون لدولة الخليج عبر العصور، 2007م/ إبريل – ربيع الآخر، ص409.

# المبحث الأول

## القرى الوقفية على صناعة الكسوة[1] المشرفة وكسوة الحجرة النبوية الشريف

كان الخلفاء والسلاطين ينفقون نفقات باهظة بهدف إقامة الشعائر في الحرمين الشريفين. وقد كانت تصرف هذه النفقات في العصور المتقدمة من بيت المال، فقد كسى رسول الله ﷺ الكعبةَ من بيت المال، وكذلك فعل مَن أتى بعده ممن قام بهذا العمل سواء في أيام الخلفاء الراشدين، أو الأمويين، أو العباسيين، وتعددت بعد ذلك مصادر نفقات الكسوة، فمن هبات وإرصاد على بيت الله الحرم ثابتة وغير ثابتة، وذلك فضلًا عن الأوقاف الثابتة على كسوة الكعبة وملحقاتها، فقد أوقف (السلطان عماد الدين إسماعيل) وقفًا من بيت مال المسلمين[2]. حيث اشترى قرية من بيت مال المسلمين بمصر ووقفها على كسوة الكعبة المشرفة في كل عام، وعلى كسوة الحجرة المقدسة، والمنبر الشريف، كل خمس سنوات مرة، وقيل كل ست سنوات مرة، تعمل من الديباج الأسود المرقوم بالحرير الأبيض، ولها طراز منسوج بالفضة المذهبة دائر عليها، إلا كسوة المنبر لأنها بتفصيص أبيض. ويؤكد (**التقي الفاسي**) أن الذي اشترى هذه القرية[3] من بيت المال هو (**الملك الصالح إسماعيل بن عبد الملك محمد بن قلاون**[4]).

---

(1) الكسوة: الكِسُوْةُ يقصد بها كَسَوْتُهُ ثوبًا (كِسْوة) (فاكْتَسَى) والكِسَاءُ واحدُ وتكسى بالكِساء لَبِسَهُ وكَسِي العُرْيانُ أي: (اْكتَسَى) يُنظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: 600هـ/ 1261م)، مختار الصّحاح، (د. ط) مكتبة لبنان، بيروت، 1409هـ/ 1989م: ص502 – 503.

(2) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين:: ص 265.

(3) يُنظر: نفسه: ص 266.

(4) الملك الصالح إسماعيل: هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاون، بويع بالسلطنة بعد خلع أخيه الناصر أحمد، عندما عاد إلى الكرك، وذلك يوم

وإذا كان الفاسي قد ذكر أن الملك الناصر إسماعيل لم يوقف إلا قرية **سندبيس**[1] فقط على الحرمين الشريفين، فإن الشيخ عبد الله الشرقاوي يذكر أن السلطان المذكور قد أوقف قرية أخرى هي **بيسوس**[2] وهي القرية نفسها التي ذكرها بيرثون خطأ باسم (**بيسون**) ولكن الاسم الأول هو الصحيح[3].

الخميس 12 محرم عام (743هـ/ 1342م)، فلبس شعار الملك من باب الستارة، ولما تم له أمر السلطنة عزل من عزل، وولى من ولى، وأظهر العدل في الرعية، ونظر إلى القوي والضعيف بالتسوية، وبسط فيهم العدل، وأثنى كل أحد من الناس عليه بالفضل، واستمر على ذلك، وسلك طريقة أبيه على أحسن المسالك، فأحبته الرعية، وسار فيهم سيرة مرضية. يُنظر: الحنفي محمد بن أحمد بن إياس (852هـ - 930هـ/ 1448م - 1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط2، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1403هـ/ 1983م: 1/ 498 - 499.

(1) سِنْدبيس: هي من القرى القديمة اسمها الأصلي دِسْبَنَدِس وردت به في كتاب فتح مصر ضمن القرى التي نزل بها العرب في الحوف الشرقي، وفي القرن السادس الهجري حرف اسمها إلى الاسم الحالي لسهولة النطق به فوردت به في قوانين ابن مماتى وفي تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية وفي التحفة من أعمال القليوبية. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1415هـ/ 1994م، القسم الثاني: 1/ 56.

(2) بيسوس: أو باسوس هي من القرى القديمة اسمها الأصلي بيسوس وردت في نزهة المشتاق بين شبرة (شبرا الخيمة) وبين الخرقانية وفي نسخ أخرى منها وردت محرفة باسم تنسوس وبيسوس، وهي قرية عامرة حسنة. ووردت في المشترك لياقوت بيسوس في كورة الشرقية وفي قوانين ابن مماتى وفي تحفة الإرشاد بيسوس من أعمال الشرقية، وفي التحفة من أعمال القليوبية، ووردت باسم باسوس لسهولة النطق بها وهو اسمها الحالي. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية: 1/ 55.

(3) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين: 1/ 267.

## موقف أبرز سلاطين الدولة العثمانية من القرى الوقفية في مصر:

### أولًا: السلطان سليم الأول:

واجه السلطان سليم عظمَ حجم الأوقاف المصرية، وما يترتب على ذلك من إخلال بموارد الخزينة السلطانية، حيث إنه بصفة عامة لا تخضع أراضي الوقف للخراج أو ما كان يُسمى آنذاك بالميري[1]، وهو ما يمكن أن نطلق عليه الضريبة - إذا جاز استخدام اللفظ - المقررة على الأراضي، ومع أنه ليست هناك تقديرات محددة عن حجم الأوقاف المصرية آنذاك، إلا أن بعض المصادر ترى أن الأوقاف كانت تمثل عشرة قراريط من أراضي مصر أي حوالي 40٪ من جملة أراضي مصر الزراعية؛ إذ إن المساحة الكلية كان يرمز لها بأربعة وعشرين قيراطًا[2]، وهناك مصدر آخر يحدثنا أن السلطان سليم، لما دخل مصر واستولى عليها، نظر في بيوت المال ومصارفها[3].

### القرى الوقفية في عهد سليمان القانوني[4]:

توسعت القرى الوقفية في عهد السلطان سليمان القانوني وزاد عددها بعد

(1) الميري: لفظ فارسي متداول في البلاد العربية منذ بداية العصر الأيوبي، استمر حتى نهاية العصر العثماني بمعنى الضريبة المفروضة على الأرض. يُنظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة، ص415 - 416.

(2) القيراط: زنة تساوي 2,004375 (غرامين ونيف) أي: واحد من 16من الدراهم. يُنظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية: ص187.

(3) يُنظر: عفيفي، محمد، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991م: ص27.

(4) السلطان سليمان القانوني (900 - 974هـ/ 1494 - 1566م): هو ابن سليم خان الأول، اشتهر بالتسامح والعدالة. قام بمعاقبة الخارجين عن القانون ومنهم الباشوات والضباط الذين ثبت فسادهم، كما أنه نظَّم الضرائب، وفرض على الجنود أن يدفعوا ثمن ما يستولون عليه في طريقهم إلى الجبهة، وسعى إلى إقامة نظام عدالة. يُنظر: مصطفى، أحمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1402هـ/ 1982م: ص87 - 88.

أن رأى أنها لم تعد تكفي لكسوة الكعبة والحرم النبوي الشريف لتصل إلى عشر قرى، وقد ذكر (**إبراهيم باشا رفعت**)[1] قرية أخرى تم وقفها على كسوة الكعبة المشرفة[2] هي قرية **أبو الغيث**[3] مؤكدًا على ذلك بنص وقفية (السلطان سليمان القانوني)، وخاصة أن أوقاف السلطان المملوكي (الصالح إسماعيل) لم تعد تكفي لتكاليف عمل كسوة الكعبة المشرفة[4]، فلقد سعت المؤسسات الرسمية في الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان نفسه بوقف الأوقاف النافعة للفقراء والمحتاجين فخصص السلطان العثماني سليمان الأول (القانوني) وقفية عام (947هـ/ 1540م)، يوقف فيها عشر قرىً من قرى مصر لينفق من ريعها على كسوة الكعبة المشرفة والحرم النبوي الشريف، وقد قال في هذه الوقفية بعد ديباجة طويلة تبين أنه ظل متفكرًا في كلام الله سبحانه وتعالى –

(1) عُيِّن إبراهيم باشا رفعت رئيسَ حرس المحمل (قومندانة) عام 1318هـ/ 1901م، فقام بتدوين الرحلة من أول خطوة فيها إلى آخر خطوة وإخراجها للناس؛ لينتفعوا بها، وليستضيئوا بنورها إذا حجوا إلى البيت الحرام أو قصدوا الجزيرة، وفي عام 1320هـ/ 1903م، وعام 1321هـ/ 1904م، وعام 1325هـ/ 1908م عُيِّن أميرًا للحج، فقام بكتابة وتصوير كل ما يقع عليه النظر. يُنظر: باشا، إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د. ت): 1/ 3.

(2) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين: 1/ 267.

(3) أبو الغيث: تعرف باسم (أبو الغيط) أراضي هذه الناحية أصلها جزيرة كبيرة قديمة وردت في مباهج الفكر باسم جزيرة اللخميين (الأخميين) ثم وردت في التحفة مع الخاقانية (الخرقانية) باسم الخاقانية وجزيرتها من أعمال القليوبية وفي تربيع سنة 933هـ/ 1527م، فصلت هذه الجزيرة عن ناحيتي الخرقانية والأخميين باسم (أبو غيث) كما ورد في دفتر المقاطعات سنة 1079هـ/ 1668م، ثم وردت بعد ذلك باسم (أبو الغيث) كما ورد في دليل سنة 1224هـ/ 1809م، ثم حرف الاسم إلى (أبو الغيط) وهو اسمها الحالي الذي وردت به في تاريخ (1228هـ/ 1813م). يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية: 1/ 53.

(4) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين: 1/ ص267.

وناظرًا ثواب الحج، «وعالمًا بأن تعظيم الكعبة المستورة بالأستار الشريفة العالية وتشريفها في الحج يوجب الجنة»، ولذا فقد وَقَف جميع القرى الثلاث المسماة (بيسوس) وأبو الغيث وحوض بقمص[1] الواقعة بالولاية المصرية التي كان الحاصل منها في السنة الواحدة (دخل هذه القرى مجتمعة) 89000 درهم[2] أضاف السلطان **سليمان القانوني** سبع قرىً من قرى مصر[3] هي: **سلكة**[4]، وسر وبجنجة[5]، **ومنية النصارى**[6]، **وبطاليا**[7]، **ومنايل وكوم**

(1) حوض بقمص: هو الحوض الذي يعرف اليوم باسم (حوض بقيس) بأراضي ناحية مر صفا بمركز بنها بمديرية القليوبية. يُنظر: أحمد، يوسف، المحمل والحج، ط1، مطبعة حجازي، القاهرة، 1937م: 1/ 258.

(2) يُنظر: حلمي، إبراهيم، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجّاج، مؤسسة أخبار اليوم عدد 320، القاهرة، 1415هـ/ 1994م: ص54.

(3) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين: ص266.

(4) سلكة: هي اليوم إحدى قرى مركز المنصورة بمديرية الدقهلية. يُنظر: أحمد، يوسف، المحمل والحج: 1/ 258.

(5) سر وبجنجة: صوابه سرو بجنجة وهي القرية التي تعرف اليوم باسم (السرو) بمركز فارسكور بمديرية الدقهلية هي القرية التي تعرف اليوم باسم (أويش الحجر) بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية. يُنظر: أحمد، يوسف، المحمل والحج: 1/ 258.

(6) منية النصارى: وردت في تحفة الإرشاد منية النصارى المجاورة لشارمساح من أعمال الدقهلية، ووردت في مشترك قوانين الدواوين منية النصارى وتعرف ببهرمس المجاورة للمحلة، ثم وردت في التحفة باسم باطيفه النصارى من أعمال الدقهلية، وورودها بهذا الشكل خطأ في تركيب الحروف بسبب سوء النقل، وصوابه بساط ومنية النصارى، وبالبحث عن هذه القرية تبين أنها كانت مشتركة مع شارمساح في السكن والزمام وفي سنة 1228هـ/ 1813م ألغيت وحدتها وأضيف زمامها إلى شارمساح (مركز فارسكور) وبذلك صارتا ناحية واحدة باسم شرمساح من ذلك التاريخ. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الثاني: 1/ 436 - 437.

(7) بطاليا: أو طاليا إحدى قرى مركز أشمون بمديرية المنوفية، كما أنه كان يوجد قديما قرية اسمها بتالي بولاية الغربية. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية: 1/ 258.

ريحان[1]، وبيجام[2].

ومع كل هذه الأوقاف الضخمة فإن الظروف كانت تتطلب مساعدات أخرى لعمل الكسوة؛ لتذهب في الميعاد المحدد في شهر شوال من كل عام؛ لذلك فقد كانت تصدر فرمانات[3] من الدولة العثمانية إلى باشا

(1) منايل: هي من القرى القديمة، وقد دلني البحث على أنها كانت تسمى كوم ريحان. وردت في التحفة من أعمال القليوبية، ويستفاد مما ورد أنه في دليل عام (1224هـ/ 1809م) في ربيع عام (933هـ/ 1527م)، غيّر اسم كوم ريحان إلى المنايل، فورد في ولاية قليوب في حرف الألف المنايل هي كوم ريحان ترد في حرف الكاف، وقال: «وتعرف بالمنايل كوم ريحان». والظاهر أن كوم ريحان كان بها حوض يعرف بالمنايل وتغلب اسمه على اسم القرية فعرفت بالمنايل، وقد وردت باسم منايل كوم ريحان في كتاب وقف الكسوة الشريفة المحرر في سنة 947هـ، ثم حذف منها كوم ريحان فأصبحت باسم المنايل وهو اسمها الحالي. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الثاني: 1/ 34.

(2) بيجام: هي من القرى القديمة وردت في قوانين ابن مماتى وفي تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية، وفي التحفة من أعمال ضواحي القاهرة. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الثاني: 1/ 12.

(3) الفرمانات: مفردها فرمان: في الفارسية بمعنى الأمر، وما يصدر عن السلطان من أوامر رسمية. وهو مكتوب، ويسمى كذلك برات، مثال، منشور، بيتي، حكم، توقيع، نيشان. يسرلغ. وفي رأس صحيفة الفرمان تكتب كلمة (هو) اختصار الكلمة الله. وتحتها طغراء السلطان. ثم يذكر إن كان هذا المكتوب فرمان أو برات أو غير ذلك. ثم يذكر اسم ولقب المرسل إليه، وما يأمر به السلطان ثم يذكر إن كان هذا المكتوب فرمان أو برات أو غير ذلك. ثم يذكر اسم المرسل إليه ولقبه، وما يأمر به السلطان، ويرغب فيه، في إفادة غاية في الوضوح ثم الدعاء بالتوفيق في تنفيذ الأمر، وفي النهاية يذكر تاريخ الفرمان والموضوع الذي أصدر منه، وتدون هذه الفرمانات في إدارة خاصة بالديوان السلطاني. كما يقيد مضمونه وفحواه في سجل خاص، ويرسل الفرمان إلى المرسل إليه وينظر فيه القاضي، وبعد التحقيق من أنه ليس مزورًا يدوّن في المحكمة الشرعية، ثم ينفذ ما جاء فيه من حكم. وبعد التنظيمات كانت منحصرة في مسائل خاصة معينة. وقد حل محلها ما يعرف بـ(إرادة). يُنظر: المصري، حسين نجيب، معجم الدولة العثمانية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1425هـ/ 2004م: ص100.

مصر بشأن ما تحتاجه صناعة الكسوة، بأن يدفع لأمير الحاج[1] أو لناظر[2] الكسوة مبلغ يستطيع به القضاء على تلك الظروف الناشئة[3]. ولما أدخلت الدولة العثمانية مصر تحت سيادتها اختصت بكسوة الحجرة الشريفة النبوية وكسوة البيت الداخلية، واختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية، ومنذ ذلك الوقت صارت هذه الكسوة المباركة ترسل من مصر سنويًا وهي: 8 ستائر من الحرير الأسود المكتوب بالنسيج في كل مكان منه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وطول الستارة نحو 15 $م^2$، ومتوسط عرضها 5 أمتار وبعض سنتميترات، وكل ستارتين تعلقان على جهة من جهات الكعبة، فتربطان من أعلاها في حلقات غاية في المتانة قد تثبتت في سقف الكعبة، ثم تربطان إلى بعضهم بواسطة عرىً وأزرة، وتثبتان من أسفل في حلقات وضعت في الشاذروان، وهكذا كلما وضعت ستارة تثبت في التي[4] بجوارها بواسطة هذه الأزرة، حتى إذا انتهت كلها صارت كالقميص المربع الأسود، ثم يُوضع على محيط البيت المعظم فوق هذه الستائر فيما دون ثلثها الأعلى حزام يسمى رنكا، مركب من أربع قطع مصنوعة من

(1) أمير الحج: الرئيس المنتخب أو المشرف المعين على قافلة الحج المتوجهة من إستانبول إلى مكة المكرمة. يُنظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية: ص47.

(2) ناظر الوقف: للناظر دور هام في الإشراف على جباية ريع الوقف، وصرف المبالغ المقدرة للمستحقين بحجة الوقف، مع إعداد حساب سنوي بالاشتراك مع بقية موظفي الوقف وأيضًا اختيار موظفي الوقف في حالة عدم وجود شرط من الواقف بتقرير أشخاص بعينهم، ومراقبة عمل الموظفين وانتظامهم في العمل انظر. يُنظر: عفيفي، محمد، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني: ص87.

(3) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين: ص267.

(4) يُنظر: البتنوني، محمد لبيب (ت 1357هـ/ 1938م)، الرحلة الحجازية، ط2، مطبعة الجمالية، القاهرة، 1329هـ/ 1911م: ص136.

المخيش المذهب مكتوب فيه بالخط العربي الجميل آيات قرآنية، كتبها مع غيرها من أعمال الكسوة الشريفة (في زمن المرحوم إسماعيل باشا[1] خديوي[2] مصر) الخطاط الطائر الصيت النادرة النابغة المرحوم عبد الله بك زهدي[3] أحسن الله إليه ومكتوب على الحزام من الجهة التي فيها باب الكعبة (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا

---

(1) إسماعيل بن إبراهيم باشا: ثاني ثلاثة أنجال إبراهيم باشا ابن محمد علي المكدوني مولدًا، والمصري قلبًا ومطامع وجهادًا، ولد في 31 ديسمبر عام 1830م/ 1246هـ. أصيب برمد صديدي، عجز الأطباء بمصر عن مداواته، فأُرسل إلى فينّا، وهو في الرابعة عشر من عمره، ليعالج فيها، ويربى في الوقت عينه تربية أوروبية، فقضى هناك عامين تحسنت صحته فيهما تحسنًا بينًا، فأمر جده بانتقاله إلى المدرسة المصرية في باريس، وهي دار تربية أسسها في تلك العاصمة محمد علي باشا عينه، وتولى بعده الملك فؤاد الأول. يُنظر: الأيوبي، إلياس، تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا من سنة 1863م إلى سنة 1879م، (د. ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 1433هـ/ 2012م: ص45 – 46.

(2) خديوي: وخِدْيو بمعنى السيد شاعت في مصر عام ١٢٨٤هـ/ 1867م، حين منح السلطان العثماني عبد العزيز هذا اللقب لإسماعيل باشا (١٢٨٥ – ١٢٩٧هـ/ 1868 – 1879م) المنحدر من محمد علي باشا، وذلك بعد أن عرض إسماعيل باشا على السلطان أن يلقب بـ (عزيز) لكنه لأسباب عدة منح لقب خديو بدلًا من عزيز. يُنظر: الحلاق، حسان وصباغ، عباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبيَّة والمملوكيَّة والعثمانيَّة ذات الأصول العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، جُمادى الآخرة 1420هـ/ سبتمبر 1999م: ص81 – 82.

(3) عبد الله الزهدي: كانت له شهرة عظيمة بين الخطاطين ويعد من أساتذة الخط المعروفين في زمنه، ولما له من المكانة الأدبية بكتابة الحرمين والكسوة بالحجاز وسبيل أم عباس بالقاهرة، استمر عبد الله بك يخدم الخط ويجوده حتى توفي بمصر عام (1296هـ/ ١٨٧٨م)، يُنظر: أحمد، يوسف، المحمل والحج: 1/ 83.

تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾)[1]، ومكتوب في الجهة التي تليها من جهة الحجر الأسود (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾[2])، (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾) ومكتوب في الجهة المقابلة للمقام المالكي ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ومكتوب في الجهة الرابعة وهي التي بها الميزاب (في أيام دولة مولانا السلطان الأعظم ملك ملوك العرب والعجم السلطان محمد الخامس خان ابن السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان الغازي ابن السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان عثمان خان خلد الله تعالى ملكه)[3] والكسوة الشريفة تعمل في مصر سنويًا بدارٍ فسيحة الخرنفش، وإدارتها موكولة لمديرها عبدالله فائق بك الذي رقيت الكسوة في مدته رقيًّا ظاهرًا باهرًا بالتحسينات التي يدخلها عليها من آن إلى آخر. ومصاريف الكسوة في ذلك الوقت كانت تصرف من المالية وميزانيها سنويًا 4550 جنيهًا مصريًا[4].

(1) سورة البقرة: آية 128

(2) سورة آل عمرآن: آية 96

(3) البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية: ص137.

(4) يُنظر: نفسه: ص137.

# المبحث الثاني

## الأسرة العلوية

## موقف محمد علي باشا من القرى الوقفية

لما تولى محمد علي باشا[1] حكم مصر ذكر في فرمان التولية، الذي تضمن مفاخر هذه الأسرة وامتيازاتها، أن على خزينة مصر القيام بالنفقات السنوية التي تقوم بها عادة للحرمين الشريفين، وقد قام كل خديوي منذ ذلك الوقت بهذا الواجب، كفرض محتم عليهم، لم يتوانَ في أدائه واحد منهم. واستمروا على إرسالها إلى الكعبة الشريفة، مع ركب المحمل[2] كشعيرة من الشعائر. وكان

(1) محمد علي باشا: ولد محمد علي بن إبراهيم أغا بقولة عام (1182هـ/ 1769م)، وكان أبوه أحد قادة الحامية في تلك المدينة إلى أن مات في عام (1186هـ/ 1773م)، فقام برعايته عمه طوسون أغا حاكم المدينة إلى أن قتل، فأخذه أحد أصدقاء والده، ورباه تربية عسكرية، حتى أصبح أحد جنوده، ثم قائدا للحامية بتلك المدينة. استدعي محمد علي باشا إلى الحملة التي بعثت بها الدولة العثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر عام (1216هـ/ 1801م)، وانتصرت قوات الدولة بمساعدة الإنجليز في موقعة أبو قير، ودخلوا مصر وأخرجوا الحملة الفرنسية، ورقي محمد علي بعد ذلك إلى رتبة سر ششمة. يُنظر: إسماعيل، محمد حسام الدين، مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل 1805 – 1879م، (د. ط)، دار الأوقاف العربية للنشر، القاهرة، 1417هـ/ 1997م: ص53 – 54. اشترك محمد علي باشا في الحملات التي كانت توجهها حكومة المدينة المنورة لتعقب قاطعي الطرق، أو لتحصيل أموال الدولة، وقد تولى قيادة بعض الحملات وأبدى براعة استرعت نظر الوالي الذي قربه منه، وفي (يوم الإثنين 13صفر 1220هـ/ 13 مايو1805م) اختار زعماء الشعب المصري محمد علي واليًا للبلاد، وألبسه السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي خلعة الولاية. يُنظر: عبد المنعم، صبحي وسليمان، عبد الحميد، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، (د. ط)، مكتبة الرشد، الرياض، 1425هـ/ 2004م: ص194 – 197.

(2) محمل الحج: من رموز سيادة السلطان على الحرمين، اتخذ كشعار منذ بداية العصر المملوكي، والمحمل كالمحفنة يحمله بعير يتقدم قافلة الحج لا يركبه أحد ولا يستخدم إلا لهذه الغاية. في أعلاه قبة وعلم كان يزين بالذهب والجواهر. أول من أمر بتجهيزه على

كل (خديوي) منهم يرسلها باسمه، عند توليه حتى عامي (1332هـ/ 1913م – 1333هـ/ 1914م)، وذلك عقب إعلان الحرب العالمية الأولى، فمنعت الحكومة الإنكليزية إرسال المحمل المصري إلى الحجاز، بسبب انحياز الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا وحلفائها، ولكنها، أي: إنكلترا كانت تسمح بإرسال الكسوة والصرة[1] فقط، فكان مأمور المحمل الملكي وإمامة يحملون الكسوة والصرة فيأتون بها إلى مرفأ (جدة)، حيث يسلمونها إلى وكيل أمير مكة، ثم يقفلون إلى مصر راجعين. وقد كانت العادة المتبعة إلى عام (1332هـ/ 1914م)، أن يكتب اسم السلطان العثماني فقط على الحزام، وفي عام (1333هـ/ 1915م)، أضيف إلى جانب اسم السلطان العثماني هذه العبارة (والآمر بها السلطان الكامل حسين) إشارة إلى السلطان حسين كامل الذي تولى السلطنة المصرية، وقد كسيت الكعبة بهذه الكسوة بعد أن نزعت عنها الحكومة المحلية في الحجاز العبارة المذكورة، وفي عام (1334هـ/ 1916م)، كان الملك حسين بن علي ملك الحجاز قد أعلن الثورة ضد الدولة العثمانية التي كانت

---

هذا النحو الملك الظاهر بيبرس عام (670هـ/ 1271م)، وقد استمر العمل به إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى. وألغي هذا التقليد في أعقاب الخلاف بين الحكومتين المصرية والسعودية، بسبب ما كان يرافق المحمل من مظاهر تتعارض مع روح العقيدة الإسلامية، كالعزف الموسيقي وأعمال الرقص التي كان يقوم بها أهل الجذب والدراويش، وكلها من وجهة نظر الفقهاء من البدع الضالة. يُنظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة: ص390. يُنظر ملحق1 في آخر البحث.

(1) الصرّة: وتكتب في بعض المراجع الصر، أموال كان السلطان العثماني يرسلها إلى أمراء مكة وأشراف الحجاز في مواسم الحج لإنفاقها على العلماء والفقراء في الحرمين المكي والمدني، كما كان يُرسَل قسم منها إلى شيوخ القبائل لضمان عدم اعتدائهم على قافلة الحج. ويطلق على حاملها لقب: الصرة أميني الذي كان ينطلق حاملاً هذه الأموال في 12 رجب من كل عام لإيصالها إلى أصحابها قبل مرور قافلة الحج. يُنظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة: ص289 – 290.

في عام (1334هـ/ 1916م)[1]، أرسلت للكعبة كسوة خارجية مع الشريف علي حيدر باشا) لإكساء الكعبة عند استرداد مكة، فبقيت الكسوة في المدينة المنورة إلى عام (1341هـ/ 1922م)، فجلبها الملك حسين من هناك وكسا الكعبة بها، ولما ولى السلطان فؤاد الأول في (22 ذي الحجة عام 1335هـ/ 9 أكتوبر عام 1917م) أمر بصنع كسوة جديدة يكتب عليها اسم عظمته بدلًا من تلك التي كانت تحمل اسم السلطان حسين. وعمل للمحمل كسوة جديدة بدلًا عن كسوته التي كانت باسم الخديو السابق صاحب السمو (عباس حلمي الثاني) وظلت باسم عظمة السلطان فؤاد حتى عام (1341هـ/ 1922م) أبدلت برسم صاحب الجلالة الملك (فؤاد الأول)[2].

## القرى الوقفية على التكايا والزوايا

### تكية[3] وقف الخاصكية القديمة:

سميت تكية الخاصكية القديمة في الوثائق المصرية باسم (تكية المدينة المنورة)[4]، وعُرفت أيضًا بوقف الخاصكية الكبرى، وأصل كلمة خاصكية: Haseki من خاص أسكي، أي: «القديم الخاص»، ولذلك فقد أُطلق لفظ «خاصكي» بالمعنى العام على منسوبي الأندرون[5] القدماء العاملين في مختلف

(1) يُنظر: أحمد، يوسف، المحمل والحج: 1/ 261.

(2) يُنظر: نفسه: 1/ 261.

(3) التكية: لفظ تركي أطلق على رباط الصوفية. يُنظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ص110.

(4) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين: ص368.

(5) الأندرون:: Alandron وهو الجهاز المتأصل في الدولة العثمانية اعتبارًا من القرن التاسع الهجري/ أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، بعد المدارس التقليدية المعروفة، وكان التقليد المتبع بعد جمع الأطفال (دَوْشيرمة) الانكشارية من بيع العائلات المسيحية لهم،

المجال الخدمي، وخاصة الجهاز التعليمي الثاني الخاص بأطفال الانكشارية، وقيل إنَّ المسمى أُطلق على الجواري اللاتي وجدن القبول من السلطان، وقيل لفظ خاصكي أُطلق على جماعة السلطان الذين يدخلون عليه في أوقات خلوته وفراغه، ويقومون بخدمة القصر والإسطبل، ويتميزون عن غيرهم في الخدمة بحملهم سيوفَهم، وكان لباسُهم على الطراز المزركش[1]، وسميت الخاصكية أيضًا بوقفية زوجة السلطان سليمان القانوني (900 - 975هـ/ 1512 - 1566م)، (خاصكي سلطان)، وقد أوقفت زوجة السلطان عام (924هـ/ 1542م) 78,82 فدان في مصر على أهالي الحرمين الشريفين، وذلك لإنشاء تكيتين في مكة المكرمة والمدينة المنورة[2].

وأصدرت زوجة السلطان أمرًا بإنشاء سفينتين في السويس[3] لنقل احتياجات

---

وهم بأعمار مختلفة، بأن تقوم الدولة أولًا بتسليمهم لبعض العائلات التركية المسلمة، فيتعلمون اللغة التركية ومبادئ الدين الإسلامي والآداب والسلوك، ثم يجري بعد ذلك وضع هؤلاء العجمية في أحد القصور الحديثة، مثل سراي غلطة وسراي أدرنة وسراي إبراهيم باشا وسراي إسكندر جلبي. يُنظر: أوغلي، أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، ط2، مركز الأبحاث التاريخية للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، إرسيكا، 1432هـ/ 2011م: 1/ 159.

(1) يُنظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية: ص95.

(2) يُنظر: عبد المعطي، حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية في القرن 18م، (د. ط) الهيئة العامة للكتاب، فرع الصحافة، القاهرة، 1412هـ/ 1991م: ص278.

(3) السويس: تعتبر إحدى محافظات إقليم القناة وسيناء، وتقع شرق الدلتا شمال خليج السويس وعلى المدخل الجنوبي لقناة السويس، يحدها شمال محافظة الإسماعيلية ومحافظة شمال سيناء، وجنوب منطقة البحر الأحمر، وشرق محافظة جنوب سيناء، وغرب القاهرة والجيزة. وفي السويس ميناء عملاق بمنطقة العين الساخنة، وتم بناء سفن للصيد داخل خليج السويس. يُنظر:
www sis. gov eglar /Templates /Articles /Tmp

التكيتين ولوازمهما من السويس إلى ينبع وجدة، وخُصص على وقف الخاصكية الكبرى (20 ألف) إردب[1] من الغلال تُرسل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة[2] كل عام، فضلًا عن السمن والأرز والبصل وغيرها من لوازم عمل التكية[3].

ويُبرز عملُ زوجة السلطان دورَ النساء الفعَّال وإسهامهن في أعمال البر والخير في عهد الدولة العثمانية التي تكالبت عليها الافتراءات والادعاءات لهدرها حقوق المرأة المسلمة، وهذه الأعمال تدل على مدى سلطة المرأة التي تستطيع أن تأمر ببناء سفينتين، وهذا ليس بالأمر السهل أو البسيط، لما له من إجراءات مالية وروتينية حتى تبنى سفن تحمل هذه الغلال، مما يرد على الافتراءات والادعاءات على الدولة العثمانية، وما أُلحق بسمعة الدولة من إهدار للأموال على لهو السلاطين وملذاتهم. ومن اللافت للنظر تجاهل كثير من المؤرخين الأعمالَ الخيرية للدولة العثمانية، وتسليط الضوء فقط على السلبيات، أما الإيجابيات فقد تجوهلت، وأَهملت بعضُ المصادر دور إبراهيم باشا خلال ولايته لمصر (1081هـ - 1084هـ/ 1670م - 1673م) وما قام به من تنظيمات واسعة لأوقاف الحرمين الشريفين وغلالها، ومنها أنه:

- أمر باستقطاع تكية الخاصكية في مكة لصالح وقف الخاصكية الصغرى، الذي وسع من أوقافها بصورة كبيرة.

(1) الإردب: إردب: نوع من الموازيين المستخدمة في مصر سعته أربعة وعشرون صاعًا، يُنظر، الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ص23. أما الذي في الحجاز فيساوي مئة وعشرين أوقية، وكان يساوي تسعة أكيال حسب الكيل الإستانبولي القديم. يُنظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية: ص28.

(2) يُنظر: عبد المعطي، حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية في القرن 18م: ص278.

(3) يُنظر: نفسه: ص278.

- وأمر بإعادة بنائها لتنتهي في عام (1085هـ/ 1674م)، كما منح وقف الخاصكية الصغرى سفينة من سفينتي الخاصكية الكبرى.

- حوَّل المبلغ المخصص لمكة المكرمة إلى أغوات الكعبة، أما تكية الخاصكية في المدينة فقد ظل وقف الخاصكية الكبرى يرسل إليها بجميع لوازمها واحتياجاتها.

## تكية السلطان مراد الثالث[1]: «وقف الدشيشة[2] الصغرى»:

جعل السلطان مراد الثالث بن سليم الثاني[3] (ت 1003هـ/ 1595م) دشيشة لأجل فقراء المدينة الشريفة، ووقف عليها أوقافًا كثيرة وبها النفع التام لأهل

(1) السلطان مراد الثالث: بن سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول، ولد عام (953هـ/ 1544م)، وجلس على العرش عام 982هـ في أول رمضان، وكان يبلغ من العمر 29 عامًا، وامتدت سلطنته حتى عام (1003هـ/ 1594م)، في أول جلوسه أعطى 110 آلاف ذهبًا للوزراء وفرق الجيش و«اليكيرجيين» لاستجلاب محبتهم له، وهذه العطية جلبت الأخطار؛ لأنه ترتب عليها أنها صارت عادة، وأنَّ من تأخر عنها من السلاطين كان يرى التعب من اليكيجريين وغيرهم من أصحابها، حتى صاروا يتمنون تجديد السلاطين لأجل هذه العادة ويسعون في ذلك. يُنظر: حليم، إبراهيم بك، الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمة)، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1422هـ/ 2002م: ص141.

(2) الدشيشة: هي طعام مصنوع من القمح، كان يُرسل من الجرايات إلى أهل الحرمين الشريفين ليُطعَم به الفقراء والمستحقين من العاملين عليها وغيرهم في العصرين المملوكي والعثماني. يُنظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ص182.

(3) مراد الثالث: كان قبل اعتلائه العرش واليًا على آق شهير وساروهان (مانيسا)، وأول أعماله هو ترميم الكعبة المشرفة، وقد جدد ولاية الصدر الأعظم محمد سوكولو باشا الذي عمل من قبل في المنصب نفسه تحت حكم أبيه وجده، وبالتالي أصبح محمد سوكولو باشا رجل الدولة الأول والوحيد في التاريخ العثماني الذي يمتد منصبه الإداري كصدر أعظم على مدى ثلاث فترات حكم لثلاثة سلاطين مختلفين لقد كان دور سوكولو في الإدارة من العمق بحيث سميت فترة ولايته فيما بعد بـ حقبة سوكولو. يُنظر: كولن، صالح، سلاطين الدولة العثمانية: ص130 - 131.

المدينة[1]، فلقد أوقف السلطان مراد الثالث وقفًا ضخمًا ضم مساحات كبيرة في إحدى وعشرين قرية مصرية في أقاليم القليوبية[2]، والجيزة[3]، والغربية[4]، والدقهلية[5]،

(1) امتد الاهتمام بإنشاء الأوقاف إلى الحرمين الشريفين والقائمين عليه من الموظفين والعمال، حيث رتب الخليفة عدلي محمود الثاني ابن السلطان عبد الحميد الأول (ت 1255هـ/ 1839م) «مرتبات للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين، وللقائمين بخدمة المسجدين الشريفين، مثل: المؤذنين، والفراشين، والكناسين، والبوابين، وجعل للجميع مرتبات جزيلة من النقود الجليلة، بعضها شهريات وبعضها سنويات، واشترى لذلك عقارات كثيرة». يُنظر: السرجاني، راغب، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، ط1، نهضة مصر، القاهرة، 2010م: ص145.

(2) القليوبية: من أقاليم الوجه البحري بمصر استحدثت في سنة 715هـ/ 1315م، بمرسوم من الملك الناصر محمد بن قلاون لما أمر بعمل الروك الناصري، وكانت نواحيها قبل ذلك تابعة لإقليم الشرقية ثم فصلت عنها باسم الأعمال القليوبية نسبة إلى مدينة قليوب التي كانت قاعدة لها، في سنة 933هـ/ 1527م، أطلق عليها اسم ولاية القليوبية، ثم مأمورية القليوبية في سنة 1826م وفي سنة 1833م، صدر أمر عالٍ بتسمية المأموريات باسم مديريات فسميت مديرية القليوبية، وقاعدتها الآن مدينة بنها. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الثاني: 1/ 19.

(3) الجيزة: كانت في عهد الفراعنة والبطالمة والرومان، ثلاثة أقسام منفصلة بعضها عن بعض، وهي قسم أوسيم وقسم منف وقسم أطفيح، وبقي هذا التقسيم أيام العرب أيضًا. إلى أن استولت الدولة الفاطمية على مصر، فجعلت قسمي أوسيم ومنف قسمًا واحدًا باسم الجيزية، مع بقاء أطفيح قسمًا قائمًا بذاته. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية: القسم الثاني، 3 / 6.

(4) الغربية: تكونت بهذا الاسم في عهد الدولة الفاطمية، وأطلق عليها الغربية لوقوعها غربي فرع النيل الشرقي، وفي سنة 715هـ/ 1315م، سمين ولاية الغربية، وفي سنة 1826م قسمن إلى خمس مأموريات، وفي سنة 1833م جعلت إقليمًا واحدًا باسم مديرية الغربية. يُنظر: رمزي، محمد القاموس الجغرافي للبلاد المصرية: القسم الثاني، 2/ 8.

(5) الدقهلية: تكون إقليم الدقهلية باسمه الحالي في عهد الدولة الفاطمية، وكان قبل ذلك مقسمًا إلى كور صغيرة كل كورة قائمة بذاتها ثم ضم بعضها إلى بعض وسميت الدقهلية نسبة لقاعدتها دقهلة. وكان يجاور إقليم الدقهلية من الجهة الشمالية كورة الأبوانية، وهي

والبحيرة[1]، والمنوفية[2]، وقد أوقفها السلطان مراد الثالث (982 – 1003هـ/ 1574–1594م): على مدرسة لتحفيظ القرآن وسبيل ماء ضخمًا في مكة المكرمة وعمل سحابة[3] بصحبة موكب الحج المصري لراحة الحجيج. وكان على

إقليم المنزلة الحالي نسبة لقاعدتها أبوان التي خربت بسبب طغيان بحيرة المنزلة عليها، وكانت منطقة صناعية آهلة بالسكان، وقد اختفت هذه الكورة من الأقسام الإدارية المصرية في الروك الناصري سنة 715هـ/ 1315م وضمت بلادها إلى إقليم الدقهلية. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الثاني، 1/ 26.

(1) البحيرة: كانت تسمى باسم كورة البحيرة، وفي أيام الدولة الفاطمية أضيف إليها كور أخرى مجاورة لها، فصارت إقليمًا كبيرًا باسم البحيرة، وفي سنة 715هـ/ 1315م، أطلق عليها أعمال البحيرة، وفي سنة 933هـ/ 1527م سميت ولاية البحيرة، وفي سنة 1833م أصبحت تسمى مديرية البحيرة وقاعدتها مدينة دمنهور. ينظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية: القسم الثاني، 2/ 20.

(2) المنوفية: تكونت بهذا الاسم في عهد الدولة الفاطمية، نسبة إلى منوف التي كانت قاعدة لها، وكانت قبل ذلك مقسمة إلى كور ضم بعضها إلى بعض، وفي سنة 715هـ/ 1315م سميت الأعمال المنوفية، وفي سنة 933ه – 1527م سميت ولاية المنوفية، وفي سنة 1826م أطلق عليها اسم مأمورية المنوفية، وفي سنة 1833م سميت مديرية المنوفية، وقاعدتها الآن شبين الكوم. يُنظر: رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، 2/ 15.

(3) سحابة ماء: مثل السقاية تحمل مع المحمل حتى يشرب الحجاج، والسحابات هي بمثابة أوعية تُملأ بالمياه لإرواء العطشى في كل مكان ترحل إليه قافلة الحج، ولقد قام العديد من سلاطين المماليك والأمراء الأتراك بتوفير تلك السحابات لترافق ركب الحجاج في أثناء الذهاب للحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن بين السلاطين الأتراك الذين عنوا بهذا العمل السلطان الظاهر أبو سعيد برقوق (784 – 801هـ/ 1382 – 1398م) الذي كان يوفر سحابة تسير مع قافلة الحجاج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة سنويًّا لإرواء الحجيج، وكان يُصرف للحجاج كل ما يلزمهم من الماء والزاد. يُنظر: قمر، محمد أحمد محمد، المنشآت الخيرية والاجتماعية للسلاطين والأمراء الأتراك بالحرمين الشريفين في العصر المملوكي، جامعة الزقازيق، المؤتمر الدولي الخامس «العرب والترك عبر العصور»، جامعة قناة السويس، الإسماعلية، دار المنظومة الإلكترونية، 4 6 مارس 2013م: ص641.

وقف المرادية إرسال 22.000 إردب من الغلال في كل عام، وكانت تُشحن مع كميات كبيرة من السمن والبصل والأرز والعدس[1]، حتى أصبحت التكية جامعة لأوصاف الكمال، حاوية لأنواع النعم للواردين والنازلين والفقراء والمساكين والمسافرين، مفتحة لهم الأبواب، كذلك فقد سُمح للفقراء أن يأكلوا منها ويبيتوا فيها[2]. كما كانت تُشحن كميات كبيرة من المواد الغذائية إلى ينبع ثم منها إلى المدينة المنورة لتكية الوقف بها، وكان السلطان مراد الثالث قد أمر بوقف سفينة لحساب الوقف في البحر الأحمر لنقل احتياجات التكية في كل عام من السويس إلى ينبع، كما رصد مبلغ 170,000 بارة[3] لعمليات نقل الحبوب من بولاق[4] إلى السويس، ومنها إلى ينبع[5]. واشترط السلطان مراد الثالث شروطًا كثيرة

(1) يُنظر: عبد المعطي، حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية في القرن 18م: ص279.
(2) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين: ص369.
(3) بارة Para: الاسم العام للنقد أو الفلوس والدراهم، وهو في الأصل نقد معدني مضروب في عهد السلطان مراد الرابع كان أكثر بقليل من خمسة قراريط، وكانت الآقجة الواحدة في عهد السلطان محمد الفاتح تساوي ثلاث بارات، وكذلك في عهد السلطان أحمد الثالث. وكان القرش الواحد يساوي أربعين باره وزنته اثناعشر قيراطا من الفضة. وكانت على فئتين فئة العشرين بارة وفئة العشرة بارة. وضرب في عهد السلطان سليم الثالث فئة المئة بارة والخمسين بارة. وكان القرش الواحد في عهد محمود الثاني يساوي أربعين باره، والبارة الواحدة ثلاث آقجات والآقجة الواحدة ثلاثة بول (أي طابع). يُنظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية: ص51.
(4) بولاق: أصل كلمة بولاق اختلف الناس في معنى بولاق، فبعضهم قال: إن أصل الكلمة هو (بو) أي الجميلة بالفرنسية (ولاك) تعني بحيرة، أي أن معنى الكلمة (البحيرة الجميلة)، ثم تحريفها من بولاك إلى بولاق، ولكن لا يوجد ما يؤكد هذا، حيث إن بولاق كانت موجودة قبل الحملة الفرنسية، ويرجح بعضهم أن أصل تكوين منطقة بولاق، يعود إلى غرق سفينة كبيرة في هذا الموقع، ثم مع إطماء النيل بكثرة في هذه المنطقة، بدأت الأرض تعلو، وتتكون أرض جديدة هي بولاق الآن، وكانت الجزيرة المقابلة لها - وهي جزيرة الزمالك الآن - يطلق عليها اسم جزيرة بولاق. https: //ahlmasrnews. com/770203
(5) يُنظر: عبد المعطي، حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية في القرن 18م: ص279.

حتى لا تهمل ولا تحرق التكية، منها:

أن يُطبخ كل يوم في مطبخها مئتان وستون أوقية[1] من لحم الغنم. ويُطبخ لمرقة أرز الغداء سبعة أكيال من الأرز المنقى. ولمرقة الحنطة ستة أكيال من البر، وعَيَّن لخبزها كل يوم خمسة وعشرين كيلًا من الدقيق البر الخالص، كما شرط أن يخبز هذا المقدار بلا نقصان، ويصرف إلى الفقراء، وحدد السلطان مراد الثالث شروط الوقف وما يصرف في كل يوم، كما حدد ما يصرف على هذه الأطعمة من وقود وماء وملح وعسل[2].

### وقف الدشيشة المحمدية:

أُسس هذا الوقفَ السلطانُ محمد الثالث[3] (1003 - 1012هـ/ 1594 - 1603م)، أوقف مساحات مختلفة في حوالي 26 قرية مصرية من قرى الدقهلية، والمنوفية، والشرقية، والقليوبية، والفيوم، والغربية، وسميت هذه الأوقاف بالأوقاف المحمدية، كما قرر إنشاء تكية بالمدينة المنورة فضلًا عن توزيع كميات من الغلال العينية على أهالي مكة المكرمة، وكان وقف المحمدية يرسل

(1) أوقية: ثقل يساوي أربعين درهم، وحديث تعادل 10 دراهم وخمسة أسباع الدرهم، وقيل إنها تساوي 1/ 12 من الرطل المصري، حيث يساوي الرطل 444. جرام تقريبًا. مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. يُنظر: بدر، عبد الباسط، المدينة المنورة في الوثائق العثمانية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 1423هـ: 2/ صفحة المقدمة (م).

(2) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين: ص369.

(3) السلطان محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني بن سليمان القانوني (974 - 1012هـ/ 1566 - 1603م) امتد حكمه في المدة ما بين عامي (1003 - 1012هـ/ 1595 - 1603م)، وكان عمره حين توج على العرش 29 عامًا. قتل جميع إخوته الذكور وعددهم 19 أميرًا، كما قضى على أتباع السراي السلطانية. يُنظر: ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1416هـ/ 1996م: ص102.

في كل عـام حوالـي 99.000 إردبًا من الغلال، يرسـل منها إلـى أهالي مكة المكرمة 2.624 إردبًا، وكان يستقطع منهـا 500 إردب إلـى شـريف ينبـع وأقاربـه، في حيـن كان يرسَـل الباقـي لتكيـة المحمديـة بالمدينـة المنـورة، ومـن هنـا فقـد امتلـك وقـف المحمديـة مركبيـن في النيـل لنقـل الغـلال والحبـوب مـن الأقاليم إلى شـونة الوقف في بـولاق، حيـث تنقـل علـى ظهـور الجمـال إلـى شـونة السـويس[1]، تمهيـد لنقلهـا إلـى الحجـاز، واللافـت للنظـر أنَّ الوقـف كان يتحمـل جميـع مصاريـف عمليـات النقـل، حتـى نقـل الغـلال مـن ينبـع إلـى المدينـة المنـورة، ووصـل قيمة نقـل الغـلال عـام (1088هـ/ 1677م) إلـى 236,500 بـارة، فضـلًا عـن ذلك كان علـى الوقف إرسـال صُـرّة نقدية للحرميـن الشـريفين أيضًـا، وكانت تبلـغ 260,800 بـارة في كل عـام، منهـا (166,0) بـارة مخصصـة لأهالـي المدينـة المنـورة[2].

## تكية السلطان أحمد[3]:

أنشـأ السـلطان أحمـد هـذه التكيـة وغيرهـا مـن المنشـآت الأخـرى، وجعـل عليهـا

(1) السويس: تعتبر إحدى محافظات إقليم القناة وسيناء، وتقع شرق الدلتا شمال خليج السويس وعلى المدخل الجنوبي لقناة السويس، يحدها شمال محافظة الإسماعيلية ومحافظة شمال سيناء، وجنوب منطقة البحر الأحمر، وشرق محافظة جنوب سيناء، وغرب القاهرة والجيزة. وفي السويس ميناء عملاق بمنطقة العين الساخنة، وتم بناء سفن للصيد داخل خليج السويس. www sis. gov eglar /Templates /Articles /Tmp

(2) يُنظر: عبد المعطي، حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية في القرن 18م: ص282.

(3) السلطان أحمد الأول: بن محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني ولد عام (998هـ – 1590م) وتوفي عام (1062هـ – 1617م)، وتولى الحكم بعد وفاة والده وعمره 14 عامًا في عام (1012هـ/ 1603م)، ولم يجلس أحد قبله من سلاطين آل عثمان على العرش في هذا السن، وكان قد اتصف بحب الخير، فأقام لأهل الحرمين الشريفين عمارة البيت وكسوة الكعبة والبيت الحرام والحجرة النبوية الشريفة، وأصلح مآثر كثيرة بمكة، كما أنشأ وقفًا من قرى مصر على خدام الحرمين الشريفين. يُنظر: ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث: ص104.

الأوقاف، وكان يرسل سنويًّا لهذه التكية في المدينة المنورة مبلغًا قدره 79,960 من الأنصاف الفضية، وذلك خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[1].

| م | العاملون في التكية المرادية وكانت المصروفات المخصصة للعاملين بالتكية موزعة كما يأتي[2] | مصروفاتهم اليومية |
|---|---|---|
| 1 | المشرف على الطباخين والطهي والذي ينظر في أمور الطعام في وقت التوزيع | 6 دراهم[3] |
| 2 | شيخ العمارة أي التكية | 3 دراهم |
| 3 | الرجال القائمون على حراسة لحوم التكية من الضياع | 3 دراهم |
| 4 | رئيس الطباخين المعيَّن على رأس 5 من الطباخين | 6 دراهم |
| 5 | الطباخون الخمسة، لكل واحد منهم | 4 دراهم |
| 6 | الكلاري الذي يقوم بحفظ الحوائج | 10 دراهم |
| 7 | حملة اللحم والدقيق | 3 دراهم |
| 8 | الطحان المسؤول عن طحن الدقيق | 6 دراهم |

(1) يُنظر: بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين: ص370 – 371.

(2) يُنظر: فهمي، سميرة علي، إمارة الحج في مصر العثمانية 1517م – 1798م، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م: ص48.

(3) الدرهم: من أنواع العملات المعدنية التي تداولها العرب المسلمون منذ بداية العصر الإسلامي، اشتق اسمها من الأصل اليوناني (دراخمة Drachma)، جاءتهم عن طريق الفرس. والدرهم مصكوك من الفضة والنحاس. يُنظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ص179 – 180.

| | | |
|---|---|---|
| 9 | رئيس الخبازين | 8 دراهم |
| 10 | الخبازون الأربعة العاملون في التكية، لكل واحد منهم | 5 دراهم |
| 11 | السقا المختص بالماء | 6 دراهم |
| 12 | مغربل الحبوب | 4 دراهم |
| 13 | من يقوم بحراسة مخزن الحنطة | درهمان |
| 14 | المخصص لدق الحنطة | 4 دراهم |
| 15 | من يقوم بحفظ مخزن الحطب | 4 دراهم |
| 16 | الرجال الذين يختصون بتنقية الأرز والحنطة، وعددهم 6 | درهمان |
| 17 | المختصون بغسل المراجل والأواني، وعددهم 4 أفراد، لكل فرد منهم | 4 دراهم |
| 18 | الفراشون، وعددهم 2 | 4 دراهم |
| 19 | المخصصون لرفع القمامة | درهمان |
| 20 | المختصون بتشغيل السراج في التكية | درهمان |
| 21 | نجار قادر على ترميم بناء التكية وسد ثقبات العمارة (التكية) | 6 دراهم |
| 22 | الرجال العاملون في السقاية، وعددهم أربعة، لهم (لكلهم أم للواحد منهم؟ | 10 دراهم |

# ملحقات



ملحق1: لآخر مواكب المحمل المصري



ملحق2: لموكب نقل ثوب مقام إبراهيم

## الخاتمة

خرج البحث بالنتائج الآتية:

- لقد خدمت القرى الوقفية المصرية المدينتين المقدستين زمنًا طويلًا وقدمت لقاطني الحرمين الكثير والكثير، وهذا ما يكسبها أهمية في استمرارية عمل التكايا والزوايا في الدولة العثمانية ودورها الاقتصادي على مدى عصور الدول الإسلامية.
- بعد النظر الاقتصادي للدولة العثمانية في اختيار قرى وضياع وقفية تساهم في استمرارية عمل المنشاة الخيرية، على الرغم من استمرار الدولة العثمانية في توسعاتها العسكرية مما ينتج صرف الكثير من الأموال في الأمور العسكرية.
- لم يتوقف وقف القرى والضياع على السلاطين والقادة، بل كان للمرأة دور في ذلك زمن الدولة العثمانية.
- عظم حجم الأوقاف في الدولة العثمانية وزيادة عدد القرى الوقفية على دور صناعة كسوة الكعبة المشرفة والحجرة الشريفة
- قيام محمد علي باشا بضم القرى الوقفية إلى الخزينة المصرية.
- واجهت الدولة العثمانية في آخر عهدها صعوبات كبيرة في إدارة الأوقاف المصرية، ولم تستطع منع التجاوزات المرتكبة بحق المؤسسات والقرى الوقفية؛ نتيجة كثرة القرى الوقفية التي شكلت جزءًا كبيرًا من الأراضي المصرية من جهة، وعدم دراية الإداريين العثمانيين، وقلة خبرتهم في إدارة الأوقاف المصرية من جهة أخرى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولًا – الكتب:

1. أحمد، يوسف، **المحمل والحج**، ط1، مطبعة حجازي، القاهرة، 1937م.
2. إسماعيل، محمد حسام الدين، **مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل 1805 – 1879م**، (د. ط)، دار الأوقاف العربية للنشر، القاهرة، 1417هـ/ 1997م.
3. أوغلي، أكمل الدين إحسان، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ترجمة: صالح سعداوي، ط2، مركز الأبحاث التاريخية للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، إرسيكا، 1432هـ/ 2011م.
4. الأيوبي، إلياس، **تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا من سنة 1863م إلى سنة 1879م**، (د. ط)، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مؤسسة 1433هـ/ 2012م.
5. باشا، إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية**، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د. ت).
6. البتنوني، محمد لبيب (ت 1357هـ/ 1938م)، **الرحلة الحجازية**، ط2، مطبعة الجمالية، القاهرة، 1329هـ/ 1911م.
7. بدر، عبد الباسط، **المدينة المنورة في الوثائق العثمانية**، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 1423هـ.
8. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت 256هـ)، **الجامع الصحيح = صحيح البخاري**، ط1، دار الشعب، القاهرة، 1407هـ/ 1987م.
9. بيومي، محمد علي فهيم، **مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من 923 – 1220هـ/ 1517 – 1805م**، (د. ط)، جامعة الأزهر، القاهرة، 1416هـ/ 1999م.
10. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
11. حلمي، إبراهيم، **كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجّاج**، مؤسسة أخبار اليوم عدد 320، القاهرة، 1415هـ/ 1994م.

12. حليم، إبراهيم بك، **الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمة)**، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1422هـ/ 2002م.
13. الحنفي، محمد بن أحمد إياس (ت 930هـ/ 1523م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، ط2، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1403هـ/ 1983م.
14. الرازي، محمد أبي بكر عبد القادر (ت 600هـ/ 1261م)، **مختار الصّحاح**، (د. ط)، مكتبة لبنان، بيروت، 1409هـ/ 1989م.
15. زكي، عبد الرحمن، **القاهرة تاريخها وآثارها** (969هـ - 1825م) **من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ**، (د. ط)، الدار المصرية للتأليف والترجمة - دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1386هـ/ 1966م.
16. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
17. السرجاني، راغب، **روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية**، ط1، نهضة مصر، القاهرة، 2010م.
18. عبد المعطي، حسام محمد، **العلاقات المصرية الحجازية في القرن 18م**، (د. ط) الهيئة العامة للكتاب، فرع الصحافة، القاهرة، 1412هـ/ 1991م.
19. عبد المنعم، صبحي وسليمان، عبد الحميد، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية**، (د. ط)، مكتبة الرشد، الرياض، 1425هـ/ 2004م.
20. عفيفي، محمد، **الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني** (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991م.
21. فهمي، سميرة علي، **إمارة الحج في مصر العثمانية 1517م - 1798م**، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م.
22. قمر، محمد أحمد محمد، **المنشآت الخيرية والاجتماعية للسلاطين والأمراء الأتراك بالحرمين الشريفين في العصر المملوكي**، جامعة الزقازيق، المؤتمر الدولي

الخامس «العرب والترك عبر العصور»، جامعة قناة السويس، الإسماعلية، دار المنظومة الإلكترونية، 4 – 6 مارس 2013م.

23. كولن، صالح، **سلاطين الدولة العثمانية**، ترجمة: منى جمال الدين، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 1435هـ/ 2014م.

24. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، **أصول التاريخ العثماني**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1402هـ/ 1982م.

25. ياغي، إسماعيل أحمد، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1416هـ/ 1996م.

## ثانيًا – المعاجم والموسوعات والدوريات العلمية:

26. الحلاق، حسان وصباغ، عباس، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبيَّة والمملوكيَّة والعثمانيَّة ذات الأصول العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، جُمادى الآخرة 1420هـ/ أيلول – سبتمبر 1999م.

27. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/ 1996م.

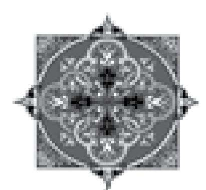
28. رمزي، محمد، **القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م**، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1415هـ/ 1994م.

29. صابان، سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية**، مراجعة: عبد الرزاق بركات، (د. ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/ 2000م.

30. المصري، حسين نجيب، **معجم الدولة العثمانية**، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1425هـ/ 2004م.

31. مهنا، هاني زامل عبد الإله، **حملة سليمان باشا الأرنؤوطي (الخادم) (945هـ/ 1538م) دراسة تحليلية لوثيقة عثمانية**، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن: دول مجلس التعاون لدولة الخليج عبر العصور، 2007م/ إبريل – ربيع الآخر.

32. www sis. gov eglar /Templates /Articles /Tmp



# مكانة العلماء في البنية السياسية بالدولة القاسمية في اليمن 1097 - 1251هـ/ 1686 - 1835م

أ. د. عويضة بن متيريك الجهني[1]
د. بندر بن مطلق العصيمي[2]

## ملخص البحث:

يتناول هذا البحث التحول الذي طرأ على مكانة العلماء في الدولة القاسمية باليمن بين عامي 1097 - 1251هـ/ 1686 - 1835م، ويتكون البحث من مقدمة تاريخية عن ظهور الإمامة القاسمية، ثم مبحثين رئيسين، الأول عن النظام السياسي في الدولة القاسميَّة وتركيبته البنيوية، وسيتناول الركيزة التي قامت عليها السلطة القاسمية وأسلوب الحكم، ثم يستعرض التركيبة البنيوية للنظام السياسي التي تتكون من الإمام، والأمراء القاسميين، والسادة العلويين، والعلماء، والزعامات القبلية، والأمراء المماليك، في حين يركز الثاني على العوامل التي ساعدت على بروز مكانة العلماء في البنية السياسية للدولة خلال الفترة التاريخية التي يتناولها البحث، وهي كالتالي: النهضة العلمية في اليمن، والمكانة الدينية والعلمية والاجتماعية للعلماء في الدولة والمجتمع، والتحاق العلماء بالعمل

(1) قسم التاريخ جامعة الملك سعود.

(2) وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية.

في وظائف الدولة الرسمية، ثم تحول الإمامة في الدولة القاسمية إلى سلطة وراثية وحكم أسري، وفي الخاتمة نظهر النتائج التي توصل إليها البحث، وأخيرًا قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

**الكلمات الدالّة (المفتاحية)**: الدولة القاسمية، علماء اليمن، المذهب الزيدي.

# The status of The Ulamaa in the political structure of the Qassimi state in Yemen (1097 - 1251 AH / 1686 - 1835 AD)

**Abstract**:

This paper deals with the transformation that took place in the status of the ulamaa in the Qassimi state in Yemen between the years (1097 - 1251 AH / 1686 - 1835 AD).

The paper is consisted of a historical introduction to the emergence of the Qasimiyya Imamate (Imamah) followed by two chapters، the first discusses the political system of the state including its base of power، style of governance and the structural composition of the political system which was mad of the Imam، the Qassimi princes، the Alawid Sayyids (alSadah)، the Ulamaa، tribal leaders، and the Mamluk princes.

The second chapter deals factors that helped in the emergence of the political role of the Ulamaa in the affairs of the state during the historical period. These factors include the educational renaissance in Yemen، the religious، educational and social position and role of the Ulamaa in the state and society، their employment in official position in the state and the transformation of the Imamate into hereditary family rule.

Findings of the research are in the conclusion followed. finally by list of sources.

**مقدمة:**

التف اليمنيون في شمال اليمن حول القاسم بن محمد بن علي الحسني، الذي تلقب بالمنصور وأعلن نفسه إمامًا في عام 1006هـ/ 1597م في ثورة ضد الحكم العثماني. وقد نجح الإمام المنصور القاسم بن محمد[1] وأبناؤه في إخراج العثمانيين من اليمن في عام 1045هـ/ 1635م بعد حروب طويلة، مؤسسين بذلك دولة زيدية جديدة في اليمن عرفت بالدولة القاسمية[2].

وتمكن الإمام المؤيد محمد بن القاسم (1029 - 1054هـ/ 1620 - 1644م)، والإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم (1054 - 1087هـ/ 1644 - 1676م) اللذان توليا الإمامة بعد والدهما على التوالي بمساعدة إخوتهما وبني إخوتهما من توحيد أقاليم اليمن جميعها في دولة واحدة[3].

وفيما عدا فترات حروب التوحيد، فقد شهدت اليمن خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) استقرارًا سياسيًا وهدوءًا أمنيًا وازدهارًا اقتصاديًا لم تشهده البلاد منذ فترة طويلة. فقد انحسرت

(1) توفي الإمام المنصور القاسم بن محمد في عام 1029هـ/ 1620م في أثناء صراعه مع العثمانيين، وخلفه في الإمامة ابنه الإمام المؤيد بن القاسم الذي واصل مع إخوته الصراع مع الولاة العثمانيين حتى أخرجوهم من اليمن.

(2) انظر: يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب، القاهرة، 1968م، ج2، ص821 - 833، وسيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن، جامعة صنعاء، صنعاء، 2006م، ص425 - 437، ص445.

(3) حسين بن عبدالله العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (922 - 1336هـ/ 1516 - 1918م)، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص56 - 57، سعيد عوض باوزير، صفحات من تاريخ حضرموت، دار الوفاق، عدن، 2012م، ص202، ص220.

الصراعات الإقليمية والقبلية وأمن الناس على أرواحهم وأموالهم، وانصرفوا إلى أنشطتهم الزراعية والتجارية والحرفية في ظل عدم تدخل الدولة كثيرًا في تلك الأنشطة، وقلة الضرائب والجبايات والتزام الدولة بتطبيق الشريعة الإسلامية، واقتصار جباياتها على الزكاة والعشور الشرعية(1).

وتميز الأئمة الثلاثة الأوائل في الدولة القاسمية: المنصور والمؤيد والمتوكل بتوفر شرطي العلم والاجتهاد فيهم، وهما من الشروط المهمة التي وضعها الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي(2) لتولي الإمامة الزيدية في اليمن منذ

(1) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين العمري، دار الفكر، دمشق، 2010م، ص164.

(2) الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي، ولد في بالمدينة المنورة في عام 245هـ/ 859م، ودرس وتفقه على عدد من علماء عصره، وانتقل إلى اليمن في عام 280هـ/ 893م، فوجد فيها أرضًا خصبة لنشر مذهبه، ثم عاد إلى الحجاز بعد أن صار له أتباع في اليمن. وبعد عودته للحجاز نشبت الفتن بين القبائل اليمنية، وحاول القرامطة إقامة دولتهم في اليمن، فقدم إلى الحجاز عدد من مؤيديه اليمنيين لإقناعه بالإمامة والعودة إلى اليمن، للقضاء على القرامطة والفتن التي نشبت بين القبائل، فقبل الهادي يحيى بالإمامة وعاد إلى اليمن، وقام بقتال القرامطة قتالًا شديدًا حتى كسر شوكتهم، كما نجح في القضاء على الفتن بين القبائل ووحد صفوفها، وقيل إن أمير اليمن أبا العتاهية الهمداني، هو من راسله وطلب منه القدوم إلى اليمن، فلم قدم بايعه مع بعض العشائر، فأسس دولته لتكون أول إمامة زيدية عرفها اليمن في عام 284هـ/ 897م، وقد اشتهر الإمام الهادي يحيى بالعلم الواسع، فألف كثيرًا من المصنفات في المذهب الزيدي، حتى بلغت أكثر من أربعين مصنفًا، ويعد واضع أساس الفقه الهادوي، وإليه تنسب الفرقة الهادوية الزيدية، توفي في صعدة عام 298هـ/ 911م، للمزيد انظر: يحيى بن الحسين الهاروني الحسني، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، ط4، مكتبة أهل البيت، صعدة، 1435هـ/ 2014م، ص86 – 100، وعمر بن علي بن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق أيمن فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، د. ت، ص79، وأحمد محمد صبحي، الزيدية، ط2، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1404هـ/ 1984م، ص139.

أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). ولذلك اتسمت فترة حكم أولئك الأئمة بالبساطة والزهد والعدل والالتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية في إدارة الدولة. كما اهتم أولئك الأئمة بنشر العلم الشرعي ورعاية طلبة العلم والعلماء، فانتشر العلم وزادت أعداد الهجر العلمية[1] وتكاثر العلماء وبرز علماء مجتهدون خلال تلك الفترة والفترات اللاحقة[2].

لكن شرط الإمام المجتهد أخذ في التراجع منذ نهاية القرن الحادي عشر الهجري (القرن السابع عشر الميلادي) حيث وصل إلى الإمامة أئمة معتمدين على انتمائهم للبيت القاسمي العلوي وعلى قدراتهم العسكرية والسياسية أكثر من اعتمادهم على العلم والاجتهاد. وكان أوضح مثل على ذلك، وصول الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم (صاحب المواهب) (1097 - 1130هـ/ 1686 - 1718م) إلى الإمامة اعتمادًا على انتسابه للبيت القاسمي وما قدمه والده وجده من خدمات عسكرية وسياسية للدولة، فضلًا عما تمتع به هو نفسه من كفاءة سياسية وعسكرية وقدرة على المناورة وضرب المنافسين بعضهم ببعض[3].

(1) الهجر العلمية: هي القرى التي يهاجر إليها العلماء وطلبة العلم هربًا من ضجيج المدن للتفرغ للتدريس والدراسة ونشر العلم حتى أصبحت تشد إليها الرحال من مختلف أرجاء اليمن. انظر: إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر، دمشق، 1995م، ج1، ص5 - 9.

(2) محمد علي الشهاري، اليمن في ظل حكم الإمام المهدي 1097 - 1130هـ/ 1686 - 1718م، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 2008م، ص27.

(3) انظر: يحيى بن الحسين، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق أمة الغفور عبدالرحمن الأمير، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 1429ه/ 2008م، ص3، ص1341، ص1352 - 1398.

وفقد منصب الإمامة منذ عهد المهدي (صاحب المواهب) سمات الزهد والورع والعلم والتقيد الشديد بالشرع وصار مُلكًا سياسيًا، وسار المهدي سيرة الملوك، حيث أخذ يتواصل مع القوى السياسية في الحجاز وبلاد فارس وغيرها، واستقبل وفود الحكام المسلمين والشركات الغربية، وتوسع في الأنشطة التجارية وفرض الضرائب والجبايات التي لا تتوافق مع الشرع وصادر أموال المخالفين والمنافسين له وقتل بعضهم، وأسرف في النفقات على نفسه وحاشيته ومؤيديه(1).

واتسمت فترة أواخر القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) والقرن التالي أيضًا بضعف سلطة الإمامة على حكام الأقاليم وولاتها، حيث دأب الأئمة منذ عهد المتوكل إسماعيل على تعيين إخوتهم وأبناء عمومتهم ولاة على الأقاليم ترضية لهم ولتفادي معارضتهم ومنافستهم على الإمامة، وقد استبد أغلب أولئك الأمراء الولاة بحكم أقاليمهم وكوّنوا مراكز قوىً في تلك الأقاليم، وخاصة الغنية منها بالموارد، وفرضوا الجبايات فيها دون الرجوع إلى الإمام الذي كان يتغاضى أو يعجز في أكثر الأحيان عن عزلهم أو حتى محاسبتهم(2).

وأتاح فقد الأئمة لشرطي العلم والاجتهاد وضعف سلطاتهم في الأقاليم التي استبد بحكمها ولاة منافسون لهم من أسرتهم، وظهور عدد كبير من العلماء بعضهم

(1) محسن بن الحسن أبوطالب، طيب أهل الكساء، حققه د. عبدالله بن محمد الحبشي ضمن مجموعة من المخطوطات التي تتعلق بتاريخ الدولة القاسمية تحت عنوان: تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول 1052 - 1160هـ، تعز، مطابع المفضل للأوفست، تعز، 1411هـ/ 1990م، ص123، ص221، الشوكاني، البدر الطالع، ص615.

(2) ابن الحسين، بهجة الزمن، ج3، ص925، عبدالله بن علي الوزير، طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 2007م، ج2، ص321 - 323، أبوطالب، طيب أهل الكساء، ج1، ص147.

من العلماء المجتهدين وخاصة من العلويين الفرصة لبروز دور واضح لأولئك العلماء في الدولة؛ حيث أصبح الأئمة في حاجة إلى أولئك العلماء لسد النقص عندهم في تفسير النصوص الدينية ومساعدتهم على تطبيق الشريعة من ناحية، وكسب العلماء إلى جانبهم وإبعادهم عن منافسيهم على الإمامة ودعم شرعيتهم من ناحية أخرى، فمنحوا العلماء مناصب في الدولة في مجالات دينية وإدارية وسياسية مختلفة، فاكتسب العلماء مكانة في الدولة لا سابق لها، وهذا ما سيناقشه هذا البحث من خلال استعراض النظام السياسي في الدولة القاسمية وتركيبته البنيوية، والعوامل التي ساعدت على بروز مكانة العلماء في التركيبة السياسية في تلك الدولة خلال الفترة الواقعة بين عامي 1097 - 1251هـ/ 1686 - 1835م.

## أولًا - النظام السياسي في الدولة القاسميَّة وتركيبته البنيوية[1]:

ارتكز النظام السياسي في الدولة القاسميَّة على فكر الإمامة الزيدية الهادوية[2] الذي ينصُّ على أن الإمامة يجب أن تكون في البيت العلوي بفرعية الحسني أو الحسيني؛ والارتكاز على هذا التوجه منح الأسرة القاسمية الشرعية في تولي الإمامة.

(1) البنيوية: اسم مؤنث مأخوذ من كلمة (بنيوي)، وهو اسم منسوب إلى (بنية)، ويقصد به من يدرس البنى ويحلل عناصرها، والبنيوية هي أبحاث ذات علاقة ببناء مجموع معنوي كالدولة والمجتمع وغيرهما، أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ/ 2008م، ج1، ص252.

(2) تنسب الزيدية الهادوية إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي، مؤسس الإمامة الزيدية في اليمن أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ويعتقد أتباع هذه الفرقة أن عليًا وفاطمة والحسنين معصومون وأن إجماعهم حجة، ويعتقدون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ووجوب الخروج على الظلمة، ويحصرون الإمامة فيمن قام من أولاد الحسنين وهو جامع لشروط الإمامة الأربعة عشر. انظر: إسماعيل بن علي الأكوع، الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر، بيروت، 1993م، ص11 - 18.

واعتمد الحكم في الدولة القاسميَّة في مرحلة التأسيس على الجاذبية الشخصية وتأثيرها في الآخرين التي يمتلكها الإمام القاسمي، فضلًا عن ممارسة الأسلوب الأبوي في الحكم[1]؛ حيث اتبع الأئمة القاسميُّون الأوائل أساليب أبوية في حكمهم؛ وهو شكل من أشكال السيطرة السياسية؛ تستند إلى بيروقراطية تمارسها أسرة حاكمة، وهي سلطة قسرية من الناحية الشكلية، تكون تحت سيطرة الحاكم الدائمة، وتتحقق السيطرة في الدولة الأبوية بواسطة جهاز سياسي يديره مجموعات من رجال الإدارة كالوزراء، والقضاة، والكتاب، وغيرهم، ولا تمتلك تلك المجموعات قاعدة مستقلة للقوة، بل هي خاضعة لإرادة الحاكم[2]؛ لكن ذلك لم يستمر نتيجة التحولات التي طرأت على مؤسسة الإمامة كمؤسسة حكم وسلطة دينية؛ ولهذا تراجع تأثير الجاذبية الشخصية والأسلوب الأبوي في الحكم في الدولة القاسميَّة.

وطرأ على الإمامة في الدولة القاسمية عدد من التغييرات، ومن ذلك أن الإمام المؤيد لما تولى مقاليد الحكم خلفًا لوالده الإمام المنصور القاسم بن محمد في عام 1029هـ/ 1620م حصر الإمامة في الأسرة القاسميَّة[3]؛ فتحولت إلى حكم

(1) برنارد هيكل، الإصلاح الديني في الإسلام تراث محمد الشوكاني، ترجمة علي محمد زيد، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2014م، ص19،

- Mohammed Ahmed Zabarah, Yemen Traditionalism Vs. Modernity, Praeger Publishers CBS Educational and Professional Publishing a Division of CBS Inc. New York. 1982, p. 15.

(2) هيكل، الإصلاح الديني، ص19.

(3) سبق للإمام المتوكل شرف الدين يحيى بن شمس الدين، أن حاول جعل الإمامة في أسرته (آل شرف الدين) بتعيين ابنه علي وليًا للعهد من بعده، لكن هذه المحاولة أسهمت في إضعاف الدولة وزرعت بذور الشقاق بين أبنائه، ودفعت ابنه الأكبر المطهر إلى الخروج على والده وتحريض القبائل عليه، بل الاتصال بالعثمانيين والتحالف معهم ضد والده.

وراثي أسري؛ وهذا يخالف مخالفة صريحة شروط الإمامة في المذهب الزيدي التي نص عليها علماء الزيدية وفقهاؤها، ومن ذلك ما أقره الإمام المنصور القاسم بن محمد في كتابه «الأساس لعقائد الأكياس» عندما أشار إلى أن الإمامة «لا تثبت لأحد إلا بدليل شرعي إجماعًا؛ لترتب كثير من الشرائع عليها، ولا طريق إلى من يقوم بها إلا الشرع»(1).

ومن التغيرات التي طرأت على الإمامة في الدولة القاسمية أيضًا، أن الإمام الذي يتولى الحكم لم يعد يتحقق فيه شرطي العلم والاجتهاد وهما من أهم الشروط التي يشترطها المذهب الزيدي أساسًا للوصول إلى سدة الحكم، وبرز ذلك بوضوح منذ وفاة الإمام المتوكل إسماعيل عام 1087هـ/ 1676م. ومن التغيرات أيضًا، أن الحكم صار ينتقل عموديًا من الأب إلى الابن، بعدما كان ينتقل أفقيًا بين أمراء الأسرة القاسميَّة؛ وقد تقرر ذلك بعد أن انفردت ذرية الإمام المتوكل القاسم بن الحسين (ت1139هـ/ 1727م) بالحكم، وشكَّل ذلك مناقضة واضحة لمبادئ الإمامة الزيدية وأسهم في تعزيز الحكم الوراثي الأسري(2).

لقد تكونت التركيبة البنيوية في النظام السياسي بالدولة القاسمية من ستة مكونات يأتي على رأسها الإمام، ثم الأمراء القاسميون، يليهم السادة العلويون، ثم العلماء يتبعهم زعماء القبائل، في حين شكّل الأمراء المماليك آخر مكون في هذا النظام، وسنستعرض فيما يلي هذه المكونات:

---

عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري، الاستيلاء العثماني الأولى على صنعاء والسيطرة على اليمن (953 – 954هـ/ 1547م)، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، 1439هـ/ 2017م، ص17 – 18.

(1) الإمام القاسم بن محمد، الأساس لعقائد الأكياس، تحقيق ألبير نصري نادر، دار الطليعة، بيروت، 1980م، ص164.

(2) هيكل، الإصلاح الديني، ص91 – 92.

### أولًا / الإمام:

كان الإمام يقف على رأس السلطة السياسية والدينية في التاريخ المبكر من تأسيس الدولة القاسميَّة، وتركَّزت في يده جميع السلطات، فهو رئيس الجهاز السياسي والإداري والمالي، والقائد العام للقوات العسكرية، والمسؤول عن إعلان الجهاد وعقد المعاهدات وإبرام الصلح، وهو صاحب السلطة الدينية، وما يتعلق بها من أمور الشرع والإفتاء والقضاء وجباية الزكاة[1]، فضلاً عن إقامة شعائر الإسلام في الجُمع والأعياد. وتشير المصادر التاريخية إلى أن الإمام القاسمي كان يعتمد في حكمه على مجموعة من المعاونين والمستشارين والنواب، الذين يساعدونه في إدارة شؤون الدولة وتطبيق سياساتها الدينية والاقتصادية[2].

وكانت الأنظمة الإدارية التي يشرف عليها الإمام بدائية في بداية عهد الدولة القاسميَّة، لكنها بعد ذلك شهدت تطورًا صاحب التحولات السياسية والاقتصادية التي عرفتها البلاد، وقد حرصت الدولة القاسميَّة على مواكبة تلك التحولات عن طريق الاستفادة من الأنظمة العثمانية العسكرية والإدارية؛ خاصةً فيما يتعلق بالشؤون المالية مثل: جباية الزكاة والضرائب[3]، ولم يكن تحصيل الضرائب مركزيًا طوال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (السابع عشر والثامن

(1) أحمد عبدالله عارف، الصلة بين الزيدية والمعتزلة، دار أزال للطباعة والنشر، بيروت، 1987م، ص340 - 343، محمود علي محسن السالمي، محاولة توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين الأول 1045 - 1097هـ/ 1635 - 1685م، الدولة القاسمية، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق، 2000م، ص150.

(2) السالمي، محاولة توحيد اليمن، ص150، ص158.

(3) السالمي، محاولة توحيد اليمن، ص160، ص169، هيكل، الإصلاح الديني، ص43 - 44،

Shelagh Weir, Tribal Order Politics and Law in the Mountains of Yemen, The University of Texas Press, Texas, 2007, p. 238.

عشر الميلاديين)؛ إذ إن تقدير القيمة الضريبية على المحاصيل الزراعية لم يكن من مهام السلطة المركزية، بل كان من مهام ولاة وعمال المناطق[1].

وكان الإمام يتولى رئاسة الديوان القاسمي الذي يتكون من كبير الوزراء، ووزراء مسؤولين عن شؤون القبائل، والأوقاف، وجباية الزكاة، وكان الإمام يعيِّن وزيرًا لكل منطقة؛ لضبط جباية الزكاة وتدقيقها[2]، ويعيِّن كذلك في الديوان القاسمي بعض القضاة؛ ومن المحتمل أن الإمام كان يسند إليهم النظر في القضايا التي تقع بين أفراد الأسرة القاسميَّة، أو القضايا التي كانت تقع بين أعيان الدولة من السادة العلويين وشيوخ القبائل، وربما أسند إليهم النظر في القضايا الكبرى. وكان الإمام يعين على كل ولاية عاملًا يسمى والي الدولة وأحيانًا أميرًا، يشرف على قيادة القوات في ولايته أو إقليمه الذي يحكمه، ويكون مسؤولًا عن جمع الضرائب وحفظ الأمن، ويجري عزل هؤلاء الولاة أو نقلهم إلى ولايات أخرى كل سنتين أو ثلاث؛ لمنع تراكم الثروة في أيديهم بعد تقديمهم ما يشبه كشف حساب لممتلكاتهم، التي قد يتنازلون عنها في حال وجود أخطاء أو تجاوزات ارتكبوها[3].

### ثانيًا / الأمراء القاسميون:

يحتل أمراء الأسرة القاسميَّة المرتبة الثانية في التركيبة البنيوية السياسية في دولتهم، خاصةً أبناء الإمام الحاكم الذين يطلق على الواحد منهم لقب (سيف الإسلام)[4]، وقد تولوا أمر الولايات ذات الأهمية في البلاد، مثل: صنعاء وتعز

(1) Martha Mundy, Domestic government: kinship, community and polity in North Yemen, I. B. Tauris and Co Ltd, London, 1995, p. 12.

(2) هيكل، الإصلاح الديني، ص105 – 106.

(3) M. Niebuhr, Travels Through Arabia and Other Countries in The East, R. Morison and son, Booksellers, London, 1792, 2, p. 85.

(4) يُروى أن العلامة أحمد بن سعد الدين المسوري (ت1079هـ/ 1668م) هو أول من أطلق على أبناء الأئمة لقب (سيف الإسلام)، الأكوع، هجر العلم، ج2، ص1082 – 1083.

وإب وصعدة وغيرها، وجرت العادة أن يتولى أكبر أبناء الإمام منصب ولاية صنعاء التي أصبحت عاصمة للدولة القاسمية منذ عام 1130هـ/ 1718م، فضلًا عن أنه كان يكلف بقيادة الجيوش القاسميَّة في بعض الأحيان. وكان بعض أمراء الأسرة القاسميَّة - ممن لهم حظوة لدى الإمام - يكلفون ببعض المهام الإدارية والعسكرية، وبعضهم أصبح من المستشارين المقربين للأئمة، وقد عملت السلطة على الاستفادة من آرائهم وخبراتهم السياسية والإدارية.

ولقد أصبحت السلطة المركزية للدولة القاسميَّة - المتمثلة في شخص الإمام - في أواخر القرن الحادي عشر الهجري لا تملك نفوذًا قويًا على الأمراء القاسميين الذين عينتهم ولاة على بعض ولايات الدولة، إذ شكَّلوا مراكز قوى داخل الدولة، فحكموا ولاياتهم حكمًا ذاتيًا، وسيطروا على الموارد المالية فيها، وأصبح الإمام الذي يتولى سدة الحكم في الدولة القاسميَّة يعترف بالسلطة السياسية والاقتصادية لأولئك الأمراء، ليضمن البقاء في السلطة دون منازعتهم، وكثيرًا ما تنافس بعض الأمراء القاسميين على الإمامة عند حدوث فراغ سياسي في هذا المنصب، وقد أسهم دعم العلماء لأحد المتنافسين في ترجيح كفته على البقية. وبعد أن أصبح تقلد الإمامة ينتقل عموديًا من الأب إلى الابن تراجع نفوذ الأمراء القاسميين لصالح السلطة المركزية، التي عادت لامتلاك زمام الأمور من جديد[1]، وإن كان الأمر لم يخلُ من بعض دعوات استحقاق الإمامة التي يطلقها إخوة الإمام الحاكم أو أبناء عمومته، لكنها سرعان ما تخبو تلك الأصوات.

## ثالثًا/ السادة العلويون:

تطلق لفظة (السادة) على الأسر التي تنتسب إلى آل البيت، وتحديدًا على من كان من ذرية علي ابن أبي طالب من زوجته فاطمة رضي الله عنها. ولم تدخل اليمن لفظة

(1) هيكل، الإصلاح الديني، ص89 - 90.

(سادة) أو (سيد) أو تستخدم فيها إلا بعد نهاية القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي)، الذي جاء تقليدًا لما كان شائعًا ومعروفًا في طبرستان[1]، يقول الإمام عبدالله بن حمزة ( (... فأتباع أهل البيت شيعة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يسمون أهل البيت إلا السادة، ومتى أطلقت هذه اللفظة في العراق والشام وخراسان وسائر البلدان، أفادت آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويقولون لواحدهم: سيدنا، متى أضافوه إلى أنفسهم) )[2]، وتنسب إلى السادة خصال العلم، والورع، والتواضع، والشجاعة[3]، ولا يحق لغير السيد أن يكون إمامًا.

وكان السادة العلويون يؤدون دورًا مهمًا في الحياة العامة منذ قيام الإمامة الزيدية الأولى في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في اليمن؛ فظهر منهم الأمراء المتنفّذون في أنحاء البلاد، وبرز منهم العلماء المجتهدون الذين حرصوا على تفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فدخلوا في التركيبة الاجتماعية في اليمن، وصاروا جزءًا منها[4].

لقد اكتسب السادة العلويون مكانة سياسية واجتماعية وعلمية في المجتمع اليمني إثر ارتباطهم بنشر الزيدية والعلوم الدينية عن طريق هِجَر العلم في

(1) علي محمد زيد، تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، 1997م، ص146.

(2) عبدالله بن حمزة بن سليمان، الشافي، تحقيق وتعليق مجد الدين بن محمد المؤيدي، ط1، مكتبة أهل البيت، صعدة، 1429هـ/ 2008م، ج2، ص160.

(3) الحسين بن القاسم، آداب العلماء والمتعلمين، الدار اليمانية للنشر والتوزيع، صنعاء، 1987م، ص37، ص99 – 100.

(4) عبدالعزيز قائد المسعودي، إشكالية الفكر الزيدي في اليمن المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008م، ص204.

المناطق التي يقيمون فيها، وهذا الأمر ساعدهم في النفاذ إلى التركيبة البنيوية السياسية للدولة القاسمية؛ خاصةً أنهم كانوا من أعيان البلاد ومن أهل الحل والعقد فيها، وتولى بعضهم مناصب رسمية ودخلوا في خدمة الدولة القاسمية.

**رابعًا/ العلماء:**

كان العلماء يشكلون شريحة مجتمعية مؤثرة في التركيبة البنيوية السياسية في الدولة القاسمية، ويقصد بالعلماء هنا، الذين نالوا قدرًا من العلم في مختلف العلوم الشرعية، كعلوم القرآن، والتفسير، والحديث، والفقه، والعقيدة، والعلوم ذات الصلة، مثل: السيرة، والتاريخ، والنحو، والبلاغة، والمنطق، وهي العلوم التي يحتاجها العلماء في مسيرتهم لتحصيل العلم، وفق عدد من المعايير، ومنها: المكانة العلمية للمشايخ الذين تتلمذوا على أيديهم، والحلقات العلمية والمدارس التي تعلموا فيها وعلموا فيها، والطلاب الذين أخذوا عنهم وحصلوا على إجازاتهم العلمية، واعتراف المجتمع بعلميَّتِهم وفضلهم، فضلًا عن تقلدهم أو أدائهم بعض المهام، كالقضاء والإفتاء؛ لأن ذلك يعد مؤشرًا على المكانة العلمية التي بلغوها.

ولو تتبعنا تراجم العلماء في الدولة القاسمية نجد أنهم ينتمون إلى أسر اشتهرت بالعلم والفضل والنسب الرفيع والمكانة الاجتماعية التي توارثوها، سواءً كانوا من السادة العلويين، أو من أبناء القبائل، أو من الحواضر اليمنية، يضاف إلى ذلك أن هناك علماء من أبناء الأسرة الحاكمة، وقد أنيط بهم مهمة مساعدة الإمام بالإشراف على الجوانب المختلفة لنظام الحكم في الدولة القاسميَّة، ومن ذلك العمل في المجال الإداري، مثل: الوزارة والولاية، والإشراف على شؤون السجلات والبريد والمخازن، وعمل بعضهم في الإشراف على ما يتعلق بالجوانب الدينية، مثل: القضاء، والإفتاء، والأوقاف، وأسند إليهم كذلك

تعريف الناس بأحكام الشريعة الإسلامية، عن طريق الخطب والدروس التي كانوا يلقونها في الجوامع والمساجد.

وفي أواخر القرن الحادي عشر الهجري تمكَّن العلماء من السيطرة على منصب القضاء الأكبر وأمر الإفتاء - بعد التحول الذي طرأ على مؤسسة الإمامة - الذي كان من أبرز مهام الإمام الحاكم؛ وسبب هذا التحول هو أن من تعاقب على سدة الحكم من الأئمة القاسميين خلال تلك الفترة لم يكن يتمتع بالدرجة العلمية التي توصله إلى مرحلة الاجتهاد، وتمكنه من إصدار الأحكام القضائية والفتاوى الشرعية(1)؛ لذا سعت السلطة السياسية في الدولة القاسمية إلى تقريب العلماء وإشراكهم في إدارة الدولة؛ لئلا يخرجوا عليها، وينتقدوا سياساتها؛ لأنها كانت تدرك أن ذلك سيُحدث زعزعة لمكانتها السياسية والدينية، لكن طبيعة المذهب الزيدي الذي يسمح بالخروج على حكام الجور والظلم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دفع بعض العلماء إلى الخروج على السلطة السياسية ومعارضتها، خاصةً العلماء الذين ينتمون إلى أسر السادة العلويين؛ لأنهم كانوا يرون أن عليهم واجبًا دينيًا لابد أن يؤدوه لمواجهة الجور والظلم الذي تقع فيه السلطة الحاكمة، إلا أنه لا يخفي أن أولئك العلماء العلويين كان لديهم مطامح شخصية يسعون إلى تحقيقها.

### خامسًا/ الزعامات القبلية:

شكلت الزعامات القبلية جزءًا مهمًا في التركيبة البنيوية السياسية للدولة القاسميَّة، وكانت القبائل تمثّل رافدًا وداعمًا مهمًا للقوة العسكرية للدولة، حيث عمل أبناء القبائل - خاصةً القبائل الشمالية - جنودًا غير نظاميين في الجيش القاسمي؛ لذا كان لزعمائها دور مؤثر في الأحداث التي شهدتها اليمن في عهد

(1) المسعودي، إشكالية الفكر الزيدي، ص377.

الدولة القاسميَّة. ومن أشهر الزعامات القبلية: آل الأحمر شيوخ حاشد[1]، وآل أبو لحوم شيوخ بكيل، وآل الشايف شيوخ ذوي حسين من قبائل بكيل، وابن جزيلان شيخ ذوي محمد من قبائل بكيل[2]، وآل أبو حليقة شيوخ قبائل خولان[3]، فضلاً عن القضاة آل العنسي المذحجيين زعماء قبائل جبل بَرَط[4].

(1) حَاشِد: إحدى كبار قبائل همدان في اليمن ويعود نسبها إلى كهلان بن سبأ، وتمتد ديارها من صنعاء إلى صعدة شمالًا، وتشمل جبال لاعة، والأهنوم، وظليمة، وعذر، وخارف، والعَمَشِية، وعمران، وتنقسم قبيلة حاشد إلى أربعة فروع، هي: صُرَيْمي، وخَارِفي، وعُصَيْمي، وعِذَري، وكانت – وما زالت – تلك القبيلة بزعامة آل الأحمر تشكل ثقلًا سياسيًا في اليمن، للمزيد انظر: إبراهيم المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط5، الجيل الجديد، صنعاء، 1432هـ/ 2011م، ج1، ص49، ص398 – 401.

(2) بكيل: إحدى كبار قبائل همدان في اليمن، وتمتد ديارها من شمال صنعاء الشرقي إلى صعدة، وتشمل أرحب، وبرط، والجوف، ونهم، وعيال سريح، وعيال يزيد، وريده، ومرهبة، وسفيان أرحب، وبلاد وائلة، والعمالسة. وتنقسم قبيلة بكيل إلى أربعة فروع: أرْحَب، ونِهْم، ومَرْهبة، وشاكر. والأخيرة يتفرع منها فرعان قويان كان لهما دور في الأحداث التي شهدتها الدولة القاسمية، وهما: قبيلتا ذوي حسين، وذوي محمد، للمزيد انظر: المقحفي، البلدان والقبائل اليمنية، ج1، ص203، ص336، ج2، ص1024.

(3) خولان: من قبائل اليمن الكبيرة، وتتوزع ديارها حسب فروعها الثلاثة: خولان الطِيَال، وخولان بن عمرو، وقُضَاعة، وخولان الطِيَال يُقال لها (خولان العالية) نسبةً إلى جبالها المرتفعة، وتقع منازلها من شرقي صنعاء إلى قرب مأرب، أما خولان بن عمرو، فتسكن مساحة واسعة من بلاد صعدة، في حين تقع منازل قُضَاعة في وادي عَمْد وبلاد المهرة بحضرموت، وقد هاجر عدد من قبائل قُضَاعة إلى خارج اليمن، وبصورة خاصة إلى الحجاز والعراق وبلاد الشام، للمزيد انظر: أحمد بن محمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ط3، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1425هـ/ 2004م، ج2، ص313 – 322، وانظر: المقحفي، البلدان والقبائل اليمنية، ج1، ص504، ص594 – 595، ج2، ص1483 – 1484.

(4) مذحج: حلف قبلي واسع يضم عددًا من القبائل داخل اليمن وخارجه، أشهرها: مراد، وعنس، والحدا، وبنو الريان، وبنو عبيدة، والنَّخَع، وبنو مُسْلِيَة، وزُبيْد، وجُعْفِي وغيرها،

وساعد اعتماد السلطة الحاكمة في الدولة القاسمية على نظام الرعاية الأبوية في السنوات الأولى لتأسيسها على ربط القبائل في مناطق اليمن الأعلى بها، فمنحت زعماءها الامتيازات الضريبية والإقطاعات الزراعية في اليمن الأسفل، الذي يعدُّ من أغنى مناطق اليمن الزراعية، فضلًا عن أنها ثبتت أسماءهم في سجلات الرواتب الشهرية التي تصرف من خزانة الدولة مباشرة، ولم تقتصر على هذا بل كانت تمنحهم العطايا السخية في بعض المناسبات(1)، وكان الأمراء القاسميون الذين شكَّلوا مراكز قوى داخل الدولة القاسمية في فترات سابقة من عمر الدولة قد لجئوا إلى كسب تأييد القبائل وزعمائها في صراعهم على النفوذ؛ وتسابقهم على الوصول إلى سدة الحكم، إدراكًا منهم لثقل حجم تلك الزعامات.

ولقد أسهمت الزعامات القبلية في ترجيح كفة قوىً على أخرى أو ترجيح أمير على آخر، وهو ما أكسب الزعامات القبلية ثقلًا سياسيًا وعسكريًا يصعب تجاوزه، فقد نجح الإمام المهدي محمد (صاحب المواهب) في استمالة مشايخ قبائل الحجرية وعلى رأسهم الشيخ ابن المغلس للوقوف في صفه في أثناء الحرب على الإمامة والتي نشبت بين أبناء الأسرة القاسمية في عام 1097هـ/ 1686م(2)،

---

وديارها نواحي ذمار، ودثنية من أبين، والزاهر من بلاد البيضاء والتي كانت تعرف باسم (سَرْو مَذْحج)، للمزيد انظر: المقحفي، البلدان والقبائل اليمنية، ج1، ص1060، ج2، ص1327، ج3، ص1830.

(1) السالمي، محاولة توحيد اليمن، ص163،

Paul Dresch، Tribes، Government، and History in Yemen، Oxford University Press، New York، 1989، p. 162.

(2) أمة الغفور عبدالرحمن الأمير، الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، مع تحقيق مخطوط: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم محمد، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 1429ه/ 2008م، ج1، ص209 – 210، أمة الملك إسماعيل قاسم الثور، بناء الدولة

وأيدت قبائل بني الحارث وهمدان وزعماؤها الإمام المهدي محمد وهو ما أسهم في دعم موقفه في هذه الحرب[1]، كما أسهم تخلي القبائل عن مناصرة الحسين بن القاسم الشهاري في حسم الصراع على الإمامة لصالح الإمام المتوكل القاسم بن الحسين[2].

وكذلك شارك بعض زعماء قبائل حاشد وبكيل ويام مثل: ابن الأحمر وابن جزيلان والمكرمي، في الحرب التي نشبت في عام 1139هـ/ 1727م بين المنصور الحسين بن المتوكل ومنافسه على الإمامة الناصر محمد بن إسحاق، وتقلبت فيها الولاءات من جانب إلى آخر[3]، حتى حسم الصراع لصالح الإمام المنصور الحسين، وقد خسر فيها ابن الأحمر حياته عندما قُتل غيلة على يد مماليك حليفه السابق الإمام المنصور الحسين وبأمر منه في عام1140هـ/ 1728م[4].

ولما كانت الزعامات القبلية تمتلك ثقلًا مجتمعيًا وتأثيرًا فقد حرصت السلطة الحاكمة في الدولة القاسمية على إقامة علاقات وديَّة معها؛ خشية تأييدها لأي ثائر علوي يخرج للمطالبة بالإمامة، سواء من داخل الأسرة القاسمية أو من خارجها[5]، فضلاً عن رغبة السلطة في المحافظة على الأمن، وتحقيق الاستقرار، وتأمين الطرق التجارية من هجمات أبناء القبائل وتجاوزاتهم؛ وقد حققت الدولة

القاسمية في اليمن في عهد المؤيد محمد بن القاسم 990 - 1054هـ/ 1582 - 1644م، مع تحقيق مخطوط: الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة، للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 1429هـ/ 2008م، ج1، ص217 - 218.

(1) الثور، بناء الدولة القاسمية في اليمن، ج1، ص219 - 220.

(2) العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص119.

(3) أبو طالب، طيب أهل الكساء، ج2، ص439 - 444، ص446 - 453.

(4) أبو طالب، طيب أهل الكساء، ج2، ص444 - 446.

(5) هيكل، الإصلاح الديني، ص21.

بهذه السياسة جملة من المكاسب، لكن تلك العلاقات الودية كانت أحيانًا تنقلب إلى عداء وصدام مسلح، ومن الأمثلة على ذلك قبائل أرحب(1) التي كانت علاقتها ودية بالدولة القاسمية في عهد الإمام المتوكل القاسم بن الحسين، ولكنها قامت بحركة عصيان وعاثت في صنعاء فسادًا؛ فجرى قتال شديد بينها وبين قوات الإمام المتوكل القاسم بن الحسين التي تمكنت من هزيمتها وإجلائها من العاصمة في عام 1138هـ/ 1726م(2)، لكن تلك القبيلة استنصرت بقبائل حاشد وبكيل، التي حاصرت صنعاء في عام 1139هـ/ 1727م، ولم يفك الحصار عن صنعاء إلا بعد أن دُفعت لتلك القبائل الأموال(3).

وكان دفع الأموال لزعماء القبائل طريقة لجأت لها الدولة القاسمية عندما تعجز عن مواجهة تلك القبائل، وحتى تلزم السكينة وتكف عن الاعتداء على الرعية، ويشير الشيخ أحمد بن محمد قاطن إلى أن الإمام المهدي العباس قد ذكر لهُ حال الدولة مع حاشد وبكيل وغيرهما من القبائل «وأنه لو يقطع عليهم

(1) أرحب: قبيلة سُميت باسم أرحب بن الدعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل، تقع أرضها شمال صنعاء فيما بين جبال نهم شرقًا وجبال عيال يزيد غربًا، وهي قسمان زُهيري وذبياني. أما أهم قبائل بني زهير، فهي زندان، وعيال بني علي، وشاكر، وبيت مران. ومن بين قبائل ذبيان: عيال سحيم، وبني مُرَّة، وبني حكيم، والزبيرات، وحَبَّار، وبني سليمان، وحسان، للمزيد انظر: المقحفي، البلدان والقبائل اليمنية، ج1، ص61.

(2) أبو طالب، طيب أهل الكساء، ج2، ص431 - 433، محمد الكبسي، اللطائف السنية في الممالك اليمنية، تحقيق وضبط خالد أبا زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1426هـ/ 2005م، ص397 - 398.

(3) أبوطالب، طيب أهل الكساء، ج2، ص453، محمد بن محمد زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، نبلاء اليمن بالقرن الثاني عشر للهجرة، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1433هـ/ 2012م، ج2، ص317 - 322، العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص119.

شيء لقامت عليه القيامة، ولرموه عن قوس واحدة بالعظائم»[1].

وللمحافظة على توازن القوى لجأ أئمة الدولة القاسمية إلى استخدام مبدأ فرق تسد بين القبائل للمحافظة على توازن القوى القبلية بما يخدم مصالحهم الشخصية، ويضمن ولاء تلك القبائل؛ لذا كانت السلطة السياسية تحرض القبائل بعضها على بعض مستغلة أي خلاف ينشأ بينها، وهو ما حال دون قيام تجمع قبلي قوي يتصدى لحكمها أو ينافسها[2]، كما استفادت السلطة السياسية من عدم قبول زعماء القبائل سيطرة أيٍّ من أقرانهم على السلطة[3].

وعمل أئمة الدولة القاسمية على ترسيخ سياسة الطاعة في نفوس أبناء القبائل بحسبانها مبدًا دينيًا، وأن طاعة الإمام من طاعة الله ونبيه الذي يتصل نسبهم بنسبه، ومن ثم عدّوا الخروج بغيًا يجب ردع من يرتكبه؛ ولذلك نجد أنهم انتهجوا سياسة القمع والقسوة الشديدة في معاقبة القبائل المتمردة عليهم، وأباحوا أموالها نهبًا وسلبًا[4]، مستفيدين من فتاوى بعض العلماء الذين عدوا أفراد تلك القبائل بغاة لكونهم يحتكمون إلى أحكام طاغوتية في ممارستهم الاجتماعية[5]، ولقد وصفهم العلامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني[6] وهو أحد كبار العلماء

(1) أحمد بن محمد قاطن، إتحاف الأحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن بعض أهل العصر، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1429هـ/ 2008م، ج2، ص252 – 253.

(2) قائد نعمان الشرجبي، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، دار الحداثة، بيروت، 1986م، ص71 – 74.

(3) Dresch، Tribes، p. 164.

(4) أشواق أحمد غليس، التجديد في فكرة الإمامة عند الزيدية في اليمن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1417هـ/ 1997م، ص139، السالمي، محاولة توحيد اليمن، ص163.

(5) ابن الحسين، بهجة الزمن، ج3، ص1140.

(6) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ولد في هجرة شوكان من بلاد خولان عام 1173هـ/ 1760م، ونشأ في صنعاء وبها تلقى علومه، حيث نبغ في عدد من العلوم ومنها: الفقه، والحديث، والنحو، ونظم الشعر وله العديد من القصائد، وترك تقليد من سبقه من

في الدولة القاسمية بقوله: «... أما هؤلاء الأعراب الجفاة فأكثرهم لا يصلي ولا يصوم، ولا يقوم بفرض من فروض الإسلام سوى الشهادتين على ما في لفظه بهما من عوج»[1]، لذا حض العلماء السلطة في صنعاء على التعامل مع القبائل بكل قوة، وكانت الفتاوى هي الغطاء الشرعي والقانوني الذي يمنح الدولة حرية التصرف ويرفع عنها الحرج، وكان بعض العلماء يرى أن قتال تلك القبائل واجب شرعي على كل قادر على قتالهم[2].

ومن الفتاوى التي صدرت في حق القبائل فتوى العلامة الشيخ يحيى بن صالح السحولي في عام 1195هـ/ 1781م بقتل وصلب جماعة من قبائل خولان، سبق لها أن أعلنت عصيانها بحجة قطع مخصصاتها السنوية، وقامت بمهاجمة منطقة آنس ونهبت الأهالي وقطعت الطرق وخوفت المسافرين[3].

---

الأئمة والعلماء الزيود؛ لذلك يعد من أشهر علماء الزيدية ومجتهديها في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، وألف العديد من الكتب في مختلف العلوم الدينية، تصدر للتدريس والإفتاء، تولى رئاسة القضاء في الدولة القاسمية عام 1209هـ، وبقي في هذا المنصب لمدة إحدى وأربعين عامًا، وكانت له آراء إصلاحية، وتوفي في صنعاء عام 1250هـ/ 1834 م، للمزيد انظر: محمد بن الحسين الشجني، التقصار في جيد زمان علامة الأقاليم والأمصار شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1994، ص19 - 25، القنوجي، صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج3، ص201 - 205، ومحمد بن محمد زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشرr، ط1، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/ 1998م، ج2، ص344 - 350.

(1) الشوكاني، البدر الطالع، ص652.

(2) محمد بن علي الشوكاني، الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، مجموعة الرسائل المنيرية، المطبعة العربية، القاهرة، 1343هـ، ج2، ص14.

(3) لطف الله بن أحمد جحاف، درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1425هـ/ 2004م،

ومن الأمور التي استفاد منها أئمة الدولة القاسمية لإحكام سيطرتهم على اليمن صعوبة الأوضاع الاقتصادية التي عانت منها قبائل المناطق الشمالية، فضلًا عن استغلالهم الطبيعة الجغرافية والمناخية القاسية لتلك المناطق لتسليط قبائلها بشتى الوسائل على المناطق الجنوبية والوسطى الخصبة زراعيًا والغنية اقتصاديًا(1).

وهذه السياسات والأساليب التي انتهجها الأئمة لبسط سيطرتهم على القبائل وضمان عدم الخروج عليهم لم تكن حلًا ناجعًا لمنع التمرد، فقد وُجدت أسباب دفعت هذه القبائل إلى التمرد على طاعة الأئمة والخروج عليهم باستمرار، بعض هذه الأسباب ترجع أساسًا إلى طبيعة النظام السياسي والاجتماعي لهذه القبائل التي كانت تتميز بقوة روابط الدم والقرابة، فضلًا عن استقلالها الذاتي، ورفض الخضوع لسلطة الدولة المركزية ونظمها الإدارية، والقانونية؛ الأمر الذي جعل هذه القبائل مجتمعات سياسية مستقلة نوعًا ما، ولها حدودها ومراعيها المعروفة، وتنظيمها السياسي والاجتماعي، وهو ما وفر لها شرعية شعبية(2).

إن محاولات الأئمة الدائمة إخضاع القبائل وإدخالها تحت سلطتهم بالقوة، فضلًا عن حصول فترات الجفاف والقحط، كانت سببًا لنشوب الحروب والمعارك بين السلطة المركزية والقبائل، وكثيرًا ما كانت المدن الكبيرة في المناطق الوسطى والجنوبية عرضة لهجمات القبائل وحصارها(3)، وكذلك كانت

ص120، أحمد بن عبدالله الجنداري، الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، مخطوط، نسخة مصورة، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، رقم التصنيف: 109/ 2524 تاريخ وتراجم، ص178.

(1) غليس، التجديد في فكرة الإمامة، ص140.

(2) الشرجبي، الشرائح الاجتماعية، ص60 – 61, 231 .Weir, Tribal Order, p.

(3) صادق محمد الصفواني، الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م، ص91.

الخلافات القبلية والتنافس سببًا لعدم الاستقرار في البلاد حتى بات ظاهرة مهمة لكل الصراعات اللاحقة بين تلك القبائل[1]، مما أثر على الأوضاع الاقتصادية والأمنية في الدولة القاسمية.

ومن الأمور الملاحظة في تاريخ الدولة القاسمية أن سلطتها السياسية استندت إلى العلماء والزعامات القبلية بوصفهما عنصرين أساسين في تركيبتها البنيوية السياسية؛ وعقدت معهما تحالفًا قائمًا على تبادل المصالح؛ يضمن لكل الأطراف تحقيق المصالح السياسية والدينية والاقتصادية الخاصة. ومن غير المستبعد وجود صراع قوي داخل ذلك التحالف خاصةً بين الزعامات القبلية التي تعدُّ القوة العسكرية للسلطة السياسية، وبين العلماء الذين يعدون القوة الإيديولوجية لذات السلطة؛ لكن الذي يظهر أن العلماء لم يكونوا ليسمحوا للزعامات القبلية مشاركتهم في نفوذهم وسيطرتهم على الدولة والمجتمع؛ لأنهم يستمدون قوتهم من المكانة المرموقة والشعبية الكبيرة داخل المجتمع وبين العامة، خاصة في المناطق الحضرية، كصنعاء؛ لأن سكان تلك المناطق ينظرون إلى تلك القبائل نظرة عدائية بسبب اعتداءاتها المتكررة على مناطقهم؛ ومن المحتمل أن يكون هذا الأمر هو ما دفع بعض الأئمة إلى تشكيل فرق عسكرية نظامية من المماليك الأحباش، بهدف التقليل من الاعتماد على القبائل في بعض العمليات والتحركات العسكرية التي يلجؤون إليها من حين لآخر ضد خصومهم، لكن ذلك لم يلغِ دور زعماء القبائل الذين هم عنصر مهم في مكونات التركيبة البنيوية السياسية للدولة القاسمية.

(1) Manfred W. Wenner, The Yemen Arab Republic Development and Change in Land, Westview Press Inc, Colorado, 1991, p. 123.

## سادسًا/ الأمراء المماليك:

شكَّل الأمراء المماليك جزءًا من التركيبة البنيوية السياسية في الدولة القاسمية، ومعظمهم من الأفارقة، ومن الأحباش على وجه التحديد، الذين نالوا حريتهم من أسيادهم من الأئمة والأمراء القاسميين، لكنهم بقوا في خدمتهم، على أن بعضهم قد تمذهب بالمذهب الزيدي الذي كان مذهبًا رسميًا للدولة القاسمية.

وهذه الفئة المجتمعية اعتمد عليها عدد من الأئمة القاسميين في الإدارة والجيش وجباية الضرائب[1]، فعُيِّن عدد منهم ولاة على المدن، وعين بعضهم الآخر قادة للفرق العسكرية في الجيش والأمن والحرس الخاص. وتعدُّ الاستعانة بهؤلاء في شغل هذه الوظائف أمرًا مستحدثًا؛ لم يعرف في عهد الدولة القاسمية المبكر، في عهدي الإمام المنصور القاسم بن محمد، وابنه الإمام المؤيد محمد خاصةً، وإنما بدأ عند وصول الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم إلى سدة الحكم في عام 1054هـ/ 1644م، حيث لجأ إلى الاستعانة بعدد منهم. ومن أشهر الأمراء المماليك الذين التحقوا بخدمة الدولة القاسمية في عهده، النقيب سعيد بن فرحان[2]، الذي عُيِّن واليًا على المخا، ثم عمل مسؤولًا عن خزانة بيت المال، والنقيب عثمان بن زيد، الذي تولّى قيادة عدد من الفرق العسكرية، والنقيب الحاج فرحان بن عبدالله، الذي تولى إمارة قافلة الحج اليمنية لمدة خمس عشرة سنة[3]. ثم زاد الاعتماد عليهم كثيرًا في عهد

(1) العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص93.

(2) النقيب: لقب أطلق على زعماء القبائل أو الأمراء المماليك الذين كانوا يكلفون بقيادة الجيوش في الدولة القاسمية ثم احتفظوا بهذا اللقب وأصبحوا يعرفون به، هيكل، الإصلاح الديني، ص102.

(3) حسين بن عبدالله العمري، الأمراء العبيد والمماليك في اليمن، دار الفكر، دمشق، 1409هـ/ 1989م، ص55 – 56.

الإمام المهدي محمد بن المهدي أحمد (صاحب المواهب)؛ وخاصةً في الفرق العسكرية، حتى قيل عن فرقة الفرسان في عهده: «الخيل كانت ألف عنان أكثر ركابها من السودان»[1].

واستمر اعتماد الأئمة القاسميين على الأمراء المماليك في عهد الإمام المهدي العباس بن الحسين (1161 - 1189هـ)؛ ومن أشهرهم الأمير الكبير الماس المهدي أحد أعيان الدولة وقائد الجند في صنعاء[2]، والنقيب جارالله قائد فرقة الخيالة، فضلًا عن أن بعضهم عينوا ولاة على بعض المدن والموانئ، ومنهم الأمير وفق الله الذي تولى أمر ميناء الحديدة، في حين تولى الأمير فرحان أمر ميناء اللُّحَيّة، ثم خلفه الأمير الماس بن عبدالرحمن[3]، وتولى الأمير سعد بن يحيى العُلُفي ولاية رَيْمة وولاية المَخَا[4].

وشهد عهد الإمام المنصور علي بن العباس (1189 - 1224هـ) التحاق عدد كبير من الأمراء المماليك بخدمة الدولة بشكل لافت، ومن أبرزهم الأمير فيروز، والأمير سرور، والنقيب ريحان، والنقيب جوهر، والأمير زياد، وقد عملوا قادة للفرق العسكرية[5]، كما عين بعضهم ولاة ومنهم: الأمير يسر بن الماس، والأمير سعد بن زياد، والأمير سعد[6]. ويظهر أن السبب في تولي هؤلاء الأمراء المماليك المناصب الإدارية والعسكرية المهمة يرجع إلى الكفاءة

(1) أبو طالب، طيب أهل الكساء، ج2، ص255.
(2) زبارة، نشر العرف، ج3، ص1325 - 1326.
(3) زبارة، نشر العرف، ج2، ص813 - 819
(4) زبارة، نشر العرف، ج2، ص1246، ج3، ص1918.
(5) جحاف، درر نحور الحور العين، ص120، الجنداري، الجامع الوجيز، ص178، العمري، الأمراء العبيد، ص62 - 63.
(6) العمري، الأمراء العبيد، ص64 - 65.

والقدرة الإدارية والعسكرية التي يمتلكونها، فضلًا عن الولاء والطاعة لسادتهم لكونهم مماليك لهم، وسهولة عزلهم ومصادرة أملاكهم في أي وقت، إذا حدث منهم أخطاء أو ظهر منهم عصيان(1)؛ على أن بعضهم في مدة ضعف السلطة المركزية، كان يرفض قرار عزله وتنحيته عن منصبه؛ خاصةً ولاة المناطق النائية والبعيدة عن العاصمة، لكنهم يرضخون في النهاية إلى الأمر الواقع؛ لأنهم لا يملكون قوة تسندهم، ولا يتكئون إلا على السلطة السياسية؛ لذلك كانوا شديدي الالتصاق بها لدرجة كبيرة، ومن الأمثلة على ذلك الأمير سلطان بن حسن عامل المخا، الذي قاوم محاولة الأمير أحمد بن المنصور عزله عن المخا، بعد تولي الأخير إدارة شؤون الدولة إثر تنازل والده عن صلاحياته، إذ لم يعترف الأمير سلطان بصلاحيات الأمير أحمد بن المنصور في إدارة شؤون البلاد، بل لم يرسل الضرائب إلى صنعاء، وكانت عنده ميول للاستقلال بأمر المخا، لكن وفاة الإمام المنصور علي وتولي الأمير أحمد الإمامة في رمضان عام 1224هـ/ أكتوبر 1809م(2)، جعلت الأمير سلطان في نهاية المطاف يرضخ لقرار عزله الذي أصدره الإمام المتوكل أحمد(3).

لقد أسهم بعض المماليك الأحباش في تأجيج صراع القوى الذي كان يظهر داخل تركيبة السلطة السياسية في الدولة القاسمية بين الفينة والأخرى، فكانوا يدعمون قوىً على حساب قوىً أخرى وفقًا لمصالحهم، يضاف إلى ذلك أن العامل المذهبي قد أثّر على مواقفهم؛ ولذا نجد أن بعضهم كان يتعصب للمذهب الزيدي الهادوي تعصبًا شديدًا، فتراهم يميلون إلى ذاك الأمير أو الوزير على قدر

(1) العمري، الأمراء العبيد، ص58.

(2) حسين بن عبدالله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث 1161 – 1264هـ/ 1748 – 1848م، ط2، دار الفكر، دمشق، 1408هـ/ 1988م، ص166 – 167.

(3) العمري، تاريخ اليمن الحديث، ص167.

تمسكه بأصول المذهب الزيدي الهادوي، ومن أبرز هؤلاء المماليك سندروس الحبشي، وضرغام الحبشي، فقد عُرِف عن الاثنين المغالاة في التشيع[1]، كما انتسب بعضهم إلى أهل العلم، مثل: الفقيه رزق بن سعدالله الصنعاني[2]، الذي كان يميل إلى التيار الزيدي المتشدد[3] متأثرًا بآراء شيوخه الذين درس عليهم[4]. وفي المقابل نجد بعض المماليك قد مالوا نحو التيار الزيدي المعتدل[5]، ومن

(1) جحاف، درر نحور الحور العين، ص380، الشوكاني، البدر الطالع، ص864.

(2) رزق بن سعدالله بن محمد الصنعاني، كان أحد مماليك السيد محمد بن علي بن الحسين ابن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم، درس اللغة العربية على عدد من العلماء، كان الشوكاني يقول عنه: جندي تحلَّى بما ليس لهُ أهل، توفي في عام 1192هـ/ 1778م، للمزيد انظر: جحاف، درر نحور الحور العين، ص103 - 107.

(3) التيار الزيدي المتشدد: تيار فكري سياسي ظهر في الدولة القاسمية حافظ على ولائهم لمبادئ المذهب الزيدي الهادوي، خاصةً في قضايا الإمامة وشروطها، وقد نزع بعض علماء هذا التيار نحو الزيدية الجارودية، ومن رموز هذا التيار العلامة السيد عبدالله بن علي الوزير (ت1147هـ)، والفقيه الشيخ محمد بن صالح السماوي (ت1241هـ)، للمزيد انظر: المسعودي، إشكالية الفكر الزيدي، ص330 - 332، ص360 - 361، ص400، وبندر بن مطلق العصيمي، الصلات العلمية والفكرية بين الدولة السعودية الأولى والدولة القاسمية في اليمن (1157 - 1233هـ/ 1744 - 1818م)، ط1، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2019، ص41 - 43، ص110 - 113.

(4) جحاف، درر نحور الحور العين، ص103 - 107.

(5) التيار الزيدي المعتدل: تيار فكري سياسي ظهر في الدولة القاسمية تأثر بآراء أهل الحديث الإصلاحية في الحرمين الشريفين، ودعوتهم إلى العودة إلى ما كان عليه سلف الأمة عن طريق دراسة الحديث النبوي، ودعا إلى تجاوز شروط الإمامة إلى قضايا وجوبها، وواجبات الحاكم وحقوقه وحقوق الرعية وواجباتهم، وقد نادى علماء هذا التيار كذلك إلى الانفتاح على أهل السنة، ومن رموز هذا التيار العلامة السيد محمد بن الأمير الصنعاني (ت1182هـ)، والعلامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني (ت1250هـ)، للمزيد انظر: المسعودي، إشكالية الفكر الزيدي، ص292 - 293، ص400، والعصيمي، الصلات العلمية والفكرية، ص41 - 43، ص113 - 115.

أمثلة هؤلاء: النقيب سلطان الحبشي المسؤول عن دار الأدب في صنعاء، وقد أدى هذا القرب من السلطة السياسية إلى انخراط هؤلاء المماليك في الصراع الذي ظهر بين التيارات الفكرية داخل الدولة القاسمية، وبرز التنافس بينهم، وبين السادة العلويين والزعامات القبيلة، على قيادة العمليات العسكرية والقتالية التي كانت تقوم بها الدولة القاسمية ضد أعدائها.

لقد ساعدت التركيبة البنيوية السياسية للدولة القاسمية على رسم ملامح شرائح المجتمع فيها، وفرزها على النحو الآتي: أسرة حاكمة، تتمثل في الإمام وأبنائه وإخوته وأبناء عمومته؛ وهم في الطبقة الأولى، ثم الأعيان من السادة العلويين والعلماء وزعماء القبائل، فضلًا عن قادة الجيش من أبناء الريف والأمراء المماليك؛ وهؤلاء كانوا في الطبقة الثانية، وهؤلاء يمكن تسميتهم بالخاصة أو أهل الحل والعقد. أما الطبقة الثالثة فهم الرعية أو العامة، والتي تكونت من أبناء القبائل –وهم الغالبية – وأبناء المدن والأرياف، وقليل من اليهود الذين تعود جذورهم في اليمن إلى ما قبل الإسلام، وتجار من طائفة البانيان[1] وجماعات من الأحباش، الذين شكلوا مجموعات تعمل في مجال الإنتاج والتجارة وبعض المهن، وهي فئة مرتبطة بالجماعات السياسية المحلية[2]، وقد

(1) الهنود البانيان: هم جماعة من الهندوس قدموا من ولاية كوتشن الهندية، قاموا بدور الوكلاء التجاريين للشركات الأوروبية، وخاصة الإنجليزية، وكانوا يمارسون التجارة في مناطق الخليج العربي وبعض مناطق جنوب الجزيرة العربية، وكانوا أيضًا يقرضون صيادي اللؤلؤ، للمزيد انظر: نورة بنت محمد القاسمي، الوجود الهندي في الخليج العربي 1820 – 1947م، ط2، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2000م، ص36.

(2) Martha Mundy, Domestic government: kinship, community and polity in North Yemen, I. B. Tauris and Co Ltd, London, 1995, p. 13, Paul Dresch, Tribes, Government, and History in Yemen, Oxford University Press, New York, 1989, p. 3.

أشار أحد المفكرين اليمنيين المتأخرين إلى أن الدولة القاسمية كانت تستند استنادًا واضحًا إلى نهج سياسي قام على التعددية المذهبية والجهوية والعشائرية حتى تضمن بقاءها واستمرارها في الوجود[1]، ويظهر أن هذا النهج السياسي في الحقيقة قائم على مبدأ فرق تسد من أجل المحافظة على سلطتها ومصالحها.

## ثانيا/ العوامل التي ساعدت على بروز مكانة العلماء في البنية السياسية بالدولة القاسمية:

ظهرت عدة عوامل ساعدت على بروز مكانة العلماء في البنية السياسية بالدولة القاسمية، ومكنتهم من المشاركة في إدارة البلاد والإسهام في صنع بعض القرارات، وأبرز تلك العوامل:

### 1 – النهضة العلمية في اليمن:

شهد اليمن منذ القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، ظهور جيل من العلماء برعوا في شتى المعارف والعلوم، كعلوم القرآن الكريم، والتفسير، والحديث، والفقه، والعقيدة، واللغة العربية، والأدب، والتاريخ، والفلك. ومن الأسباب التي أسهمت في النهضة العلمية في اليمن:

**أولًا**: الاستقلال عن النفوذ العثماني في الجزيرة العربية بعد جلاء القوات العثمانية عن اليمن عام 1045هـ/ 1635م، ودخول البلاد مرحلة الاستقرار السياسي في عهدي الإمام المؤيد محمد بن القاسم، والإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم.

**ثانيًا**: انتشار الهجر العلمية في مختلف أرجاء البلاد، إذ كانت تمثل مدارس ومراكز علم مستقلة في طرحها العلمي والفكري عن السلطة السياسية، ومن

(1) عبدالعزيز المقالح، قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة، دارة العود، بيروت، 1982م، ص9.

أشهر هجر العلم في اليمن: الكِبْس[1]، وشَوكان[2]، وسُودَة شَظَب[3]، ووادِعة[4]، والبيوتات العلمية في بيت الفَقِيه[5]، وقد أصبحت هذه الهجر العلمية رافدًا للمراكز العلمية القديمة في اليمن، مثل: صنعاء، وتعز، وزبيد، وذمار، وصعدة، وغيرها،

(1) الكِبْس: قرية كبيرة تقع في جنوب شرق صنعاء، في منطقة اليمانية السُفلى ببلاد خولان العالية، سُميت بهذا الاسم نسبة إلى بني كِبْس أقيال قبيلتي (تُنْعِم وتَنْعمة)، للمزيد انظر: الحجري، بلدان اليمن وقبائلها، ج4، ص661 - 662، والأكوع، هجر العلم، ج4، ص1785 - 1791، والمقحفي، البلدان والقبائل اليمنية، ج3، ص1682 - 1684.

(2) شَوْكان: قرية في بني سِحام من خولان العالية في شرق صنعاء، تُنسَب إليها أسرة العلامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني، وقد أسهم علماؤها في حث قبائل بلاد خولان على قتال العثمانيين إبان وجودهم الأول، للمزيد انظر: الحجري، بلدان اليمن وقبائلها، ج3، ص458، والأكوع، هجر العلم، ج4، ص2249 - 2289، والمقحفي، البلدان والقبائل اليمنية، ج2، ص1074.

(3) سُودَة شَظَب: بلدة قرب السُّودة جهة عمران شمال غرب صنعاء، وسُميت بهذا الاسم نسبةً إلى أحد الجبال التي تقع فوقه، وقد كانت من مدارس العلم في اليمن، وفيها قبور طائفة من العلماء، للمزيد انظر: الحجري، بلدان اليمن وقبائلها، ج3، ص452، والأكوع، هجر العلم، ج2، ص985 - 1001، والمقحفي، البلدان والقبائل اليمنية، ج2، ص1054.

(4) وادِعة: تقع في سُرَّة وادِعة بخمر شمال صنعاء، وسُميت بهذا الاسم نسبةَ لقبيلة وادِعة إحدى بطون حاشد، ويُنسب لهجرة وادِعة أسرة آل الوَادِعِي المنحدرين من سلالة الإمام المؤيد محمد بن الإمام القاسم، للمزيد انظر: الأكوع، هجر العلم، ج4، ص2313 - 2315، والمقحفي، البلدان والقبائل اليمنية، ج3، ص2211 - 2212.

(5) بيت الفَقِيه: مدينة مشهورة تقع جنوب شرق الحديدة، عُرِفت باسم الفقيه أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عُجَيْل المتوفى بها عام 690هـ/ 1291م، وقد اشتهرت المدينة بوجود عدد من العلماء الذين قصدهم طلاب العلم من كافة نواحي اليمن، للمزيد انظر: الأكوع، هجر العلم، ج1، ص221 - 236، والمقحفي، البلدان والقبائل اليمنية، ج2، ص1422 - 1424، وعبدالله بن خادم العمري، النهضة الأدبية في اليمن بين عهدي الحكم العثماني 1045 - 1333هـ، وبيوتات العلم في مثلث التواصل صنعاء، تهامة، المخلاف السليماني، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 1425هـ/ 2004م، ج1، ص383 - 456.

ويذكر الأكوع أن «سبب ازدهار العلم في اليمن من غير انقطاع يعود إلى أن هجر العلم كانت في منأى عن ميادين الصراع على الحكم، وبعيدة عن مسرح التنافس والنزاع على السلطة، فلم تتعرض تلك الهجر إلى زحف جيوش المتصارعين على الحكم والسلطة، ولا إلى غارات واعتداءات القبائل المتعطشة للسلب والنهب»[1].

**ثالثًا**: تشجيع الأئمة الأوائل في الدولة القاسمية أبناء الأسرة الحاكمة على طلب العلم والانشغال به، وإعدادهم ليكونوا على قدر كبير من تحمل المسؤولية في إدارة شؤون البلاد، فضلًا عن تشجيع العلماء الزيود على التأليف والبحث من أجل المحافظة على بقاء المذهب الزيدي، ومن ذلك سعي الإمام المؤيد محمد بن القاسم إلى إحياء المدارس العلمية، وتشجيع العلماء على نشر العلم، وتحفيز طلبة العلم والتكفل بنفقاتهم[2]، كما اهتم الإمام المتوكل إسماعيل بالعلم، وحرص على تأليف الكتب وشرائها، ويُذكر أنه عند وفاته ترك مكتبة ثمينة أوقف ثلثها، وقسم على الورثة ثلثيها اللذين بلغا خمسة وعشرين ألف مجلد[3].

ولم تقتصر العناية بالعلم على علماء الزيدية؛ لأننا نجد أن العلماء الشوافع قد عملوا على المحافظة على وجودهم بمقاومة المد الزيدي السياسي والفكري على مناطقهم، فبرزت زبيد مركزًا علميًا للمذهب الشافعي؛ واللافت للنظر أنه من خلال تتبع تراجم بعض العلماء وطلبة العلم الزيود يظهر أن عددًا منهم قد درسوا في زبيد على أيدي علمائها لاسيما في علم الحديث وأسانيده[4].

(1) الأكوع، هجر العلم، ج1، ص9.
(2) الشهاري، حكام الإمام المهدي، ص27.
(3) عامر بن محمد بن عبدالله بن عامر، بغية المريد وأنيس الفريد، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1433هـ/ 2012م، ص574 – 575.
(4) للمزيد انظر: عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، النفس اليماني، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1979م، ص100 – 111.

**رابعًا**: رحيل عدد من العلماء وطلبة العلم إلى خارج اليمن من أجل طلب العلم، ولاسيما إلى الحجاز؛ حيث الحرمان الشريفان، فقد كانا من أهم المراكز العلمية في الجزيرة العربية، بل في العالم الإسلامي، وتشير كتب التراجم اليمنية إلى أن عددًا من العلماء وطلبة العلم اليمنيين درسوا على علماء الحرمين ونالوا إجازات علمية.

**خامسًا**: إقبال الناس على التحصيل العلمي، وشراء الكتب واقتنائها ونسخها وتجليدها والاهتمام بها، حيث أولى بعض الموسرين من أفراد الأسرة القاسمية وغيرهم عناية باقتناء الكتب وتحصيل العلم والتشجيع عليه، ووقف كثير منها على طلاب العلم وشيوخه في خزائن الهجر، ومكتبات الجوامع الكبيرة في صنعاء وذمار ويريم وتعز وصعدة وزبيد، وغيرها من المدن والحواضر الأخرى[1].

## 2 – المكانة الدينية والعلمية والاجتماعية للعلماء في الدولة والمجتمع:

تمتع بعض العلماء – ممن نالوا قدرًا كبيرًا من العلم – خاصةً الذين وصلوا إلى مرحلة الاجتهاد – بمكانة دينية وعلمية داخل طبقة العلماء، وأصبحت لآرائهم وأفكارهم التي يطرحونها صدىً لدى الخاصة والعامة، فضلًا عن غزارة نتاجهم العلمي والفكري، وبالتحديد علماء الزيدية الذين كان لهم القدح المعلّى؛ لكون المذهب الزيدي هو المذهب الرسمي للدولة القاسمية، وبسبب ذلك كان تأثيرهم الروحي والعقدي كبيرًا؛ فضلًا عن أن الدين الإسلامي رفع من قدر العلم وأهله وهو ما منح طبقة العلماء مكانة مرموقة داخل بنية الدولة القاسمية.

وتركزت مهمة العلماء على تحقيق سلامة عقيدة الناس، والحرص على تصحيح الخلل في تلك العقيدة إن وجد، وتوجيه الناس لكل ما يمسُّ الأعمال

(1) حسين عبدالله العمري، ومحمد أحمد الجرافي، الحسن بن أحمد الجلال حياته وآثاره، دار الفكر، دمشق، 1421هـ/ 2000م، ص30.

التعبدية كالصلاة والزكاة والصيام، تحقيقًا لأهداف سامية كإقامة الشعائر الإسلامية والمحافظة على الدين القيم والعقيدة. وكان العلماء يرون أنفسهم من أصحاب الحل والعقد؛ وهذا أمر ترسخ لديهم بسبب رسوخ تلك المقولة في عقول الناس اعتمادًا على ما كان سائدًا في الموروث الفقهي الإسلامي، وتقريب السلطة لهم، فهم يعدون أنفسهم أيضًا وسطاء بين الحاكم والرعية؛ لأن الإجراءات الرسمية (البروتوكولات) كانت سببًا في عزل الحاكم عن الرعية[1].

إن تركيز العلماء على مركزية علوم الشريعة قد مكَّنهم من تحقيق النجاح والسيطرة على جميع مجالات المعرفة لاسيما العلوم المرتبطة بها، مثل علوم اللغة العربية والشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلك وغيرها من العلوم، كما نجحوا في السيطرة على المدارس وحلقات العلم في المساجد على حساب السلطة السياسية التي كانت معظم المدارس وحلقات العلم في المساجد خارج نفوذها وتأثيرها.

وأدرك أئمة الدولة القاسمية مكانة العلماء الدينية والعلمية ودورهم، فعملوا على إجلالهم وتقديرهم وتقريبهم، ومن أولئك الأئمة الإمام المهدي العباس (1161 – 1189هـ/ 1748 – 1775م) الذي كان يميل إلى أهل العلم، ويحب مجالسة العلماء، ويتقرب منهم، وكان يرى الفضل لأهل العلم على الإطلاق[2]، وكان مشتغلًا بالعلم بعد توليه الإمامة اشتغالًا كبيرًا من خلال الاطلاع على الكتب والقراءة على عدد من العلماء لاسيما في علم الحديث، ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين حرص على تقريبهم ومجالستهم العلامة السيد عبدالله بن لطف

(1) هيكل، الإصلاح الديني، ص91.

(2) زبارة، نيل الوطر، ج2، ص155.

الباري الكبسي(1)، الذي كان مقبول الكلمة عنده، ولا ترد لهُ شفاعة، وهو ممن اشتهر عند الناس بالإرشاد إلى الخير(2). وكان للعالم علي بن أحمد الذماري(3)، جاه عظيم عند الإمام المهدي العباس وأرباب دولته، كذلك كان العالم السيد الحسن بن زيد الشامي(4)، مقبول الكلمة عند الإمام المهدي العباس، وعند وزيره أحمد بن علي النهمي، في القضايا التي تخص الفقراء والمحتاجين من عامة الناس، ومن نصحه لهما أنه كان يدعوهما إلى الرفق بالرعية ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(5)، كما كان العلامة السيد إبراهيم بن محمد بن الأمير، يزور الإمام المهدي العباس ويعظه، فيقبل منه، وبلغ الأمر أن الإمام

---

(1) عبدالله بن لطف الباري بن عبدالله الكبسي الصنعاني، ولد في صنعاء عام 1110هـ/ 1697م، ودرس على يد علماء زمانه في الحديث والفقه والتفسير والنحو والمنطق، ومن أشهر هؤلاء العلماء، العلامة إبراهيم العلفي، والسيد محمد بن إسحاق، والعلامة محمد الكبسي، والعلامة عبدالخالق الزين المزجاجي، والفقيه علي بن محمد العنسي، وتخرج على يده عدد من العلماء الأعلام، أبرزهم الشيخ عبدالله الغراسي، والشيخ يحيى السحولي، وغيرهم، وتوفي في صنعاء عام 1173هـ/ 1760م، للمزيد انظر: الحوثي، نفحات العنبر، ج2، ص210 – 213.

(2) الشوكاني، البدر الطالع، ص399.

(3) علي بن أحمد بن ناصر الشجني الذماري، ولد في ذمار عام 1123هـ/ 1710م، وأخذ عن علمائها، مثل: القاضي شمس الدين بن محمد المجاهد والفقيه الحسن بن أحمد الشبيبي، والسيد العلامة عبدالقادر بن أحمد الكوكباني في أثناء زيارته لذمار، وتصدر للتدريس في كتاب «شرح الأزهار» و «البحر الزخار» و «البيان»، وأخذ عنه جمع غفير من طلبه العلم، وكانت وفاته في عام 1201هـ/ 1787م، الطالبي، مطلع الأقمار، ص252 – 257، زبارة، نيل الوطر، ج2، ص154 – 155.

(4) الحسن بن زيد بن حسين الشامي، من علماء اليمن خلال القرن الثاني عشر الهجري، برع في عدد من العلوم، خاصةً في الحديث حتى سمي بإمام السنة، ودرس على يده خلق كثير. توفي في صنعاء عام 1175هـ/ 1762م، الحوثي، نفحات العنبر، ج1، ص642 – 643.

(5) الشوكاني، البدر الطالع، ص212 – 213.

المهدي العباس بات لا يحتجب عنه، ويرغب في مجالسته والاستماع إليه[1].

أما الإمام المنصور علي (1189 – 1224هـ/ 1775 – 1809م)، فقد أحاط نفسه بعدد كبير من العلماء، فكان يأنس بمجالستهم ومحادثتهم ومشاورتهم، ومن هؤلاء العلماء – على سبيل المثال لا الحصر – القاضي العلامة محمد بن صالح أبي الرجال[2]، والذي عرف عنه كثرة إنكار المنكر على مرأىً ومسمع من الإمام المنصور علي[3]، كذلك حرص كل من الإمام المتوكل أحمد (1224 – 1231هـ/ 1809 – 1816م) وابنه الإمام المهدي عبدالله (1231 – 1251هـ/ 1816 – 1835م) على إحاطة نفسيهما بعدد من العلماء ومن أشهرهم العلامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني، والعالم السيد محمد بن الحسن المحتسب[4]، والأخير كان من أبرز جلساء الإمامين المتوكل أحمد وابنه الإمام المهدي

(1) زبارة، نيل الوطر، ج1، ص96.

(2) محمد بن صالح بن محمد أبو الرجال، ولد في صنعاء عام 1146هـ/ 1733م، ونشأ فيها، وشارك في علوم الأدب واللغة، وفن الأخبار، وحفظ السير وتاريخ الأئمة والملوك والعلماء والأدباء والأعيان، واتصل بالسلطة السياسية في صنعاء أيام الإمام المنصور علي بن عباس، الذي كان كثيرًا ما يطلبه في المواقف والضيافات، وعمل في الديوان القاسمي مرافقًا للسيد القاسم بن عباس، وتوفي في صنعاء عام 1224هـ/ 1809م، للمزيد انظر: الحوثي، نفحات العنبر، ج3، ص280 – 296.

(3) الشوكاني، البدر الطالع، ص693.

(4) محمد بن الحسن المحتسب الصنعاني، ولد في صنعاء حوالي عام 1170هـ/ 1757م، وأخذ العلم عن جماعة من علماء صنعاء، منهم العلامة السيد محمد بن محمد البنوس في علوم اللغة العربية، والعلامة الشيخ علي بن محمد الشوكاني في الصحيحين، وشارك في علم السنة مشاركة قوية، وعمل بالأدلة، ولم يقلد أحدًا، واتصل بالإمام المتوكل أحمد بن علي، وبالإمام المهدي عبدالله بن أحمد، وتوفي في قرية القابل عام 1257هـ/ 1841م، الشوكاني، البدر الطالع، ص677.

عبدالله، حتى أنه بات مرافقًا شخصيًا لهما[1]، كما كان الشيخ محمد بن مهدي الحماطي من المقربين من الإمام المهدي عبدالله بل من أبرز جلسائه، وقد قرأ عليه بعض المختصرات العلمية[2]، ومن أبرز جلساء الإمام المهدي أيضًا، العالم محمد بن صالح العصامي[3]، والعالم محمد بن مهدي الصنعاني[4].

إن المكانة الاجتماعية في المجتمعات تُكتَسب بفعل عدد من العوامل بعضها سياسية أو اقتصادية أو علمية أو بالنسب، وإذا تتبعنا مكانة العلماء في عهد الدولة القاسمية نجد أنهم قد تمتعوا بمكانة اجتماعية مميزة ومرموقة معترف بها وبعلمها في المجتمع؛ نظرًا لنشاطهم في مجال التعليم والفتيا، وهو ما منحهم سلطة فكرية مستقلة عن الإمامة خاصةً بعد فترة الضعف التي مرَّت بها مؤسسة الإمامة نتيجة الصراع على الحكم وتحولها إلى سلطة وراثية وحكم أسري منذ أواخر القرن

(1) زبارة، نيل الوطر، ج2، ص297.

(2) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، 2008م، ج2، ص679 – 682.

(3) محمد بن صالح العصامي الصنعاني، ولد في عام 1188هـ/ 1774م، وأخذ عن جماعة من العلماء ومنهم الشيخ محمد بن علي الشوكاني في الحديث والأصول، وبرع في علوم اللغة العربية وعلم الكلام، وحفظ التواريخ وأيام الخلفاء والسلاطين، وأصبح من علماء صنعاء الذين يشار إليهم، اتصل بالإمام المهدي عبدالله بن أحمد، وتوفي في عام 1263هـ/ 1847م، البدر الطالع، ص695 – 696، زبارة، نيل الوطر، ج2، ص313 – 314.

(4) محمد بن مهدي الضمدي الصنعاني، ولد في قرية الشقيري من تهامة عام 1193هـ/ 1779م، ودرس في تهامة على يد القاضي أحمد بن عبدالله الضمدي، ثم رحل إلى صنعاء لطلب العلم، وأخذ عن السيد العلامة إبراهيم بن عبدالقادر، والسيد العلامة عبدالله بن محمد الأمير، والشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني، وغيرهم من علماء صنعاء، ودرس النحو والصرف والمنطق والتفسير والفقه والحديث، واتصل بالإمام المهدي عبدالله بن أحمد وبرجال دولته، وتوفي في صنعاء عام 1269هـ/ 1853م، للمزيد انظر: زبارة، نيل الوطر، ج2، ص367 – 372.

الحادي عشر الهجري؛ ففي هذه المدة لم يعد بمقدرة الأئمة التدخل في شؤون العقيدة والشريعة والأحكام القضائية والفتيا، بل أصبحوا مجرد حماة للشريعة، وساهرين على حفظ الأمن، وتطبيق الحدود الشرعية، مع الاحتفاظ بحقوقهم في تحصيل الزكاة.

كان الناس ينظرون إلى العلماء على أنهم الطبقة الاجتماعية الأولى في الاقتداء، وهذا مؤشر على تأثيرهم الكبير والثقة العميقة تجاههم، فقد كانوا يرونهم أكثر فئات المجتمع تمسكًا بتعاليم الإسلام وأحرصهم على تطبيق مبادئه[1]؛ يضاف إلى ذلك أن تأثير العلماء الروحي والعقدي أعطاهم القدرة على حشد العامة، وهو ما منحهم مزيدًا من القوة داخل المجتمع، وقد تنبهت السلطة السياسية لمكانتهم وحاولت الاستفادة منهم فيما يخدم مصالحها.

أما العلماء فكانوا يرون أنفسهم دعاة إصلاح، ولذا خالطوا الناس، وقربوا منهم، وكانوا يفتونهم ويوجهونهم؛ لأنهم يعدون ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالشق الأول من هذه الشعيرة يقتضي تعليم الناس، وإرشادهم، وتفقيههم في دينهم، وحثهم على البر والإحسان وقضاء الحوائج والمشاركة الإيجابية الفاعلة في الحياة بوجه عام، أما الشق الآخر وهو النهي عن المنكر فيقتضي منهم تنبيه الناس إلى ما يقعون فيه من خطأ أو ظلم على الصعيد الشخصي أو على الصعيد العام، وفي هذا السياق كانوا يوجهون النقد لبعض سياسات الأئمة، ومن ذلك موقف العلماء من حالة البذخ والأبهة والإسراف

(1) محمد بن علي الشوكاني، رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين، دار ابن حزم، بيروت، 1413هـ/ 1992م، ص74 - 75، أشواق أحمد غليس، فكر الشوكاني السياسي وأثره المعاصر في اليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 1428هـ/ 2007م، ص151.

التي وصلت لها الدولة في بعض المراسم والاحتفالات الرسمية، التي كانت على حساب الرعية، الذين تفرض عليهم الضرائب والغرامات والمصادرات من أجل تلبية مصاريف السلطة[1].

ومن المهام التي عني بها العلماء الإصلاح بين الناس عند تنازعهم وتخاصمهم، وهذا الأمر ترك أثرًا إيجابيًا على علاقتهم بالمجتمع، ولم يكن الإصلاح مقتصرًا على العامة بل كان لهم دور في الإصلاح بين أفراد الأسرة الحاكمة وبين السادة العلويين والأعيان، ومنها مصالحة الإمام المتوكل القاسم بن الحسين بعد خروج بعض أمراء الأسرة القاسمية على سلطته من أبرزهم العلامة محمد بن إسحاق، لكنه تمكن من تسوية أموره معه بدون قتال، بعد وساطة بعض أفراد الأسرة القاسمية والعلماء[2].

(1) الشهاري، حكم الإمام المهدي، ص261.

(2) محمد بن إسحاق بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام المنصور القاسم، ولد في الغراس عام 1090هـ/ 1680م، وبها ترعرع، رحل مع والده إلى كوكبان عندما عين واليًا لإحدى مناطقها في عهد الإمام المهدي صاحب المواهب، ثم انتقل إلى بلاد وُصَاب بعد تعيين والده واليًا عليها، وقد تلقى تعليمه على عدد من علماء عصره، ومنهم والده والعلامة السيد هاشم بن يحيى الشامي، والقاضي إبراهيم بن أبي الرجال، والقاضي محمد الحيمي، وصار إمامًا في علم الفقه والكلام، واشتهر بالشعر، وقد اعتنى بجمع الكتب في جميع العلوم والفنون وانكب على مطالعتها، خلف والده في الولاية على بلاد وُصَاب، وقد دعا إلى مبايعته بالإمامة أكثر من مرة، وتعرض للسجن والاعتقال ثم أطلق سراحه، توفي في صنعاء عام 1167هـ/ 1754م، للمزيد انظر: إبراهيم بن عبدالله الحوثي، نفحات العنبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر، تحقيق عبدالله بن عبدالله الحسيني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1429هـ/ 2008م، ج3، ص87 - 124، والشوكاني، البدر الطالع، ص643 - 646.

كذلك تدخل العلماء في حل الخلافات التي كانت تنشب بين الفينة والأخرى بين الإمام المنصور حسين وأخيه أحمد بن المتوكل القاسم حاكم تعز، وهو ما ساعده على الاستمرار في الحكم حتى وفاته في عام 1161هـ/ 1748م[1]، كما تدخل العلماء للمصالحة بين الإمام المهدي عبدالله وبين قبائل بكيل والقبائل المتحالفة معها في عام 1233هـ/ 1818م بعد حصارها لمدينة صنعاء[2].

وكان للعلماء دور في إصلاح العادات والأخلاق الاجتماعية وتهذيبها عن طريق المخالطة والوعظ والتأديب والتربية، فضلًا عن وقوفهم إلى جانب الضعفاء والمساكين عند أصحاب النفوذ؛ لأنهم كانوا يشعرون بالمسؤولية نحو فئات المجتمع كلها، وهذه المهام التي كان العلماء يؤدُّنها جعلت لهم أثرًا كبيرًا عند العامة والخاصة؛ لأن ما يفعلون أسهم في التصحيح والنقد لحركة المجتمع وإصلاح أحواله. وهناك عدد من العلماء الذين اشتهروا بمواساة الفقراء من عامة الناس ومخالطتهم والجلوس إليهم والإصلاح بينهم، منهم العلامة السيد محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، والعالم الحسن بن علي حنش[3]، والعلامة السيد محمد بن هاشم الشامي[4]، والعلامة هادي بن حسين

(1) الكبسي، اللطائف السنية، ص399، ص251، العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص120.

(2) الكبسي، اللطائف السنية، ص405 - 406، العمري، مئة عام من تاريخ اليمن، ص220.

(3) الحسن بن علي بن الحسن حنش، ولد في شهارة عام 1153هـ/ 1740م، ورحل إلى صنعاء لطلب العلم، فدرس الحديث والفقه والقراءات السبع، ومن أشهر شيوخه السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، والقاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن، والسيد العلامة عبدالقادر بن أحمد الكوكباني، وغيرهم، توفي في صنعاء عام 1225هـ/ 1810م، للمزيد انظر: الشوكاني، البدر الطالع، ص215 - 218.

(4) محمد بن هاشم بن يحيى الشامي، ولد في عام 1140هـ/ 1727م، نشأ بصنعاء فأخذ عن جماعة من أهلها ومنهم والده، كان إمام البلاغة وحامل لواء الفصاحة، ولهُ ميول نحو

الصنعاني[1]، والعلامة السيد إبراهيم بن محمد بن إسحاق[2].

كذلك اشتهر العلامة السيد إبراهيم بن محمد الأمير[3]، بمجالسة العامة والاختلاط بهم، وتعليمهم أمور دينهم، ومثله العالم الفقيه أحمد بن محمد

---

التصوف؛ لأنه ممن أخذ عن العلامة جمال الدين علي بن عمر القناوي المصري عند وفادته لصنعاء، كان مقربًا من الوزير والفقيه أحمد بن علي النهمي، ولهُ اتصال بالإمام المهدي العباس بن الحسين، توفي في صنعاء عام1207هـ/ 1792م، للمزيد انظر: الحوثي، نفحات العنبر، ج3، ص179 – 180، والشوكاني، البدر الطالع، ص790 – 791، نيل الوطر، ج2، ص374.

(1) هادي بن حسين القارني الصنعاني، ولد في صنعاء عام 1164هـ/ 1751م، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع على بعض مشايخها، وأخذ علم الفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف والمعاني والبيان عن عدد من كبار علماء صنعاء، منهم الشيخ العلامة أحمد بن محمد الحرازي، والشيخ العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، والشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني، توفي في صنعاء عام 1238هـ/ 1823م، للمزيد انظر: الشوكاني، البدر الطالع، ص837 – 838، زبارة، نيل الوطر، ج2، ص425.

(2) إبراهيم بن محمد بن إسحاق المهدي، ولد في كوكبان عام 1141هـ/ 1728، نشأ في صنعاء، وأخذ العلم عن والده، وعن الشيخ العلامة علي بن إبراهيم بن عامر وغيرهما، ثم قرأ على مشايخ الحديث في زمانه أمثال الشيخين العالمين محمد بن علاء المزجاجي، وعبدالخالق بن أبي بكر المزجاجي؛ لذا كان يميل إلى العمل بما صح من الأحاديث النبوية، توفي في عام 1241هـ/ 1826م، للمزيد انظر: الحوثي، نفحات العنبر، ج1، ص150 – 153، وزبارة، نيل الوطر، ج1، ص89.

(3) إبراهيم بن محمد الأمير الصنعاني، ولد في صنعاء في عام 1141هـ/ 1728م، درس علوم اللغة العربية والحديث والتفسير على والده، ثم درس على يد العلامة يوسف بن الحسين زبارة ونال إجازة عامة منه، له عدة مؤلفات، من أشهرها: كتاب «فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن»، وكتاب «فتح المتعال الفارق بين أهل الهدى والضلال»، هاجر إلى مكة المكرمة وبها توفي في عام 1213هـ/ 1798م، للمزيد انظر: الحوثي، نفحات العنبر، ج1، ص154 – 162، والشوكاني، البدر الطالع، ص426.

الحرازي[1]، الذي اعتمد الناس عليه في الفتوى، وقصدوه لحلِّ المشكلات من كل مكان، وانتفعوا به في قضاء حوائجهم[2].

### 3 – التحاق العلماء بالعمل في وظائف الدولة الرسمية:

أتاحت المكانة الدينية والعلمية والاجتماعية التي حظي بها العلماء في عهد الدولة القاسمية لهم تقلد مناصب رسمية والعمل داخل مؤسسة الحكم، والالتحاق بعدد من الوظائف الإدارية المهمة، مثل: الوزارة، والقضاء، والولاية، والشؤون الخاصة (الحجابة)، والشؤون المالية (الخزانة)، فضلًا عن أن السلطة السياسية كلفتهم ببعض المهام، فعملوا وسطاء ومفاوضين ومبعوثين. وأشارت المصادر التاريخية إلى أن أئمة الدولة القاسمية كانوا أيضًا يُعينون بعض العلماء قضاة يأخذون أجورهم من المتخاصمين[3].

لقد حاول أئمة الدولة القاسمية كسب العلماء واحتواءهم عبر إشراكهم في أعمال الدولة ومنحهم المناصب خوفًا من التحاقهم بالمنافسين من داخل الأسرة القاسمية أو السادة العلويين، ومن أشهر العلماء الذين دخلوا في خدمة الدولة

(1) أحمد بن محمد بن أحمد بن مطهر الحرازي، ولد في ذمار عام 1158هـ/ 1745م، وقرأ الفقه على العلامة عبدالقادر بن حسين الشويطر، والسيد العلامة الحسين بن يحيى الديلمي، ثم انتقل إلى صنعاء، واتصل بعدد من العلماء والشيوخ مثل العالم أحمد بن محمد قاطن، والعالم إسماعيل بن يحيى الصديق، توفي في عام 1227هـ/ 1812م، للمزيد انظر: الحوثي، نفحات العنبر، ج1، ص267 – 268، والحسن بن الحسين الطالبي، مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرأ فيها وحقق من أهل الأمصار، تحقيق عبدالله بن عبدالله الحسيني، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 1423هـ/ 2002م، ص352 – 353، والشوكاني، البدر الطالع، ص111 – 112.

(2) زبارة، نيل الوطر، ج1، ص316.

(3) للمزيد انظر: الشوكاني، البدر الطالع، ص172 – 173.

الشيخ أحمد بن عبدالرحمن الشامي، والشيخ إسماعيل بن يحيى الصديق، والشيخ أحمد بن محمد قاطن، والشيخ ناصر بن حسين المحبشي، والشيخ يحيى بن صالح السحولي، والشيخ محمد بن علي الشوكاني، ومعظم هؤلاء سبق لهم أن تقلدوا رئاسة القضاء الأكبر، التي تعد من أهم الوظائف الرسمية في الدولة القاسمية، وبعضهم جمع بين رئاسة القضاء الأكبر والوزارة.

### 4 – تحول الإمامة في الدولة القاسمية إلى سلطة وراثية وحكم أسري:

ساعد تحول الإمامة إلى سلطة وراثية وحكم أسري على بروز دور سياسي للعلماء في الدولة القاسمية بل كان عاملًا رئيسًا ومهمًا، لاسيما بعد فقدان الأئمة المتأخرين في الدولة القاسمية مقومات الإمامة السياسية والدينية التي كانت تمنحهم الشرعية في الحكم، والمتمثلة في أهم عنصرين هما: العلم والاجتهاد، إذ أصبح تفسير الشريعة وإصدار الأحكام الشرعية والإفتاء من مهام العلماء، وهو ما دفع الأئمة إلى الاستعانة بهم وتقريبهم من السلطة حتى أصبحوا جزءًا منها لتغطية النقص الذي باتت تعاني منه، ولأنهم أدركوا أن دعم العلماء لهم يمنحهم الشرعية السياسية والدينية لذلك لابد من احتوائهم.

لكن سياسة الاحتواء وإشراك العلماء في أعمال الدولة لم تنجح دائمًا، ولذا نجد أن بعض العلماء الذين اعتزلوا الاتصال بالسلطة، كانوا يوجهون النقد لها، وإلى من اتصل بها من أقرانهم، ولا يعلم إن كان ذلك التحول من هؤلاء العلماء زهدًا وورعًا منهم بالفعل، أو أنه نقمة وعدم رضا عن السلطة؛ لأن المصادر لم تشر بوضوح إلى موقفهم، ومن أبرز هؤلاء العلماء السيد أحمد بن صلاح الخطيب[1]، الذي اعتزل الاتصال بالسلطة، وأصبح يحذر من الاتصال بها،

(1) أحمد بن صلاح بن يحيى الخطيب، ولد في شبام في عام 1137هـ/ 1724م، وقرأ على والده، ثم رحل إلى صنعاء، ودرس على السيد أحمد بن إسحاق المهدي، ولازمه حتى

واعتذر عن قبول عطاياها بزعم خوفه من اختلاطها بالزكاة التي لا تحلّ للسادة العلويين[1]، ومنهم العلامة السيد محمد بن هاشم الشامي الذي رفض -أيضًا- الالتحاق بالوظائف الرسمية بعد أن عرضت السلطة عليه الأمر أكثر من مرة[2]، وكان العلامة الفقيه إبراهيم بن أحمد الروضي[3]، قد اعتزل الاتصال بالسلطة ولم يقبل من عطاياها، وسبق أن استدعاه الوزير القاضي الحسن بن علي حنش أكثر مرة لكنه اعتذر؛ فلما أصر الوزير على لقائه ذهب إليه؛ فلما جلس عنده قال للوزير: «اتق الله تعالى، واعلم أن الله استعملك على ما أنت فيه، وأنه ناظر ماذا تعمل، فلا يجدك بمحل آخر»[4]، وقام عنه، فطلب الوزير منه الدعاء له، فدعا بهذه الآية: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، وكررها ثلاث مرات، ثم قام عنه[5]، كذلك رفض العلامة الحسن بن

---

تخرج على يده، واعتنى بالتفسير والحديث دراية ورواية، وعمل بما أدى إليه اجتهاده، وبعدها اعتزل الناس ومال إلى التصوف، وأصيب بالعمى في آخر حياته، وكانت وفاته في صنعاء عام 1196هـ/ 1782م، للمزيد انظر: الحوثي، نفحات العنبر، ج1، ص355 - 256.

(1) زبارة، نيل الوطر، ج2، ص374.

(2) زبارة، نيل الوطر، ج2، ص374.

(3) إبراهيم بن أحمد اليعمري الروضي، ولد في الروضة بالقرب من صنعاء عام 1164هـ/ 1751م، ودرس الفقه والفرائض والحديث على عدد من علماء زمانه، ومنهم السيد العلامة الحسين بن عبدالله الكبسي، والسيد العلامة محمد بن عبدالله لطف الباري الكبسي، والسيد العلامة علي بن إبراهيم بن محمد الأمير، الذي لازمه دهرًا طويلًا، واشتهر بين الناس بالورع والزهد وحسن السمت وكثرة الانقطاع للعبادة والذكر، وقصده الناس من أنحاء اليمن، وكانت وفاته في صنعاء عام 1223هـ/ 1808م، للمزيد انظر: زبارة، نيل الوطر، ج1، ص49 - 54.

(4) زبارة، نيل الوطر، ج1، ص50.

(5) زبارة، نيل الوطر، ج1، ص50 - 51.

إسماعيل الصنعاني[1]، تولي القضاء في عهد الإمام المهدي العباس، وصمم على الامتناع والرفض[2]، كما رفض القاضي العلامة عبدالقادر بن حسين الشويطر[3] العمل في القضاء بعد أن عرض عليه الإمام المهدي العباس ذلك[4].

تطرح مواقف العلماء الذين اعتزلوا الاتصال بالسلطة ورفضوا الالتحاق بالوظائف الرسمية التساؤل الآتي: هل كانت السلطة السياسية تنظر إلى العلماء كحلفاء أو كمنافسين حتى تكسب رضاهم أو تحتويهم؟

إن نظرة السلطة إلى العلماء كانت متفاوتة؛ وسبب ذلك راجع إلى مكانة العالم الاجتماعية، فإن كان ينتسب إلى طبقة السادة العلويين، فإن السلطة السياسية في صنعاء تنظر إليه منافسًا؛ لاسيما إذا ظهر منه ما يدل على سخطه على الدولة أو نادى بإسقاطها، أما إن كان لا ينتمي إلى هذه الطبقة فإنها تنظر إليه حليفًا يساعدها في المحافظة على سلطتها ونفوذها، واللافت هنا أن بعض

(1) الحسن بن إسماعيل بن الحسين الصنعاني، ولد في صنعاء عام 1141هـ/ 1728م تقريبًا، ودرس فيها على أيدي عدد من العلماء الفقه والحديث والتفسير والنحو والصرف والمنطق، ومن أشهر شيوخه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والسيد الحسين إسماعيل الشامي، وقد نبغ في علوم الفقه والتفسير واللغة العربية، وتتلمذ على يده عدد من مشاهير العلماء، منهم الشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني، والقاضي الحسين بن أحمد السياغي، وتوفي في صنعاء عام 1208هـ/ 1794م، للمزيد انظر: زبارة، نيل الوطر، ج1، ص457 – 459.

(2) زبارة، نيل الوطر، ج1، ص459.

(3) عبدالقادر بن حسين الشويطر الذماري، ولد في ذمار عام 1148هـ/ 1735م وأخذ عن الفقيه الشهير الحسن بن أحمد الشبيبي، وعن الفقيه سعيد بن عبدالرحمن السماوي، والفقيه عبدالله بن حسين دلامة، وغيرهم من العلماء، وأصبح من مشاهير علماء بلده، محققًا في الفروع والأصول، ولهُ معرفة بعلم النجوم، عرف عنه الزهد والعبادة، وتوفي عام 1197هـ/ 1783، للمزيد انظر: زبارة، نشر العرف، ج2، ص972 – 973.

(4) زبارة، نشر العرف، ج2، ص972.

العلماء كانوا يتوارثون المناصب الرسمية وخاصةً في القضاء خلفًا لآبائهم؛ وهذا دليل على ولاء هؤلاء العلماء وأسرهم للدولة القاسمية، وهو مؤشر أيضًا على رضا الدولة عنهم، ومن هذه الأسر، أسرة السحولي، والصديق، والجلال، ومشحم.

ويلاحظ أن هناك قسمًا من العلماء الذين كانوا خارج التركيبة البنيوية السياسية للدولة القاسمية، قد شكلوا عنصرًا مهمًا من عناصر المعارضة، فصاروا جماعة ضغط على السلطة السياسية، فمثلًا كان العلامة السيد الحسن بن زيد الشامي يحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان كثير الاتصال بالسلطة السياسية لمناصحتها، والسعي لديها من أجل معاونة الفقراء من عامة الناس[1]، وسار على نهجه العالم أحمد بن عامر الحدائي[2]؛ إذ كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، إلا أنه اعتزل الاتصال بالسلطة السياسية، وقد أثر عنه أنه كان يغضب من السلطة إذا بلغه ما يخالف الشرع من ممارساتها ضد الرعية[3]؛ وكان العلامة الفقيه سعيد بن إسماعيل الرشيدي[4]، كثير السعاية عند الأمراء والوزراء في إغاثة المحتاجين والفقراء، ويوجه النقد إلى عمال الدولة على مرأى

(1) الحوثي، نفحات العنبر، ج1، ص642 - 643.

(2) أحمد بن عامر الحدائي الصنعاني، أخذ علم الفقه والفرائض عن جماعة من علماء صنعاء، ثم تصدر للتدريس والإفتاء في جامع صنعاء الكبير، درس على يده عدد من علماء صنعاء، من أشهرهم الشيخ محمد بن علي الشوكاني. توفي في صنعاء عام 1197هـ/ 1783م، الشوكاني، البدر الطالع، ص81.

(3) الشوكاني، البدر الطالع، ص81.

(4) سعيد بن إسماعيل بن علي الرشيدي، ولد في عام 1163هـ/ 1750م، درس الفقه في ذمار على يد عدد من العلماء حتى صار من أكابر العلماء في الفروع، رحل إلى صنعاء، وعمل قاضيًا في عهد الإمام المهدي العباس بن الحسين، وكان يلقب بمفتي الزيدية في صنعاء، توفي في عام 1220هـ/ 1805م، زبارة، نيل الوطر، ج2، ص12 - 14.

ومسمع من الناس[1]، وكان العالم لطف الباري بن أحمد الثلائي[2]، يزور الإمام المهدي العباس مرة كل شهر للمناصحة، واستمر على هذه الطريقة مع ابنه الإمام المنصور علي[3].

وتشير المصادر التاريخية إلى أن العلامة السيد إبراهيم بن محمد الأمير ناصح الإمام المنصور علي، عندما زار الإمام في داره ببئر العزب، وأنكر عليه التوسع في البنيان وعمارة القصور وأشياء أخرى، إلا أن الإمام على ما يبدو لم يستجب لتلك المناصحة. ولما كان العلامة إبراهيم الأمير غير راضٍ عن ممارسات السلطة السياسية، غادر صنعاء عام 1194هـ/ 1780م، متوجهًا إلى مكة المكرمة، وفي رحلته مرَّ بالحديدة، فصادف يوم وصوله يوم الجمعة، فصعد منبر جامع الحديدة وخطب، وذكر للناس انتكاس الزمان وتغير أمر السلطان[4]، وهذا يدل على أهمية مكانة العلماء السياسية في الدولة القاسمية.

لقد أسهمت النهضة العلمية في اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، والمكانة الدينية والعلمية والاجتماعية للعلماء في الدولة والمجتمع، فضلًا عن التحاقهم بالعمل في وظائف الدولة الرسمية، وكذلك تحول الإمامة إلى سلطة وراثية وحكم أسري منذ نهاية القرن الحادي

(1) زبارة، نيل الوطر، ج2، ص12 – 13.

(2) لطف الباري بن أحمد بن عبدالقادر الثلائي، نشأ في ثلا وأخذ عن جماعة من علمائها، ثم ارتحل إلى صنعاء ودرس على السيد العلامة القاسم بن محمد الكبسي، والشيخ العلامة أحمد بن محمد قاطن، برع في جميع العلوم ولاسيما الحديث والتفسير، عين خطيبًا لجامع صنعاء الكبير في عهد الإمام المهدي العباس بن الحسين، واستمر على الخطابة في عهد الإمام المنصور علي بن العباس، توفي في صنعاء عام 1211هـ/ 1797م، الشوكاني، البدر الطالع، ص578 – 579.

(3) الشوكاني، البدر الطالع، ص578 – 579.

(4) جحاف، درر نحور الحور العين، ص440، زبارة، نيل الوطر، ج1، ص96 – 97.

عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، في بروز مكانةً سياسيةً مهمةً لهم في البنية السياسية بالدولة القاسمية، وهو ما مكنهم من المشاركة في الأحداث السياسية التي شهدها اليمن خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (السابع عشر والثامن عشر الميلاديين) خاصةً مع تشكل تيارات فكرية سياسية بين العلماء وقفت من قضايا الإمامة واستحقاقها مواقف مختلفة، ومن هذه التيارات التيار الزيدي المتشدد، والتيار الزيدي المعتدل، فما كان من أئمة الدولة القاسمية إلا أن اختاروا التحالف مع علماء التيار الزيدي المعتدل، لأنهم وجدوا أطروحاتهم السياسية تحافظ على سلطتهم ومصالحهم، فقربوهم ومنحوهم المناصب الدينية، كالقضاء والإفتاء والإشراف على الأوقاف والمناصب الإدارية كالوزارات وولايات الأقاليم والحجابة، والمناصب المالية كالخزانة والجبايات، واكتفى الأئمة بإدارة السياسة العليا للدولة وتعيين أولئك العلماء وغيرهم في مناصبهم.

## الخاتمة:

تأسست الدولة القاسمية – كسابقاتها من الدول الزيدية في اليمن – على أسس دينية، حينما أقامها العالم المجتهد الإمام المنصور محمد بن القاسم. وقد اهتم خلفاؤه من الأئمة المجتهدين وغيرهم بدعم العلم الشرعي ونشره ورعاية وسائله ومؤسساته وتشجيع العلماء وطلبة العلم وتقريبهم. وقد نتج عن ذلك حركة علمية واسعة في اليمن وبروز علماء مجتهدين خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) والقرنيين التاليين.

في حين افتقر منصب الإمامة في الدولة القاسمية إلى الإمام العالم المجتهد بعد الإمام الثالث، الإمام المتوكل (ت1087هـ/ 1676م)، واستمرت الحركة العلمية في اليمن في النمو والتوسع، ما أتاح للعلماء رفع مكانتهم في الدولة ومشاركة الأئمة في الأمور الدينية والسياسية والإدارية.

كان الأئمة من العلماء المجتهدين هم الذي يتولون تفسير النصوص الدينية من القرآن والأحاديث وإصدار الأحكام والفتاوى ويبتون في الأمور الدينية الكبرى في الدولة، فلما افتقد منصب الإمامة العلم والاجتهاد مع نهاية القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) احتاج الأئمة إلى كفاءة العلماء لتولي تلك المهام وشغل المناصب الدينية والسياسية والإدارية في الدولة مثل: القضاء والإفتاء والوزارة وحكم الأقاليم والشؤون المالية.

تطابقت توجهات ومصالح أئمة القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري (الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي) الذين صاروا ملوكًا مع توجهات ومصالح علماء التيار الزيدي المعتدل؛ فقربوهم ومنحوهم المناصب الدينية، كالقضاء والإفتاء والإشراف على الأوقاف والمناصب الإدارية كالوزارات وولايات الأقاليم والحجابة، والمناصب المالية كالخزانة والجبايات، واكتفى الأئمة بإدارة السياسة العليا للدولة وتعيين أولئك العلماء وغيرهم في مناصبهم.

وهكذا أخذت مكانة العلماء في الدولة القاسمية خلال القرن الثاني عشر الهجري، وحتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري (الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي) تتطور في تناسب عكسي مع المكانة الدينية والعلمية للأئمة، واقتسم حكام الشرع المكانة الدينية والاجتماعية في الدولة والمجتمع مع الحكام السياسيين، وصار الحكام السياسيون في حاجة إلى مساعدة حكام الشرع ومساندتهم ودعم شرعيتهم.

## المصادر والمراجع:

### 1 – المصادر:

- الأمير، أمة الغفور عبدالرحمن، **الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي**، مع تحقيق مخطوط: **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم محمد، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 1429ه/ 2008م.
- الثور، أمة الملك إسماعيل قاسم، **بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد المؤيد محمد بن القاسم** 990 – 1054هـ/ 1582 – 1644م، مع تحقيق مخطوط: **الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة**، للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 1429هـ/ 2008م.
- جحاف، لطف الله بن أحمد، **درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين**، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1425هـ/ 2004م.
- الجنداري، أحمد بن عبدالله، **الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز**. مخطوط، نسخة مصورة، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، رقم التصنيف: 109/ 2524تاريخ وتراجم.
- الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، د. ت.
- الحسني، يحيى بن الحسين الهاروني، **الإفادة في تاريخ الأئمة السادة**، ط4، مكتبة أهل البيت، صعدة، 1435هـ/ 2014م.
- ابن الحسين، يحيى، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، ج2، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب، القاهرة، 1968م.
- الحوثي، إبراهيم بن عبدالله، **نفحات العنبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر**، تحقيق عبدالله بن عبدالله الحسيني، ثلاثة أجزاء، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1429هـ/ 2008م.

- الشوكاني، محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ط2، تحقيق حسين بن عبدالله العمري. دار الفكر المعاصر، دمشق، 1431هـ/ 2010م.
- الشوكاني، محمد بن علي، **رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين**، دار ابن حزم، بيروت، 1413هـ/ 1992م.
- الشوكاني، محمد بن علي، **الدواء العاجل في دفع العدو الصائل**، مجموعة الرسائل المنيرية، المطبعة العربية، القاهرة، 1343هـ، ج2.
- الطالبي، الحسن بن الحسين، **مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرأ فيها وحقق من أهل الأمصار**، تحقيق عبدالله بن عبدالله الحسيني مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 1423هـ/ 2002م.
- أبوطالب، محسن بن حسن، **طيب أهل الكساء**، حققه عبدالله بن محمد الحبشي، ضمن مجموعة من المخطوطات التي تتعلق بتاريخ الدولة القاسمية تحت عنوان: **تاريخ اليمن، عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول من سنة 1052 – 1160هـ**، مطابع المفضل للأوفست، تعز، 1411هـ/ 1990م.
- عاكش، الحسن بن أحمد، **عقود الدرر بتراجم علماء القرن الثالث عشر**، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، 2008م.
- ابن عامر، عامر بن محمد بن عبدالله، **بغية المريد وأنيس الفريد**. صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، 1433هـ/ 2012م.
- قاطن، أحمد بن محمد، **إتحاف الأحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن بعض أهل العصر**، جزءان، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1429هـ/ 2008م.
- الكبسي، محمد، **اللطائف السنية في الممالك اليمنية**، تحقيق وضبط خالد أبا زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1426هـ/ 2005م.
- ابن محمد، الإمام القاسم، **الأساس لعقائد الأكياس**، تحقيق ألبير نصري نادر، دار الطليعة، بيروت، 1980م.
- الوزير، عبدالله بن علي، **طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى**، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 2007م.

## 2 – المراجع:


- الأحمري، عبدالرحمن بن عبدالله، **الاستيلاء العثماني الأولى على صنعاء والسيطرة على اليمن** (953 – 954هـ/ 1547م)، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، 1439هـ/ 2017م.
- الأكوع، إسماعيل بن علي، **الزيدية نشأتها ومعتقداتها**، دار الفكر، بيروت، 1993م،
- الأكوع، إسماعيل بن علي، **هجر العلم ومعاقله في اليمن**، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/ 1995م.
- الأهدل، عبدالرحمن بن سليمان، **النفس اليماني**، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1979م.
- الحجري، محمد بن أحمد، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ط3. مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1425هـ/ 2004م.
- زبارة، محمد بن محمد، **نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشر** ﷺ، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبدالجواد، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/ 1998م.
- زبارة، محمد بن محمد، **نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف (نبلاء اليمن بالقرن الثاني عشر للهجرة)**، الجيل الجديد، صنعاء، 1433هـ/ 2012م.
- زيد، علي محمد، **تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري**، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، 1997م.
- سالم، سيد مصطفى، **الفتح العثماني الأول لليمن**، جامعة صنعاء، صنعاء، 2006م.
- السالمي، محمود علي محسن، **محاولة توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين الأول** 1045 – 1097هـ/ 1635 – 1685م، **الدولة القاسمية**، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق، 2000م.
- ابن سليمان، عبدالله بن حمزة، **الشافي**، تحقيق وتعليق مجدالدين بن محمد المؤيدي، ط1، مكتبة أهل البيت، صعدة، 1429هـ/ 2008م.
- الشجني، محمد بن الحسين، **التقصار في جيد زمان علامة الأقاليم والأمصار شيخ**

**الإسلام محمد بن علي الشوكاني**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1994.

- الشرجبي، قائد نعمان، **الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني**، دار الحداثة، بيروت، 1986م.
- الشهاري، محمد علي، **اليمن في ظل حكام الإمام المهدي1097 - 1130هـ/ 1686 - 1718م**، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1429هـ/ 2008م.
- صبحي، أحمد محمد، **الزيدية**، ط2، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1404هـ/ 1984م.
- الصفواني، صادق محمد، **الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي** وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، صنعاء، 1425هـ/ 2004م.
- عارف، أحمد عبدالله، **الصلة بين الزيدية والمعتزلة**، دار أزال للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.
- العصيمي، بندر بن مطلق، **الصلات العلمية والفكرية بين الدولة السعودية الأولى والدولة القاسمية في اليمن** (1157 - 1233هـ/ 1744 - 1818م)، ط1، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2019
- عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.
- العمري، حسين بن عبدالله، **مئة عام من تاريخ اليمن الحديث** (1161 - 1264هـ/ 1748 - 1848م)، ط2، دار الفكر، دمشق، 1408هـ/ 1988م.
- العمري، حسين بن عبدالله، **الأمراء العبيد والمماليك في اليمن**، دار الفكر، دمشق 1409هـ/ 1989م.
- العمري، حسين عبدالله، **تاريخ اليمن الحديث والمعاصر** (922 - 1336هـ/ 1516 - 1918م)، دار الفكر، دمشق، 1418هـ/ 1997م.
- العمري، حسين عبدالله، والجرافي، محمد أحمد، **الحسن بن أحمد الجلال حياته وآثاره**، دار الفكر، دمشق، 1421هـ/ 2000م.

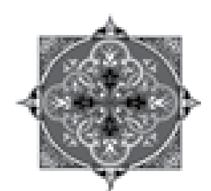
- العمري، عبدالله بن خادم، **النهضة الأدبية في اليمن بين عهدي الحكم العثماني 1045 - 1333هـ، وبيوتات العلم في مثلث التواصل صنعاء، تهامة، المخلاف السليماني**، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م.
- غليس، أشواق أحمد، **التجديد في فكرة الإمامة عند الزيدية في اليمن**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1417هـ/ 1997م.
- غليس، أشواق أحمد، **فكر الشوكاني السياسي وأثره المعاصر في اليمن**، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 1428هـ/ 2007م.
- ابن القاسم، الحسين، **آداب العلماء والمتعلمين**، الدار اليمانية للنشر والتوزيع، صنعاء، 1987م.
- القاسمي، نورة محمد، **الوجود الهندي في الخليج العربي** 1820 - 1947، ط2، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2000م.
- القنوجي، صديق حسن خان، **أبجد العلوم**، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- المسعودي، عبدالعزيز قائد، **إشكالية الفكر الزيدي في اليمن المعاصر**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008م.
- المقالح، عبدالعزيز، **قراءة في فكر الزيدية و المعتزلة**، دار العودة، بيروت، 1982م.
- المقحفي، إبراهيم، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ط5، الجيل الجديد، صنعاء، 1432هـ/ 2011م.
- هيكل، برنارد، **الإصلاح الديني في الإسلام تراث محمد الشوكاني**، ترجمة علي محمد زيد، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2014م.
- باوزير، سعيد عوض، **صفحات من تاريخ حضرموت**، دار الوفاق، عدن، 2012م.

### 3 – المراجع باللغة الإنجليزية:

- M. Niebuhr, **Travels Through Arabia and Other Countries in The East**. London: R. Morison and son, Booksellers, 1792.
- Martha Mundy, **Domestic government: kinship, community**

**and polity in North Yemen**, I. B. Tauris and Co Ltd, London, 1995.

- Mohammed Ahmed Zabarah, **Yemen Traditionalism Vs. Modernity**, Praeger Publishers CBS Educational and Professional Publishing a Division of CBS Inc. New York. 1982.
- Paul Dresch, **Tribes, Government, and History in Yemen**, Oxford University Press, New York, 1989.
- Shelagh Weir, **Tribal Order Politics and Law in the Mountains of Yemen**, The University of Texas Press, 2007.



# الاستشراق بين خدمة الاستعمار وتوجه النفوذ الغربي نحو الشرق

د. إسكندر محمد النيسي[1]
د. هادي فضل العولقي[2]

## ملخص البحث:

سيتناول البحث التعريفات والنشأة التاريخية للاستشراق ومراحله المختلفة، وأيضًا تشخيص دور بعض الشخصيات من المستشرقين في مجالات عديدة، وتوجهات الغرب في تعميق حركة الاستشراق تجاه الشرق بمختلف الأهداف: الدينية - التجارية - السياسية - العلمية. كما رافق ذلك تأسيس بعض الجمعيات التي روجت للاستشراف وكيف وظفوا المستشرقين لخدمة الاستعمار، وأيضا سيتطرق البحث إلى دور المفكر العربي والناقد والمحلل الأكاديمي الفلسطيني الأصل (إدوارد سعيد) الذي فضح وشخّص وحلل وانتقد مسار الاستشراق في كل توجهاته، وكيف استطاع إدوارد سعيد أن يفند طبيعة العلاقات بين الشرق والغرب وكيف عمل الغرب على مهاجمته بعد أن أصدر كتابه حول الاستشراق،

(1) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك - جامعتي عمران وعدن.
(2) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - جامعة عدن.

وكشـف الطريقـة التـي يتعامـل بهـا الغـرب مـع الشـرق بطريقـة مذلـة ومنقوصـة مـن قبـل المستشـرقين الغربييـن.

**Abstract:**

The research will cover definitions and historical origins of Orientalism and its various stages. He also diagnosed the role of some Orientalist figures in many fields, and the orientations of the West in deepening the Orientalist movement towards the East with various objectives. Religious, commercial, political and scientific.

It was also accompanied by the establishment of some associations that promoted foresight and how Orientalists employed Orientalism to serve colonialism. Edward Said was able to refute the nature of relations between East and West and how the West attacked him after he published his book on Orientalism, and revealed the way in which the West deals with the East in a humiliating and incomplete by Western Orientalists.

## مقدمة البحث:

الاستشراق فكرة غربية انطلقت نحو الشرق منذ العصور الوسطى، وبالذات بعد الفتوحات الإسلامية وازدهار الثقافة العربية – الإسلامية، وظهور العلماء العرب والمسلمين وبروزهم في مختلف العلوم، في الوقت الذي كانت أوروبا غارقة في الحروب والصراع الديني والتخلف الثقافي والحضاري، وتزامنت مع إرسال الحملات الصليبية إلى منطقة الشرق الأوسط منبع الديانات السماوية، وكان ذلك تحت طابع ديني مدعوم من الكنيسة. ومن منذ تلك اللحظة وظفت حركة الاستشراق بالطابع الديني والفكري نحو الشرق لدراسة حضارته وأديانه وثقافته ولغته، وحتى اللهجات السائدة فيه، واستطاع المستشرقون الوصول

إليها بهدف تشويه اللغة العربية وتسخير كل مقومات الشرق الحضارية والثقافية لخدمة الاستعمار والاستشراق من خلال المستشرقين الذين يحملون أفكار التعصب للغرب ونشر ثقافته المصطنعة من خليط من الثقافات، والمرتبطة بمزيج من ثقافة الديانتين اليهودية والنصرانية. فالمستشرقون تمحورت وركزت أكثر أعمالهم على تشويه معتقدات الشرق عمومًا والإسلام والعرب والمسلمين خصوصًا وثقافاتهم. وأكثر الدراسات التي قدمت من المستشرقين كانت في خدمة الدول الاستعمارية التي استعمرت الشرق منذ القرن السابع عشر حتى الحرب العالمية الثانية، ومنطقة الشرق الأوسط ظل فيها الاستعمار البريطاني والفرنسي حتى سبعينيات القرن الماضي، وغادر المنطقة بعد أن زرع استعمارًا جديدًا ومحتلًا مغتصبًا للأراضي العربية المقدسة، يتمثل باليهود الصهاينة منذ عام 1948م حتى يومنا هذا. فجاء المستعمر الجديد لمنطقة الشرق الأوسط بالقواعد العسكرية والأساطيل، وأصبح المتحكم بالقرار السياسي والاقتصادي للمنطقة دون منافس، وصارت (الولايات المتحدة الأمريكية) الراعية الأولى للديمقراطية في الشرق الأوسط، وهي التي بدأت هذه الديمقراطية بتدمير العراق من عام 1991م وصولًا إلى تدمير الدول العربية الأخرى وتفتيتها من خلال أكذوبة مكافحة الإرهاب وتداعيات الربيع العربي، اللذان يعتبران صناعة أمريكية وإسرائيلية لزعزعة الاستقرار الدولي والإقليمي.

## أهداف البحث:

- معرفة النشأة التاريخية للاستشراق وظهوره وتعريفاته.
- التعرف على دور الجامعات والمعاهد والمراكز العلمية والبحثية، التي كان لها دور كبير في ظهور الاستشراق ودعم المستشرقين.
- كشف الأهداف الرئيسة للاستشراق نحو الشرق وتشخيصها.

- تحليل وجهة نظر المستشرقين بمختلف آرائهم.
- إبراز الدور المشرف للمفكر العربي إدوارد سعيد الذي فضح توجهات الاستشراق في كل مراحله وتوجهاته وقيَّمها.

## أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه سينقل إلى القارئ جملة من التحليلات والأفكار العلمية ووجهات النظر المختلفة من قبل مجموعة كتبوا عن الاستشراق، وبحسب رغباتهم وتوجهاتهم، لذا تأتي أهمية هذا البحث بأنه سيستعرض كل الأفكار التي ذكرت ويحللها بحيادية حتى نصل إلى نتائج مقنعة نقدمها للقارئ.

## مشكلة البحث:

لا يخلو أي بحث من مشكلة. والمشكلة التي صادفتنا هي قلة المراجع الحديثة حول الاستشراق، وأيضا عدم توفر المصادر والمراجع الحديثة والمعاصرة؛ فاتضح لنا أن هناك خمولًا وركودًا في كتابة أبحاث ورسائل علمية معاصرة في هذا الشأن، فكتاب إدوارد سعيد حول الاستشراق والمستشرقين الذي ترجم إلى عدة لغات عالمية، وانتقاداته المتكررة للاستشراق، قد قطعت الطريق أمام الغرب والمستشرقين في مواصلة موضوع الاستشراق نحو الشرق؛ لذا أصبح موضوع الاستشراق قديمًا بالنسبة للغرب طالما قواعدهم وأساطيلهم العسكرية موجودة في المنطقة.

## منهجية البحث:

استخدمنا المنهج التاريخي الذي يسرد المراحل التاريخية للاستشراق، واستفدنا أيضا من المنهج الوصفي والتحليلي في وصف مسار المستشرقين وطبيعة توجهات الاستشراق وتحليل المنعطفات التاريخية والأهداف التي رافقت توجهات الاستشراق نحو الشرق.

# المبحث الأول

## التعريف والنشأة وظهور الاستشراق

### المطلب الأول: تعريف الاستشراق:

الاستشراق Orientalisn تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما[1].

وهناك تعريف آخر حول الاستشراق: هو أنه دراسة كافة البنى الثقافية للشرق من وجهة نظر غربية، وتستخدم كلمة الاستشراق أيضًا للتدليل أو التصوير لجانب من الحضارات الشرقية لدى الرواة والفنانين في الغرب. ولكن المعنى الأخير مهمل ونادر استخدامه، والاستخدام الأغلب هو دراسة الشرق في العصر الاستعماري ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

لذلك صارت كلمة الاستشراق تدل على المفهوم السلبي، وتنطوي على التفاسير المضرة والقديمة للحضارات الشرقية والناس الشرقيين، وجهة النظر هذه مبينة في كتاب إدوارد سعيد الاستشراق المنشور سنة 1978م[2].

(1) إدوارد سعيد: كتاب الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981م، ص27.

(2) المرجع نفسه، ص33.

## المطلب الثاني: نشأة وظهور الاستشراق:

هناك صعوبة في التحديد الدقيق لنشأة وظهور الاستشراق؛ إذ إن بعض المؤرخين يعودون به إلى الدولة الإسلامية في الأندلس، وآخرين إلى أيام الصليبيين، بينما كثيرون يرجعون ذلك إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري، وهناك من يطرح بأن الاستشراق وليد الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني أيام الصليبيين، عن طريق السفارات والرحلات، ويلاحظ دائما أن هناك تقاربًا وتعاونًا بين الثالوث المدمر: (التنصير، الاستشراق، الاستعمار)[1].

والحقيقة الأكثر وضوحًا أن ظهور حركة الاستشراق وانطلاقها جاءت بباعث ديني يهدف إلى خدمة الاستعمار وتسهيل عملية نشر المسيحية.

وهناك رؤية أخرى تقول بأن ازدهار المسيحية والإسلام خلق خلافًا حضاريًّا كبيرًا بين أوروبا المسيحية والشرق وشمال إفريقيا الإسلامي في العصور الوسطى، حيث كان الأوروبيون المسيحيون يرون المسلمين أعداء جهنميين لهم، وكانت معرفة الأوروبيين للحضارات أبعد شرقًا من الشرق الإسلامي، ولكن كان هناك معرفة قليلة للحضارات الهندية والصينية.

فالاستشراق أساسًا يعد حديث الظهور، إلا أن معرفة الشرق وما يتعلق به من أفكار يعود إلى الأزمان الغابرة. أما الزمن الذي بدأ فيه الاستشراق ينمو، فقد كان في القرن الخامس عشر والسادس عشر عبر المساعي التي بذلها الباحثون من إيطاليا وبريطانيا والبرتغال لدراسة الشرق، وكان من بين هؤلاء الباحثين الشاب المبدع (توماس هربرت) الأكثر قدرة ومهارة؛ لكونه استطاع أن يصل إلى السواحل الجنوبية لإيران قادمًا من الهند بالتنسيق مع السفير البريطاني آنذاك،

(1) محمد جاسم الموسوعي: الاستشراق في الفكر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1993م، ص 111.

فركزت أبحاثه حول إيران والإيرانيين في القرن السابع عشر والثامن عشر، ومن هنا أخذ الاستشراق بالانتشار في أوروبا في تلك الفترة؛ لكون أوروبا قد دخلت في عصر النهضة وتطورت العلوم فيها؛ بعد أن تخلصت من سيطرة الكنيسة التي كانت تحرم ابتكارات العلماء ونظرياتهم إذا لم يأتِ ذلك بموافقتها[1].

ولكن هناك من يعيدنا إلى بداية الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي، حينما صدر قرار مجمع فييّنا الكنسي عام 1312م؛ وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية.

ولكن لم يظهر مفهوم الاستشراق Orientalism في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولًا في إنجلترا عام 1779م، وفي فرنسا عام 1799م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م، وفي أواخر القرن السابع عشر الميلادي أصبحت مدينتا لندن وباريس من أهم المراكز الرئيسة في تدريس الاستشراق، فضلًا عن ذلك فهناك خمس جامعات أوروبية تبنت دراسة الاستشراق وهي: جامعة باريس، جامعة أكسفورد، وجامعة بولونيا بإيطاليا، وجامعة سلمنكا بإسبانيا، فضلًا عن جامعة البابوية في روما.

كما قام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة، ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية.

وقد اهتم عدد من المستشرقين اهتمامًا حقيقيًّا بالحضارة الإسلامية وحاولوا أن يتعاملوا معها بموضوعية، فنجح عدد قليل منهم في هذا المجال، ولكن حتى هؤلاء الذين حاولوا أن ينصفوا الإسلام وكتابه ورسوله، لم يستطيعوا أن ينفكّوا

(1) مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1979م، ص 42.

من تأثير ثقافتهم وعقائدهم، فصدر منهم ما لا يقبله المسلم من المغالطات والتحريفات؛ ولهذا يخطئ من يظنهم منصفين[1].

## المطلب الثالث: مراحل الاستشراق وآراء المستشرقين:

### مراحل الاستشراق:

ينقسم الاستشراق إلى ثلاث مراحل أساسية، وتتمحور المراحل الثلاث للاستشراق في قضيتين هامتين:

القضية الأولى: هي الجمع والتعريف والربط للاستشراق بالإسلام ومسألة الصراع الديني.

القضية الثانية: هي معرفة العمومية والبحث عن الكليات واستخراج ما يمكن من الدراسات الشرقية باعتبارها إنتاجًا فكريًا يهتم بالشرق عامة. وأهم هذه المراحل:

- **المرحلة الأولى**: (الدفاع عن الذات).

من خلال الطعن في الإسلام والتقليل من مكانته في حياة الناس من قِبَل رجال الكنيسة باستخدام السلاح الديني، وامتدت هذه المرحلة طيلة العصور الوسطى.

- **المرحلة الثانية**: (بناء الذات).

عن طريق دعم حركة التأليف والترجمة في كل الموضوعات التي تخدم المصالح الغربية، باستخدام السلاح الثقافي، وهذه المرحلة من القرن 14م حتى نهاية القرن 17م.

- **المرحلة الثالثة**: (الهجوم، ومركزة الذات).

(1) نجيب العقيقي: المستشرقون، الجزء الأول، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1980م ص 158.

عن طريق الاستعمار والتحكم بالتوجه الثقافي والاقتصادي والسياسي، باستخدام سلاح الغزو الأوروبي العسكري، وتشمل هذه المرحلة من القرن 19م حتى القرن20م(1). وما تعيشه المنطقة العربية حاليًّا في القرن 21 هو امتداد لهذه المرحلة.

**- مستشرقون يتصفون بالحيادية ولا يتصف كلهم بالإنصاف:**

برزت بعض الشخصيات من المستشرقين في مجالات مختلفة، وهم:

1 - هاردريان ريلاند: ت 1718 Hardrian Roland أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندا، له كتاب الديانة المحمدية في جزأين باللغة اللاتينية سنة 1705م، لكن الكنسية في أوروبا وضعت كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها.

2 - يوهان ج. رايسكه: 1716 - 1774م J. J. reiske وهو مستشرق ألماني، اتهم بالزندقة لموقفه الإيجابي من الإسلام، عاش بائسًا ومات مسلولًا، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا.

3 - سلفستر دي ساسي: ت 1838م Silvestre de Saucy اهتم بالأدب والنحو مبتعدًا عن الخوض في الدراسات الإسلامية، وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزًا للدراسات العربية، وكان ممن اتصل به رفاعة الطهطاوي.

4 - توماس أرنولد: 1864 - 1930م إنجليزي، له الدعوة إلى الإسلام الذي نقل إلى التركية والأردية والعربية.

5 - غوستاف لوبون: مستشرق وفيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان مطلقا، جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية. ولديه مقولة يعترف فيها أن مؤرخي العرب كان يعوزهم النقد، وأن مهارة النقد قد ظهرت عند ابن خلدون بدرجة عالية؛ هذا مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره.

(1) ينظر إلى المصدر http: //www. goloob. com /reponses. php?ques=266020

6 – زيجريد هونكه: اتسمت كتابتها بالإنصاف، وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب في مؤلفها الشهير شمس العرب تسطع على الغرب[1].

7 – إرنست رينان: 1892 – 1823) Ernest Renan) مستشرق فرنسي اهتم بدراسة التاريخ بشكل عام، وهو صاحب الرأي الذي عبّر عنه في محاضرته التي ألقاها في جامعة السربون سنة 1883م تحت عنوان (الإسلام والعلم) وحيث قال في هذه المحاضرة: إن ما يميز المسلم هو كراهيته للعلم والاقتناع بأن البحث فيه لا جدوى منه[2].

والحقيقة بأن المستشرق الفرنسي (رينان) قد أخفق في رأيه، إذ تناسى الكم الهائل من الكتب والدراسات والمخطوطات والوثائق التاريخية والموسوعات الرائعة التي تركها لنا مؤرخون مسلمون لم تمنعهم عقيدتهم عن دراسة التاريخ والإبداع فيه، عبر كل المراحل التاريخية.

**– مستشرقون متعصبون لآرائهم:**

1 – جولد زيهر: 1850 – 1920م Goidizger، مجري يهودي، من كتبه تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي والعقيدة والشريعة. ولقد أصبح زعيم الدراسات الإسلاميات في أوروبا بلا منازع.

2 – جون ماينارد Maynard .J:. أمريكي، متعصب، من محرري مجلة الدراسات الإسلامية.

(1) سهام محمد عبدالعظيم، (صورة المؤرخين في الدراسات الاسلامية)، أنسنت رينان – مرغوليوث – لويس برنارد – كلود كاهان)، دور العلماء المسلمين في خدمة الحضارة الإنسانية، المؤتمر السادس جامعة قناة السويس، الجزء1، من 3 – 5 مارس 2014م، ص597.

(2) المرجع نفسه، ص598.

3 - ص م. زويمر: S. M. Zweimer مستشرق مبشر، مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية، له كتاب الإسلام صدر 1908م، وله كتاب آخر الإسلام عبارة عن مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة 1991م.

4 - غ. فون. غرونباوم: G. Von Grunabaum ألماني يهودي، درس في جامعات أمريكا، له كتاب الأعياد المحمدية 1951م ودراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية 1954م.

5 - هنري لامنس اليسوعي: 1872 - 1937م H. Lammans فرنسي متعصب، له كتاب عن الإسلام وكتاب الطائف من محرري دائرة المعارف الإسلامية.

6 - جوزيف شاخت: j. schacht ألماني متعصب ضد الإسلام له كتاب أصول الفقه الإسلامي.

7 - كلود كاهن: 1909 - 1991م Claude Cohen، أحد أكبر المؤرخين والمستشرقين، وهو متخصص في تاريخ العصور الوسطى الإسلامية، وله عدة كتب منها كتاب الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية[1].

(1) سهام محمد عبدالعظيم، (صورة المؤرخين في الدراسات الاسلامية)، المرجع السابق، ص605.

# المبحث الثاني

## توجه النفوذ الغربي إلى تعميق أهداف حركة الاستشراق باتجاه الشرق

### المطلب الأول: أهداف الاستشراق:

#### أولًا: الهدف الديني

هو الهدف الرئيس والمهم من وراء توسع ظاهرة الاستشراق، ويقوم بتزييف الحقائق من خلال الآتي:

1 - يروجون على التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ، ويزعمون بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى؛ والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة الإسلام وإسقاطه حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام وحياة الرسول ﷺ.

2 - العمل على تشويه القرآن الكريم والطعن فيه، بهدف قطع الطريق على التقاء وحدة المسلمين وتقاربهم على هدف واحد هو (الدين الإسلامي)[1].

3 - التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمدًا من الفقه الروماني.

4 - التنقيص من مكانة اللغة العربية التي ينطقها أكثر من مليار شخص على الكرة الأرضية، ومحاولة النيل منها واستبعادها من مواكبة دورها التاريخي والحضاري في إبراز التطورات المتسارعة في كل المجالات، مع كونها من أقدم اللغات، ومن ضمن أربع لغات رسمية معترف بها في الأمم المتحدة.

---

(1) جعفر شيخ إدريس، منهج مونتغمري واط في دراسة نبوة محمد ﷺ، كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الجزء الأول، طبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1985م، ص11، 12.

5 – إنكار حقيقة الإسلام وإرجاعه إلى مصادر يهودية ونصرانية، بدلًا من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر.

6 – العمل على تنصير المسلمين من خلال الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار غير الحقيقية عن الإسلام في سبيل تدعيم آرائهم، وبناء نظرياتهم التي تجحف بمصداقية الإسلام والمسلمين.

فالهدف الديني في الاستشراق يعد البعد الاستراتيجي في شن حملة التشويه ضد الإسلام في أوروبا بعد أن عجزت الحملات والحروب الصليبية من القضاء عليه في العصور الوسطى[1].

## ثانيًا: الهدف التجاري

لقد كانت المؤسسات والشركات الكبرى والملوك يدفعون المال الوفير للباحثين، من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها، وقد كان ذلك جليًّا في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين[2].

وفي وقتنا الحاضر تمارس الشركات الكبرى الاستحواذ على ثروة العالم العربي والإسلامي، وتوظيفها لخدمة مراكز الأبحاث ووسائل الإعلام في الغرب بهدف تشويه الدين الإسلامي وتأجيج الصراعات المذهبية والطائفية من خلال كتاباتهم التي تروج لمصالحهم.

## ثالثًا: الهدف السياسي

1 – إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم.

(1) نجيب العقيق، مرجع سابق، ص55.

(2) ناديا انجليسو، الاستشراق والحوار الثقافي، منشورات دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، الإمارات العربية، 1999م، ص29.

2 - العناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة.

3 - كانوا يوجهون موظفيهم الذين يعملون في المستعمرات لتعلُّم لغات تلك البلدان ودراسة آدابها ودياناتها حتى يسهل لهم توظيف سياستهم التي تعمل على تدمير تلك الدول.

4 - أكثر الاحتمالات بأن حركة المستشرقين يرافقها العنصر الاستخباراتي، إذا لم يكن أكثر المستشرقين منتسبين للأجهزة الاستخباراتية التي تمكنهم من معرفة حالة المسلمين وكيفية مقاومة انتشار الإسلام.

### رابعًا: الهدف العلمي

هناك بعض المستشرقين حاولوا أن يتجهوا إلى البحث العلمي، بهدف المعرفة الحقيقة الكاملة عن الإسلام والمسلمين، ومعرفة المكانة التاريخية للحضارة العربية - الإسلامية، ودور العلماء العرب والمسلمين الذين استرشدت أوروبا بنظرياتهم بمختلف العلوم. وهناك من المستشرقين من دخل الإسلام بقناعته المطلقة مثل:

- اتوماس أرنولد: الذي أنصف المسلمين في كتابه الدعوة إلى الإسلام.

- رينيه: مستشرق فرنسي، أسلم وعاش في الجزائر وله كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام) وتوفي في فرنسا ولكنه دفن في الجزائر[1].

أما في الوقت الحاضر فأكثر مراكز الأبحاث العلمية على مستوى العالم يسيطر عليها اليهود بحكم تمويلهم لتلك المراكز التي توجه من خلالهم لخدمة مصالحهم أينما وجدت.

(1) ناديا انجليسو، الاستشراق والحوار الثقافي، مرجع سبق ذكره، ص31.

## المطلب الثاني: المؤتمرات والجمعيات والمجلات التي رافقت توجهات المستشرقين:

### - المؤتمرات حول الاستشراق:

عقد أول مؤتمر دولي حول الاستشراق بحضور كبير من المستشرقين وكان في باريس سنة 1873م.

كما استمرت مسألة عقد المؤتمرات حول الاستشراق حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمرًا دوليًا، فضلًا عن الندوات واللقاءات الإقليمية المتعددة والخاصة بكل دولة من الدول، مثل مؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في مدينة درسدن بألمانيا سنة 1849م. وما زالت فعاليات عقد المؤتمرات حول الاستشراق متواصلة حتى يومنا هذا. إذ حضر هذه المؤتمرات مئات من العلماء المستشرقين من جميع أنحاء العالم، فقد حضر مؤتمر أكسفورد تسعمائة عالم من خمس وعشرين دولة ومن ثمانين جامعة ومن تسع وستين جمعية علمية[1].

### - بعض الجمعيات التي تأسست لخدمة الاستشراق ودعمه، مثل:

1 - الجمعية الآسيوية التي تأسست في باريس سنة 1822م.

2 - الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا التي تأسست سنة 1823م.

3 - الجمعية الشرقية الأمريكية التي تأسست سنة 1842م.

4 - الجمعية الشرقية الألمانية التي تأسست سنة 1845م[2].

### - المجلات التي روجت لحركة الاستشراق:

تمكن المستشرقون من إنتاج عدد كبير من المجلات والدوريات التي تنشر

(1) محسن جاسم الموسوي، مرجع سابق ص46.

(2) ينظر المصدر على الموقع:

http: / /www. jazan. org /vb /showthread. php?t=97980

وتحلل كل القضايا التي تخدم حركة الاستشراق وتوسعها باتجاه الشرق، عبر تلك المجلات والدوريات التي وصل عددها إلى ما يقارب ثلاثمائة مجلة متنوعة، بمختلف اللغات، ونذكر بعضًا منها:

1 – مجلة العالم الإسلامي: The Muslim world أنشأها صمويل زويمر سنة 1911م في بريطانية، وتوفي 1952م، وقد كان زويمر يعد رئيس المبشرين في الشرق الأوسط.

2 – مجلة عالم الإسلام: Mir Islam، ظهرت هذه المجلة في بطرسبرج في روسيا سنة 1912م ولكنها لم تستمر طويلًا.

3 – مجلة ينابيع الشرق: التي أصدرها (هامر برجشتال) في فيينا من سنة 1809 إلى 1818م.

4 – مجلة الإسلام: ظهرت هذه المجلة في باريس سنة 1895م، ومن ثم خلفتها سنة 1906 مجلة العالم الإسلامي التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، وتحولت بعد ذلك إلى مجلة الدراسات الإسلامية.

## المطلب الثالث: المستشرقون الذين وظفوا الاستشراق في خدمة الاستعمار:

– كارل هنيريش بيكر:. Karl Heinrich Beaker توفي سنة 1933م، مؤسس مجلة الإسلام الألمانية، قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية في إفريقيا.

– بار تولد: Bar told، توفي سنة 1930م مؤسس مجلة عالم الإسلام الروسية، قام بعدة أبحاث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى.

– سنوك هرجرونجه: هولندي، 1857 – 1936م. Snouck Hurgonje م قدِم إلى مكة عام 1884م تحت اسم عبد الغفار، ومكث فيها لمدة نصف عام، وعاد ليكتب تقارير تخدم الاستعمار في المشرق الإسلامي، وسبق له أن أقام في

جاوة في إندونيسيا لمدة 17 سنة، وقد وثقت وصدرت الصور التي أخذها لمكة والأماكن المقدسة في كتاب بمناسبة مرور مائة سنة على تصويرها.

– معهد اللغات الشرقية بباريس: تأسس سنة 1885م وكانت مهمته الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية وبلدان الشرق الأقصى، مما يشكل أرضية تسهل عملية الاستعمار في تلك المناطق[1].

– أومسبي غو: كان وزيرًا للمستعمرات البريطانية، وعندما قدّم تقريره لرئيس الحكومة البريطانية في 9 يناير سنة 1938م، قال في تقريره: «إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الإمبراطورية وحدها بل على فرنسا أيضًا، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة، وأتمنى أن تكون إلى غير رجعه»[2].

وهكذا نرى أن مثل هؤلاء المستشرقين يشكلون جزءًا من مخطط رسمت ملامحه منذ زمن بعيد، تمثل بالحملات الصليبية التي كانت تحرض عليها الكنيسة بالتوجه نحو الشرق، وبالدعم اليهودي والصهيوني المنظم لمحاربة الإسلام والمسلمين في كل مكان. وهناك كثيرون يصعب عليهم فهم حقيقتهم، إلا عندما يراهم من قرب في إطار ذلك المخطط الذي يهدف إلى تخرج أجيال لا تعرف الإسلام، أو لا تعرف من الإسلام إلا الشبهات، وقد انتقوا أفرادًا من هذه الأجيال لتتبوأ أعلى المناصب ومراكز القيادة لخدمة الاستعمار؛ فالصهاينة يتلخص دورهم الأكبر في تفتيت المجتمعات أخلاقيا واجتماعيا وثقافيا، وهدم حضارة الشعوب الشرقية التي تملك مقومات الحضارات والثقافات العريقة في العالم[3].

(1) نعمة شومان، الصهيونية والعولمة حروب ضد الشعوب، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، العدد 122، بيروت، ربيع 2006م، ص151 – 152.

(2) محمد سالمان: الأديان المعاصرة، موقع منتدى التداول العربي. 24/ 9/ 2012م.
form. arabictrader. com /t154252. html

(3) نعيمة شومان، مرجع سابق، ص153.

# المبحث الثالث

## إدوارد سعيد؛ المفكر العربي والناقد والمحلل الأكاديمي للاستشراق في كل توجهاته

### المطلب الأول: إدوارد سعيد، تشخيصه لطبيعة العلاقات بين الشرق والغرب:

إدوارد سعيد: فلسطيني الأصل، من مواليد 1 نوفمبر 1935م في القدس، توفي في 25 سبتمبر عام 2003م في أمريكا، ودفن في لبنان بحسب وصيته، عُرف إدوارد سعيد منظِّرًا أدبيًّا فلسطينيًا، وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في اللغة الإنجليزية والأدب المقارن من أمريكا، ويحمل الجنسية الأمريكية، وعمل أستاذا في جامعة كولومبيا في أمريكا، وعُرف مدافعًا عن حقوق الإنسان والشعب الفلسطيني، وإدوارد سعيد من الشخصيات المؤثرة في النقد الحضاري والأدبي، وله العديد من المؤلفات[1].

وقد نال شهرة واسعة بعد تأليف كتابه عن الاستشراق عام 1978م، إذ قدم كل أفكاره المؤثرة عن دراسات الاستشراق الغربية المتخصصة في دراسة حضارة الشرقيين وثقافتهم، كما ربط دراسة الاستشراق بالمجتمعات الإمبريالية؛ موضحًا في ذلك أن أعمال الاستشراق تحولت إلى أعمال سياسية من قبل الغرب نحو الشرق، واعتبر أن الدراسات الغربية للشرق تقع في موقع الشك ولا يمكن الأخذ بها على الإطلاق[2].

(1) صبحي حديدي، مقدم كتاب إدوارد سعيد ومترجمه، تعقيبات على الاستشراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1996م، ص158.

(2) محمد السلمان، مرجع سابق.

وتجسدت رؤية إدوارد سعيد حول تشخيص العلاقة بين الغرب والشرق، في كونها علاقة يمكن تتويجها بمفهوم القوة والسيطرة بصورة معقدة ومتشابكة وفق المعطيات التاريخية.

فيؤكد إدوارد سعيد أن الاستشراق ليس عنصرًا من عناصر الثقافة السياسية الحديثة، بقدر ما هو العنصر الأوحد فيها، وهذا المنعطف أو المنحنى كما اتضح لنا جميعًا، هو السبب الحقيقي الذي دفع إدوارد سعيد إلى التعمق في التفكير بالاستشراق بوصفه مسألة حيوية يتناولها الأشخاص مؤلفين وباحثين، والمؤسسات السياسية التي كانت نتاج للدول الثلاث التي أنتجت الاستشراق بصورته الحرفية وبحدودها الفكرية، والمتصفة بالإمبريالية والاستعمار والهيمنة، وهي: بريطانيا وفرنسا وأمريكا، بحسب وصف إدوارد سعيد(1)؛ وحدد إدوارد سعيد تلك الدول الثلاث لأنها أكثر الدول التي استعمرت العالم في التاريخ الحديث والمعاصر، وهي المتزعمة للنظام الامبريالي الرأسمالي الذي دخل في صراع مع النظام الاشتراكي من بعد الحرب العالمية الثانية حتى عام 1985م، عندما وصل ميخائيل جورباتشوف إلى رئاسة الاتحاد السوفيتي أمينًا عامًّا للحزب الشيوعي السوفيتي، وهو صاحب كتاب نظرية البروسترويكا (إعادة البناء).

وهذه النظرية كانت في مضمونها إصلاحًا وتطويرًا للنظام الاشتراكي من الجمود الذي رافقه منذ قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى 1917م، حتى نهاية التسعينيات من القرن العشرين، وتغييرًا للنظام العالمي بما يواكب الحداثة والتقارب بين النظامين بهدف إنهاء سباق التسلح والانتقال إلى الشراكة الدولية

---

(1) هيثم غالب الناهي/ إدوارد سعيد: ما بين استشراق الاستشراق وما بعد الاستشراق، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة 37، العدد 426، بيروت، أغسطس، 2014م، ص55.

لإحلال السلام العالمي لمصلحة البشرية عمومًا. ولكن الذي حدث هو أن الأنظمة الاشتراكية في أوروبا الشرقية انهارت وتساقطت وتفكك الاتحاد السوفيتي من الداخل عام 1991م بإيعاز من بوريس يلتسن الذي كان رئيسًا لروسيا الاتحادية من عام 1991 إلى 31 ديسمبر 1999م[1].

لقد تعمق إدوارد سعيد في فهم الصورة الحقيقية للاستشراق وترسيخها تجاه العرب والمسلمين، بعد أن تأكد له بأن الاهتمام بالاستشراق من قِبل الغرب، يصب في الشرق الأوسط دون غيره؛ لاعتبارات لها علاقة بالأديان والحضارات المتعاقبة على المنطقة، بما في ذلك الجانب الاقتصادي المرتبط باكتشاف الثروة النفطية وتراكم الوفرة المالية، معللًا ذلك بقوله: «إن التاريخ الاستعماري للمنطقة والهيمنة السياسية والعسكرية على الشرق، كانت سببًا في تشويه كتابات المستشرقين الذين تعمقت معرفتهم بالشرق جيدًا ودرسوا ثقافة وحضارته». وعلى هذا الأساس يرفض إدوارد سعيد رفضًا قاطعًا بأن يوصف الشرق بالمتخلف من قبل الغرب. وعلى ضوء ذلك تعرض إدوارد سعيد لعدة انتقادات من المستشرقين الغربيين والعرب على مواقفه وانتقاداته لحركة الاستشراق التي تخدم مصالح الغرب[2].

## المطلب الثاني: إدوارد سعيد؛ تقييمه للاستشراق بوصفه استعمارًا بتبعية ثقافية للغرب:

هناك بعض الآراء التي تُطرح من قِبل المهتمين بظاهرة الاستشراق، ولا تختلف مع رؤية إدوارد سعيد من حيث تقييمه للاستشراق بوصفه استعمارًا

(1) إسكندر محمد النيسي: المتغيرات الجديدة في روسيا المعاصرة، بقيادة بوتين - ميدفيدف - بوتين، 2000 - 2014م، مجلة جامعة الملكة أروى، العدد الرابع عشر، يناير - يونيو، 2015م، ص23.

(2) هيثم غالب الناهي، مرجع سابق، ص56.

وتبعية ثقافة للغرب، وهذا ما اكتشفه إدوارد سعيد لدى المستشرقين الذين عملوا على تحريف الإسلام وتاريخه والنيل من الثقافة العربية. كما تميز عمن سبقه وعاصره في انتقاد ومحاربة الاستشراق، مثل: طه حسين والشيخ محمود محمد شاكر ولويس عوض وتوفيق الحكيم ومحمد مندور، وهؤلاء هتفوا ورددوا ثلاثية (الاستعمار - الاستشراق - التبشير). وهذا ما يوصلنا إلى الاستنتاجات التي بنى عليها إدوارد سعيد تقييمه للاستشراق على النحو الآتي:

1 - طبيعة المنهجية البحثية التي نظر فيها إدوارد سعيد إلى الاستشراق وإتقانه للغة الإنجليزية والفرنسية أيضًا، مكنته من معرفة توصيف الأشياء عند المستشرقين، وكيف استطاع أن يعمل على تفتيت منظومتها وتفكيك عناصرها لتصبح مفهومة القصد والمعنى.

2 - تسويق أو صياغة النص الاستشراقي بالنظرة الغربية لم تمرر أو تفوت على إدوارد سعيد بحكم معرفته بالثقافة الغربية وانتمائه الشرقي، فضلًا عن خلفيته الماركسية وإتقانه للغة الإنجليزية بمستوىً عالٍ، مكنته من فهم النص وتوجيه الخطاب الذي فكك مفاهيم الثقافة الغربية، مستوعبًا في الوقت نفسه أساليب الخطاب المسيطر على الشرق جغرافيًا وبشريًا، وحتى من الناحية السياسية والاجتماعية والعسكرية والعقائدية، وصولًا إلى السيطرة العلمية والتقنية الحديثة في وقتنا الحاضر[1].

3 - يؤكد إدوارد سعيد أن الغرب لا يمتلك معرفة حقيقة حول الشرق، موضحًا مفهوم الاستشراق بأنه تصور غربي للشرق بهدف السيطرة عليه.

4 - لقد أصاب إدوارد سعيد عندما تعمق في الجذور التاريخية والحضارية لوصف الشرق بالروحانية كونها جوهرية ينفرد فيها الشرق على الرغم من عقلانية

(1) هيثم غالب الناهي/ إدوارد سعيد: ما بين استشراق الاستشراق وما بعد الاستشراق، مرجع سبق ذكره، ص58.

الغرب المزعومة. فهو يقول بأن الشرق الإسلامي، روحاني، سامي، قبلي، وأن الفرق بين الشرق والغرب هو الفرق بين الحداثة والتراث القديم، أي أنه يعبر عن الأصالة والمصطنع المتمثل بوجود الغرب، من هنا اتضح بأن إدوارد سعيد يريد إيصال مفهوم رسالته إلى الجميع، وهي: أن روحانية الشرق، وبخاصة الأوسط كونها نابعة من جوهر الأديان السماوية التي انطلقت منه، وانتشرت إلى جميع الأماكن البائسة التي لم يكن لها أي وجود ثقافي أو حضاري، مقارنة بما يملكه الشرق من مخزون ثقافي وحضاري عبر العصور التاريخية(1).

## المطلب الثالث - إدوارد سعيد؛ منظِّر ومحلل أكاديمي لمراحل الاستشراق وما بعد الاستشراق:

امتاز المنظر الأكاديمي إدوارد سعيد عن غيره من منتقدي الاستشراق والمستشرقين من خلال تحليله للخطاب الأوروبي حول الشرق، ولكن برؤية أكثر تحضرًا لأنه ركز مضمون الخطاب وجدليته على حقول المعرفة المتصلة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والاستعمارية، وما بعد الاستعمارية، حيث أكد من خلال دراسته المستفيضة للخطاب الأوروبي البريطاني والفرنسي منذ القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين لكونهما دولتين غزتا الشرق ليس ثقافيًا بل عسكريًا أيضًا، وقال إن ما أنتجه المستشرقون من دراسات نحو الشرق يدخل ضمن المعطيات التي ذُكرتْ؛ إذ إن إدوارد سعيد قد صنف الاستشراق بثلاث أطروحات ليست بعيدة عن بعضها رغم الاختلاف في الجوهر والالتقاء في الخطاب، وهي:

1 - الاستشراق الأكاديمي الذي يدرس الشرق بكل مراحله وسماته العامة والخاصة.

(1) المرجع السابق، ص59.

2 – الاستشراق الفكري المستند إلى التميز الوجودي والمعرفي بين الشرق والغرب.

3 – الاستشراق الأسلوبي الغربي للسيطرة على الشرق وإعادة هيكلته من خلال امتلاك السلطة والتسلط.

وكل هذه الأطروحات الثلاث التي تميز في طرحها إدوارد سعيد لا يختلف عليها أحد، مع العلم بأن إدوارد سعيد قد صنف المستشرقين أيضًا إلى ثلاثة أنواع:

– النوع الأول: هم الذين ذهبوا إلى الشرق لدراسته بصورة احترافية وعلمية، مثل: عالم الآثار البريطاني (إدوارد وليام لين) الذي كتب عن المصريين وعاداتهم وأنماط حياتهم.

– النوع الثاني: هم الكتّاب الذين يبحثون عن اكتشاف المشرق بحواضره وثقافته وعلميته، ولكن اهتماماتهم الفردية هي التي تسيطر في النهاية على عملهم وإنجازاتهم، ومنهم الرحالة البريطاني والعالم اللغوي (ريتشارد بيرتن) صاحب كتاب الحج إلى المدينة ومكة.

– النوع الثالث: هو الكاتب الذي يستشرق لإرضاء رغباته، ويمثّلهم الرحالة والرسام والشاعر الفرنسي (جيرا ردي نرفال) صاحب كتاب رحلة إلى الشرق[1].

## المطلب الرابع: هجمة الغرب الشرسة ضد إدوارد سعيد:

لقد أثبتت حقيقة الانتقادات التي كان يطرحها إدوارد سعيد حول الاستشراق والمستشرقين الذين تعاملوا مع الشرق بطريقة مذلة ومنقوصة من قبل المستشرقين

(1) هيثم غالب الناهي/ إدوارد سعيد: ما بين استشراق الاستشراق وما بعد الاستشراق، مرجع سبق ذكره، ص60 – 61.

الغربيين، وهناك من هاجم إدوارد ووصف كتابه للاستشراق بالمخزي في العلم الأكاديمي، مثل: مكسيم رودنسون وجاك بيرك ووليم منتغمري واط؛ فضلًا عن المستشرق الأكثر تشددًا نحو المنطقة العربية والإسلامية، الذي جمع العديد من المستشرقين الذين أضروا بالمنطقة العربية، ومنهم ألبرت حوراني، وروبرت إيروين، ونيكي كدي، وإعجاز أحمد، وكنعان مكية، حيث إن هؤلاء وصفوا إدوارد سعيد بأنه ركز على العنصرية والعداء في انتقاده لتوجهاتهم غير المعرفية بحضارة الشرق والعرب.

كما أراد إدوارد سعيد بأن يذكِّر هؤلاء المستشرقين بالاضطهاد الذي مارسه الاستعمار الأوروبي في منطقة الشرق الأوسط، وكيف يقبل بطرحهم؟ وهو ابن فلسطين الذي عايش القتل والتشريد في طفولته من قِبل اليهود الصهاينة المحتلين لفلسطين العربية[1].

والأكثر برهانًا في طرح إدوارد سعيد هي مجريات الأحداث التي عاصرتها المنطقة في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، والتي تعبر عن توجهات الاستشراق نحو المنطقة، كما حدث في العراق وأفغانستان وباكستان، وهذا ما تؤيده الدول الأوروبية، عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، وبحسب ما تقتضيه الرؤية الأمريكية المعروفة (بالفوضى الخلاقة) التي أتضحت نواياها من خلال الربيع العربي الذي جاءت تسميته من الغرب، وأصبح يعرف لدى عامة الناس في الوطن العربي بالربيع الطائفي الذي دمر تلك الدول من عام 1991م و حتى يومنا هذا.

(1) المرجع السابق، ص64 - 69.

وهناك من المستشرقين الذين أدوا أدورًا في تفتيت المنطقة، مثل: كنعان مكية، كان له دور في تفتيت العراق، وبرنارد لويس الذي قام بالدور نفسه في تفتيت ليبيا وسورية أيضًا[1].

وهذه هي خلاصة لرؤية المنظر والمفكر الأكاديمي إدوارد سعيد ما بعد الاستشراق والاستعمار، من خلال الأحداث الأخيرة التي شهدها الشرق الأوسط، وعايش إدوارد سعيد الحرب على العراق عام 2003م. محللًا العداء الغربي للصين ومؤكدًا في كل أطروحاته التدخل البريطاني الفرنسي لعرقلة الاستقرار في المنطقة، وهذا يجسد مفهوم ما بعد الاستشراق والاستعمار، بالهيمنة الغربية والأمريكية والصهيونية على الشرق الأوسط.

## نتائج البحث:

توصلنا من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- أن حركة الاستشراق قد مثّلت في مضمونها وتوسعاتها، أهدافًا عديدة، وتمثل ذلك بالطابع الديني والتجاري والسياسي، وبما في ذلك العلمي، والجميع يعرف كيف كانت أوروبا في العصور الوسطى مدمرة؛ نتيجة الحروب والصراعات الدينية، وكيف استفادت من العلماء العرب والمسلمين، ومنهم الرازي وابن سينا والفارابي وابن خلدون وغيرهم من العلماء الذين طوروا أوروبا وانتقلت عبر مؤلفاتهم إلى عصر النهضة، ومن هنا بدأ الأوروبيون إرسال المستشرقين إلى الشرق لمعرفة طبيعة تطور العلوم والتركيز على استقطاب العلماء إلى أوروبا.

(1) إدوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1996م، ص47.

- أنه عندما بدأ الاستعمار الأوروبي غزو الشرق أرسل الجواسيس على أساس أنهم مستشرقون.

- أن المستشرقين كانوا يركزون في أبحاثهم على الخلافات المذهبية والصراعات العرقية التي حدثت قبل عدة قرون في الشرق وإنعاشها من جديد، وما يحدث في المنطقة العربية والإسلامية حاليا برهان على ذلك.

- أن أكثر المستشرقين الذين عملوا في المنطقة العربية الإسلامية يهود.

- أن المستشرقين اليهود لهم دور كبير في تشويه الحضارة العربية والإسلامية وتهميش اللغة العربية والترويج للغة المستعمر وإضعاف الهوية والقومية العربية بعد مغادرة الاستعمار للمنطقة العربية في منتصف القرن العشرين.

- أن المستشرقين بعد المعرفة الكاملة بوضع المنطقة العربية، سهلوا في أطروحاتهم البحثية المناخ المناسب لفتح الجامعات الأوروبية والأمريكية في المنطقة العربية؛ وهذا دليل على إضعاف الجامعات العربية في مخرجاتها، فلا تقبل شهاداتها قبل شهادات جامعاتهم على مستوى العالم.

- أن المستشرقين هم رجال استخبارات وخبراء في مختلف العلوم توجهوا نحو المنطقة لمعرفة ما تحتها من ثروة وما فوقها من تناقضات وصراعات، وأيضا عملوا على إشعال المنطقة بالفتن والحروب حتى لا يصبح المال العربي مسخرًا للعلم والتكنولوجيا وتطوير المنطقة بمختلف المجالات.

- أنه في نهاية القرن العشرين ضعف دور الاستشراق وأصبح منتهي المهمة، لكون القواعد والأساطيل الأمريكية والأوروبية موجودة في المنطقة تنفذ ما تريد بحرّية مطلقة.

## مراجع البحث باللغة العربية:


- إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1981م.
- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، الجزء الأول، ط 4، القاهرة، 1981م.
- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1979م.
- هشام جعيط: أوروبا والإسلام، ترجمة طلال عتريسي، دار الحقيقة، بيروت، 1980م.
- ناديا أنجيليسكو: الاستشراق والحوار الثقافي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة الإمارات العربية المتحدة، 1999م.
- جور جسار طون: الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ترجمة عمر فروخ، ط 1، مكتبة المعارف، بيروت 1952م.
- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط 1، كتاب الأمة، 1404هـ - 1984م.
- محسن جاسم الموسوي: الاستشراق في الفكر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط 1، بيروت 1993م.
- محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، بيروت 1973م.
- محمود حمدي زقزوق: الإسلام في الفكر الغربي، دار القلم، الكويت 1981م.
- رودي بارت: الدراسات الإسلامية بالعربية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة 1967م.
- عبد الكريم زيدان: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م.

- محمد عبد الفتاح عليان: أضواء على الاستشراق، ط 1، دار البحوث العلمية، الكويت، 1980م.
- التهامي نقرة وآخرون: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مطبعة التربية العربي لدول الخليج، الجزء الأول، الرياض، 1405ه -- 1985م.
- إدوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1996م.
- سهام محمد عبد العظيم: صورة المؤرخين المسلمين في الدراسات الاستشراقية (أرنست رينان - مرغوليوث - لويس برنارد - كلود كاهن)، المؤتمر العلمي الدولي السادس، دور العلماء في خدمة الحضارة الإنسانية، الجزء الأول، جامعة قناة السويس الإسماعيلية مصر، من 3 - 5 مارس 2014م.
- جيهان نور الدين محمد المقدم: دور العلماء المسلمين في علم مقارنة الأديان (ابن حزم نموذجًا)، الجزء الثاني، جامعة قناة السويس الإسماعيلية مصر، من 3 - 5 مارس 2014م.
- هيثم غالب الناهي: إدوارد سعيد: ما بين استشراق الاستشراق وما بعد الاستشراق، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة 37، العدد 426، بيروت، أغسطس 2014م.

## مراجع البحث باللغة الأجنبية:

- Rudi pare: der Koran uebersetzung Stuttgart 1980.
- C. E. Bosworth: orientalism and orientalists (in Arab Islamic bibliography) 1977 Great Britain.
- H. A. Flacher – bernico: Die Islamische revolution Stuttgart 1981.
- Johann fueck: Die Arabischonstudien in Europa Leipzig 1955.
- Custarp fonnMuelle: Handbuch der Islamileteratur berlin 1933.
- M. rodinson ،Mohammed :Frank furt.1975






## مجلة دورية، علمية، محكمة، تصدر عن مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

### تسعى المجلة إلى

- تعزيز فرص نشر الأبحاث التاريخية العلمية الرصينة، التي تضيف جديداً للمعرفة التاريخية.
- توثيق الروابط والتواصل العلمي بين باحثي مختلف الجامعات والمؤسسات البحثية.
- تعميم المعرفة التاريخية، والمساهمة في بناء مجتمع مثقف ومتنور، يؤمن بأهمية البحث العلمي.
- توجيه الرأي العام للاهتمام بتراثه وآثاره التاريخية، والاستفادة من دروس وعبر الماضي.
- محاربة الخرافات والأساطير والجهل بالماضي من خلال نشر المعلومة العلمية الصحيحة.
- الإسهام في الحفاظ على قيمنا وهويتنا الوطنية والعربية والإسلامية، وترسيخها والاعتزاز بها.

مجلة
دراسات تاريخية
دورية علمية محكمة



